دار المُجدّد للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان: 02 نهج حمصي الطاهر (وراء الولاية) سطيف/الجزائر.
تلفاكس: 036.82.58.09 الجوال: 0550.96.31.07 / 0770.72.42.94
الايميل: dar.moudjadid@gmail.com / الفيس بوك: دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع

في سطيف، 2021/06/06

شهـــادة نشـــر

نشهد نحن دار المُجدِّد للطباعة والنشر والتوزيع، بطباعة كتاب

للدكتورة : بوقرة العمرية.

بعنوان : قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر.

والمسجل ادارتا برقم الايداع القانوني (DL) : جوان 2021
ردمك (ISBN) : 978-9947-38-431-2

ختم الدار

قضايا ودراسات
في تاريخ الجزائر

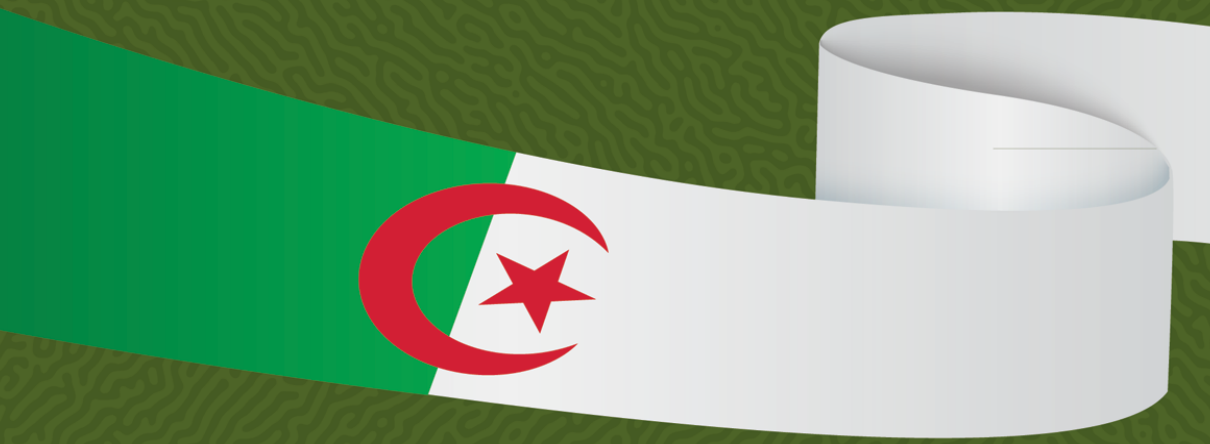

تنسيق وتقديم :
الدكتورة سلوى لهلالي

دار المجدّد
للنشر والتوزيع

قضايا ودراسات
في تاريخ الجزائر

الدكتور: مصطفى عبيد
الدكتور: سعيد جلاوي
الدكتور: محمد سريج
الدكتور: البشير بوقاعدة
أ.الدكتور: اسعد لهلالي
الدكتورة: سعدية بن حامد

الدكتورة: بوشربي مريم
الدكتورة: تسكورث يمينة
الدكتورة: سلوى لهلالي
الدكتورة: بوقرة العمرية
طالب دكتوراه: عبد الوهاب حيمر
طالبة دكتوراه: غنية عباسي

تنسيق وتقديم :
الدكتورة سلوى لهلالي

دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر

تنسيق وتقديم : د. سلوى لهلالي

192 صفحة

16 ×24 سم

حقوق جميع محفوظة

© المكتبة الوطنية الجزائرية 2021.

ردمك: 978-9947-38-431-2 : ISBN

الايداع القانوني: شهر ماي 2021.

يمنع طبع هـذا الكتـاب أو جـزء منه بكل طـرق الطبع والنقل
إلا بـإذن خطي من المؤلف

دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع

02 نهج حفصي الطاهر (وراء الولاية)- سطيف/الجزائر

036.82.58.09 /0540.97.40.34 / 0550.96.31.07

على الفيس بوك: دار المجدد للنشر والتوزيع

dar.moudjadid@gmail.com

تقديم الكتاب:

نضع بين أيدي الباحثين والمهتمين بتاريخ الجزائر هذا المؤلف الجماعي الموسوم ب " قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر"، والكتاب مجموعة من الأبحاث تتعلق بفترات مختلفة من تاريخ الجزائر، وهي مواضيع تستحق الدراسة خاصة إذا كان الباحث متخصصا في فترة معينة حيث يمكّنه ذلك من تقديم إضافة مهمة للبحث التاريخي وللمكتبة الجامعية .

هذا المؤلف الجماعي يحتوي على مجموعة من المقالات لدكاترة وطلبة باحثين في الدكتوراه، وأول دراسة وهي مهمة جدا للدكتور عبيد مصطفى حول " قانون 23 مارس 1882 المتعلق بالحالة المدنية في الجزائر" ، وأوضح الباحث أنه قام بالترجمة من أجل وضع هذا القانون الخطير بين أيدي الطلبة والباحثين خاصة مع تعذر الوصول إلى مصادره لا سيما فئة الطلبة.

وفيما يخص العلاقات الجزائرية التونسية لدينا موضوع مميّز للدكتور جلاوي السعيد بعنوان" محاولات التقارب الجزائري التونسي بعد الاستقلال من خلال المصادر التونسية :مقترح الكاف 1973 أنموذجا" ،ويؤكد الباحث أنّ التطورات التي شهدتها الساحة المغاربية مما دفع بالنظامين التونسي و الجزائري الى البحث عن التموقع في شبكة العلاقات المغاربية المعقدة و البحث عن السبل الوقائية مستقبلا ، فكان خيار التقارب و السعي للوحدة ضمن إستراتيجية النظامين.

وفيما يتعلق بالحركة الوطنية والثورة الجزائرية فلدينا مواضيع عديدة وهي؛ بحث بعنوان" انتفاضة الثامن ماي 1945 ببلدية فج مزالة المختلطة " للباحثين الدكتور بوقاعدة البشير وطالب دكتوراه حيمر عبد الوهاب حيث ذهبا إلى أن هناك كتابات كثيرة حول الأحداث في سطيف وقالمة وخراطة وبالمقابل سكتت عن مجريات الأحداث في ضواحي سطيف والمناطق المجاورة ومن ذلك: ما تعلق بمجريات أحدث انتفاضة الثامن ماي بالمجال الجغرافي الخاضع لإدارة بلدية فج مزالة المختلطة بمختلف

دواويرها، ومنها دورا المنار، ودوار زارزة، أما الدكتورة سعدية بن حامد وببحث عنوانه"أحداث الثامن ماي 1945 ملحمة خالدة في ذاكرة التاريخ"، فقد أبرزت الباحثة الحدث ملحمة تاريخية خالدة في أذهان الجزائريين تجمع ذكرى الماضي بما تحمله من تجارب ، الحاضر وإرهاصات المستقبل من خلال استخلاص العبر والدروس.

وهناك بحثين عميقين حول الثورة الجزائرية ؛ الأول للدكتور سريج محمد حول " موقف الحزب الشيوعي من الثورة التحريرية 1945-1962" ، وطرح الباحث إشكالية مهمة حول موقف الحزب الشيوعي الجزائري من هجومات أول نوفمبر1954 ، وطبيعة العلاقة بين الحزب الشيوعي وجبهة التحرير الوطني من خلال المصادر والمراجع التي تناولت واهتمت بالموضوع .، أما الأستاذ الدكتور لهلالي اسعد فقد استعرض موضوعا غاية في الأهمية وشكل نقطة تجاذب بين الدارسين وهو موسوم ب" نشاط رجال جمعية العلماء في الخارج لصالح الثورة الجزائرية من خلال تقارير فرنسية "، ويرى صاحب الموضوع أن أهمية الموضوع هو في تتبع السلطات الاستعمارية لنشاط رجال جمعية العلماء خلال الثورة ، وهذا دليل على فاعليتهم ومساهمتهم في الثورة.

ولم نهمل في هذا الكتاب الدراسات المتعلقة بالفترة الموحدية والعثمانية ، حيث شاركت الطالبة الباحثة غنية عباسي بموضوع عنوانه"المجال الشلفي في الأسطغرافية الموحدية " ، وترى الباحثة أنّ مراجعة دور المنطقة التي تنتمي إلى ما اصطلح عليه بالبلاد الزناتية بحسب النصوص الأدبية الموحدية في تاريخ المغرب الأوسط يسمح بفهم أكبر لمجريات الأحداث الوسيطة في تمفصلاتها ، أما الدكتورة تسكورث يمينة فقد استعرضت موضوعا حول " مدينة شرشال العثمانية " وتحدثت عن بنائها وتحصيناتها المعمارية ، ومختلف ما تعلق بمدينة شرشال.

كما أن قضايا التحرر حاضرة في هذا الكتاب من خلال دراسة الدكتورة لهلالي سلوى والموسومة ب" الجزائر وقضايا التحرر في إفريقيا : دراسة في مظاهر الدعم الدبلوماسي "، حيث أبرزت تكريس مبدأ المد التحرري من خلال الأدبيات والمواثيق

التاريخية للثورة الجزائرية إلى جانب مبادئ ميثاق الأمم المتحدة ، وبيّنت جهود الجزائر في دعم التوجه التحرري لإفريقيا ودعم أوجه الوحدة على جميع الأصعدة.

وأنهينا المؤلف الجماعي ببحث الباحثتين الدكتورة بوشربي مريم والدكتورة بوقرة العمرية فقد ساهمتا بموضوع عنوانه" آليات العقار الفلاحي قبل صدور قانون التوجيه الفلاحي " ، حيث أكدتا على أهمية الزراعة كثروة مستمرة ، وهي إحدى قواعد النمو الاقتصادي في البلاد ، وكان التساؤل حول الآليات التي استحدثها المشروع الجزائري بعد الاستقلال لضمان استغلال أمثل لهذه الأراضي ، ومدي نجاعتها ومساهمتها في التنمية الفلاحية بالجزائر.

ونتمنى أن يكون هذا المؤلف الجماعي لبنة في كتابة تاريخ الجزائر وإضافة للمكتبة الجزائرية والجامعية بالخصوص ، وهدفنا هو البحث عن الحقائق التاريخية وفق المناهج العلمية المعروفة واستخلاص النتائج التي ربما لم يتوصل إليها باحثون سابقون ، خاصة إذا توفرت مصادر جديدة تساعد الباحث على التحليل والنقد وكشف الحقائق ، ونحن نسعى إلى العمل الجاد والهادف الذي يفيد الأجيال الحاضرة والقادمة

الدكتورة: لهلالي سلوى

سطيف في :8 ماي 2021 م

قانون 23 مارس 1882

المتعلق بالحالة المدنية في الجزائر

ترجمة الدكتور مصطفى عبيد
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
قسم التاريخ، جامعة المسيلة.

لم يكن قانون 23 مارس 1882 هذا، هو الأول في قائمة القوانين الاستعمارية التي عالجت مسألة الأحوال الشخصية الجزائرية بغية ضرب هوية الشعب الجزائري والعمل على تهجين خصوصياته الإسلامية وتذويبه في بوتقة الادماج. فقد سبق ذلك مراسيم وقوانين منذ سنة 1830، كان أبرزها وأخطرها قانون التجنيس في 14 جويلية 1865. وقانون كريميو المتضمن تجنيس اليهود في 24 أكتوبر 1870.

وتأتي هذه الترجمة من أجل وضع هذا القانون الخطير بين أيدي الطلبة والباحثين لا سيما بعد أن لاحظنا عدم استفادتهم منه وتعذر على كثير منهم الوصول إلى مصادره لا سيما فئة الطلبة.

وقد جاء نص هذا القانون في فصلين، واشتمل على 23 مادة. جاء الفصل الأول تحت عنوان: تشريح الحالة المدنية للأهالي الجزائريين وتضمن 15 مادة، بينما جاء الفصل الثاني بعنوان: عقود الحالة المدنية. وقد تم نشره بالنشرية الرسمية للحكومة العامة بالجزائر في عددها 871 سنة 1882.

وقد سبق لي أن ترجمت قانون التجنيس الصادر في 14 جويلية 1865 ونشرته في كتابي : مقالات في تاريخ الجزائر والمغرب العربي الحديث والمعاصر (ط 2017) تعميما لاستفادة الطلبة والباحثين منه.

Loi du 23 Mars 1882

Le Sénat et la chambre des députés ont adopté,

Le présédent de la république promulgue la loi dont la teneur suit:

اعتمد مجلس الشيوخ ومجلس النواب ،

أصدر رئيس الجمهورية القانون التالي:

Titre 01er

Consultation de l'état civil des indigènes musulmans.

الفصل الأول

تشريح الحالة المدنية للأهالي الجزائريين.

Art 1er- Il sera procédé à la consultation de l'état civil des indigènes musulmans de l'Algérie.

المادة 01: لابد من التحكم في تشريح وضعية الحالة المدنية للأهالي الجزائريين.

Art 2. – Dans chaque commune et section de commune. Il sera fait préalablement par les officiers de l'état civil. Ou, à leur défaut, par un commissaire désigné à cet effet, un recensement de la population indigène musulmane.

المادة 02: في كل بلدية وكل دوار. لابد أن يقوم ضباط الحالة المدنية أو محافظ معين لهذا الغرض بإحصاء السكان الجزائريين.

Le résultat de ce recensement sera consigné sur un registre matrice tenu en double expédition, que mentionnera les noms, prénoms, profession, domicile et, autant que possible, l'âge et le lieu de naissance de tous ceux qui y sont inscrits.

سيتم تسجيل نتيجة هذا الإحصاء في سجل قاعدي للحالة المدنية محفوظ في نسختين ، وسوف يتم تسجيل: الألقاب، الأسماء، المهنة، مقر الإقامة ، مع ضرورة تسجيل -قدر الإمكان- العمر ومكان الميلاد لجميع المسجلين..

Art 3.- chaque indigène n'ayant ni ascendant male dans la ligne paternelle, ni oncle paternel, ni frère ainé, sera tenu de choisir un nom patronymique, lors de de l'établissement du registre matrice.

المادة 03: سيدعى كل شخص لم يجد لنفسه امتدادا في شجرة النسب العائلي، في الآباء أو الأعمام أو الشقيق الأكبر، إلى اختيار لقب عائلي لعائلته عند إنشاء السجل القاعدي للحالة المدنية.

Si l'indigène a un ascendant male dans la ligne paternelle, ou un oncle paternel, ou un frère ainé, le choix du nom patronymique appartient successivement au premier, au deuxième, au troisième.

إذا كان لدى المواطن الأصلي نسب في شجرة العائلة، سواء انتساب إلى الأب، أو إلى عم الأب أو إلى أخ أكبر ، فإنه يختار لقبا عائليا ينتمي على التوالي إلى: الأول والثاني أو الثالث.

Si l'indigène auquel appartiendrait le droit de choisir le nom patronymique est absent de l'Algérie. Le droit passe au membre de la famille qui vient après lui. S'il est mineur, le droit appartient à son tuteur.

إذا كان المواطن الذي له الحق في اختيار اسم العائلة غائبا عن الجزائر. ينتقل حق اختيار اللقب العائلي إلى أحد أفراد الأسرة الذي يأتي من بعده. فإن كان قاصرًا ، فيؤول الأمر إلى ولي أمره.

Art 4. — Dans le cas où la famille qui doit être comprise sous le même nom patronymique ne se composerait que de femmes, le droit de choisir le nom patronymique appartient à l'ascendante, et, à défaut d'ascendante, à l'ainée des sœurs, conformément au principe posé par l'article 3.

المادة 04: في حالة ما إذا كانت الأسرة المعنية باختيار لقبها مكونة حصريا من النساء ، فإن الحق في اختيار لقب العائلة يكون لمن تمتلك نسبا في الشجرة العائلية ، وفي حالة عدم وجود ذلك تتولى الأخت الكبرى اختيار اللقب ، وفقًا للمبدأ المنصوص عليه في المادة 3.

Art. 5. — En cas de refus ou d'abstention de la part du membre de la famille auquel appartient le droit de choisir le nom patronymique, ou de persistance dans l'adoption du nom précédemment choisi par un ou plusieurs individus, la collation du nom patronymique sera faite par le commissaire à la constitution de l'état civil.

المادة 05: في حالة رفض أو تعنت من طرف فرد العائلة الذي له حق اختيار اللقب العائلي مع وجود من يصر على اعتماد لقب قد تم اختياره من واحد أو

اكثر، فإن محافظ الحالة المدنية هو من يقوم باختيار اللقب وتسجيله في السجل القاعدي للحالة المدنية.

Art. 6. — Le nom patronymique est ajouté simplement, sur le registre matrice, au nom actuel des indigènes.

المادة 06: يضاف اللقب العائلي مباشرة إلى الاسم الحالي للأهلي الجزائري، ويسجل معه على السجل القاعدي للحالة المدنية.

Lorsque le travail de l'officier de l'état civil ou du commissaire aura été homologué conformément aux dépositions de l'article 13 ci-après, le registre matrice deviendra le registre de l'état civil, les deux doubles seront envoyés au maire de la commune, qui y inscrira les actes de l'état civil des indigènes musulmans reçue depuis sa confection, gardera un des doubles et enverra l'autre au greffe du tribunal civil de l'arrondissement.

عندما ينجز ضابط الحالة المدنية أو المحافظ العمل وفقًا لأحكام المادة 13 أدناه ، حينها يصبح السجل القاعدي سجلا للحالة المدنية. وترسل نسختا السجل إلى رئيس البلدية، حيث يسجل عقود الحالة المدنية للأهالي الجزائريين المسجلين إلى غاية ذلك التاريخ، كما يحتفظ بأحد السجلين ويرسل الثاني إلى المحكمة المدنية للمقاطعة.

Une carte d'identité, ayant un numéro de référence à ce registre et indiquant le nom et les prénoms qui y seront portés, sera délivrée sans frais à chaque indigène.

يحفظ السجل ويمنح له رقم تعريفي مرجعي، وبناء على ما فيه من معلومات يمنح كل مواطن بطاقة تعريف مجانية عليها الاسم واللقب المكتسب.

Art. 7. — Lorsqu'un nom patronymique devra être commun à un chef de famille domicilie dans une circonscription, et à des descendants ou collatéraux domicilies hors de ladite circonscription, avis du nom adopté par le premier sera donné auxdits descendants ou collatéraux, à la diligence du fonctionnaire chargé de la constitution de l'état civil, et par l'intermédiaire de l'autorité administrative de leur commune.

المادة 07: يجب أن يكون اللقب جامعا لرب الأسرة مع فروعه، وسيتكفل مسؤول الحالة المدنية وكذا إدارة البلدية بإشعار الفروع باللقب المكتسب.

Ils seront inscrits dans cette dernière suivant cette indication.

وسيتم تسجيلهم باللقب الجديد لرب الأسرة.

La notification sera accompagnée de la remise de la carte d'identité.

وستمنح لهم بطاقة التعريف بناء على ذلك.

Si, au contraire, l'indigène à qui le choix du nom patronymique appartient est domicilié dans une circonscription autre que la circonscription actuellement recensée, il sera mis en demeure, par le maire ou par l'administrateur de la commune, à la diligence de commissaire, d'avoir à faire choix du nom patronymique sous lequel sera inscrit le groupe familial.

وفي حالة ما إذا كان من منح له اللقب يسكن في منطقة غير منطقة رب الأسرة، فإن رئيس البلدية وباقتراح من المحافظ يسحب الاقامة منه.

Une carte d'identité sera ensuite adressée à tous les membres du groupe.

وستمنح بعد ذلك بطاقة هوية إلى جميع أعضاء الأسرة.

Art. 8. — Dans les circonscriptions pu la loi de 26 juillet 1873 sur la constitution de la propriété individuelle, aura été exécutée, le nom patronymique donné à l'indigène propriétaire, en vertu de l'article 17 de cette loi. Ne sera attribué à la famille que s'il est choisi par ceux auxquels ce droit est réservé par les articles 3 et 4 de la présente loi.

في المناطق التي مسها قانون 26 جويلية 1873 ، المتعلق بإنشاء الملكية الفردية، فقد تم في تنفيذه الاعتماد على اللقب الجديد للمالك للأرض بموجب المادة 17 من هذا القانون. ولن يتم منح الملكية إلا للعائلات التي استفادت من الألقاب الجديدة. وفق المادتين الثالثة والرابعة من هذا القانون.

Si ces individus ont fait choix d'un autre nom, l'indigène propriétaire, membre de la même famille, ajoutera ce nom à celui qui lui a été donné précédemment.

إذا اختار هؤلاء الأفراد لقبا آخر ، فإن المالك الأصلي ، وهو فرد من نفس العائلة ، سيضيف هذا الاسم إلى الاسم الذي سبق أن منح له.

Mention de cette addition sera faite sur son titre de propriété, ainsi qu'au bureau des hypothèques en marge du titre y déposé, ou du registre sur lequel la transcription a au lieu.

سيتم ذكر هذه الإضافة في سند الملكية الخاص به، وكذلك في مكتب الرهن العقاري، في الهامش المخصص للمعلومات، مكتب الرهون العقارية بهامش العنوان المودع هناك، أو على السجل الذي يحتوي معلومات ذلك.

Art. 9. — Les dispositions qui précédent sont applicables au fur et à mesure de la constitution de l'état civil dans le lieu de leur domicile;

المادة 09: تسري الأحكام السابقة على تسجيل الحالة المدنية في المكان محل الاقامة؛

Aux indigènes musulmanes présents sous les drapeaux;

للأهالي الجزائريين المنضوين تحت لواء العلم الفرنسي؛

A ceux qui se trouvent dans les hôpitaux ou hospices.

لأولئك الذين هم في المستشفيات أو في دور العجزة.

A ceux qui sont détenus dans une prison de France ou d'Algérie.

لأولئك المحتجزين في السجن سواء في فرنسا أو في الجزائر.

Dans ces cas, Les chefs de corps, les directeurs des hôpitaux et hospices, les directeurs de prison remplissent les attributions conférées au maire ou à l'administrateur pour l'exécution de la présente loi.

في مثل هذه الحالات ، يجب على رؤساء الفيالق، ومدراء المستشفيات ودور العجزة والسجون، أن يحلوا محل رئيس البلدية في المهام الموكلة إليه في هذا الشأن المتعلق بتنفيذ هذا القانون.

Art. 10. – a la demande des intéressés, ou sur les réquisitions du procureur de la république, mention sera faite en marge des actes de l'état civil. dressés antérieurement. des noms patronymiques attribués en vertu de la présente loi ou de la loi du 26 juillet 1873.

المادة 10: بناءً على طلب الأشخاص المعنيين، أو بطلب من وكيل الجمهورية، سيتم تسجيل تلك الملاحظات على عقود الحالة المدنية ليتم تصحيح ألقاب منحت حديثا بناء على قانون 26 جويلية 1873.

Pareille mention sera faite, à la procureure de la république, sur les bulletins n 1 classés au casier judiciaire.

وسيتم نشر ذلك بناء على أمر من وكيل الجمهورية، وتصدر في وثائق السوابق العدلية.

Art. 11. – Lorsque le travail de constitution de l'état civil sera terminé dans une circonscription, avis en sera donné dans le Mobacher et par affiches placardées dans la commune.

المادة 11: عندما يتم الانتهاء من ضبط الحالة المدنية بمنطقة معينة سيتم الإعلان عن ذلك في المبشر وفي الاعلانات الجدارية بمقر البلدية.

Un délai d'un mois est accordé à tous les intéressés pour se pourvoir, en cas d'erreur ou d'omission, contre les conclusions du commissaires à la constitution de l'état civil.

ستمنح للمعنيين مدة شهر من تاريخ الاعلان ليقدموا التصويبات في حالة أي خطأ أو سهو أو نسيان وقع فيه المحافظون في تسجيلات الحالة المدنية.

Art. 12. – Dans le mois qui suit l'expiration de ce délai, ledit commissaire rectifie, s'il y a lieu, les omissions et les erreurs signalées.

المادة 12: خلال الشهر الموالي لانتهاء الآجال يقوم المحافظ بتصحيح الأخطاء التي تم التنبيه إليها

Art. 13. – A l'expiration de ce dernier délai, le travail du commissaire est provisoirement arrêté par lui, transmis au gouverneur général civil qui, le conseil de gouvernement entendu, prononce sur les conclusions du dit commissaire.

المادة 13: عند انتهاء هذا الآجل يكون بذلك دور المحافظ قد انتهى، ويحول إلى الحاكم العام المدني الذي يعرض ذلك على مجلس الحكومة ليصادق على ذلك.

Au cas ou l'opposition des parties soulèverait une question touchant à l'état des personnes, cette question sera réservée renvoyée devant les tribunaux compétents, soit par le commissaire, soit par le gouverneur

général, sans que, pour le surplus, l'homologation du travail de constitution de l'état civil soit retardée.

في حالة ما إذا اعترضت أطراف على قضية تمس وضعية الأشخاص، تحوّل القضية إلى المحاكم المختصة قانونا، سواء عن طريق المحافظ أو الحاكم العام، دون أن يتحمل مسؤولية التأخر الحاصل على مستوى العمل في قانون الحالة المدنية.

Art. 14. – à partir de l'arrêté d'homologation, l'usage du nom patronymique devient obligatoire pour les indigènes compris dans l'opération.

المادة 14: ابتداء من صدور مرسوم الموافقة على اللقب الممنوح، يصبح العمل به إجباريا على كل الأهالي المعنيين.

Dès ce moment, il est interdit aux officiers publics et ministériels, sous peine d'une amende de cinquante à deux cents francs (50 à 200 francs), de désigner les dits indigènes, dans les actes qu'ils sont appelés à recevoir ou à dresser, par d'autres dénominations que celles portées dans leurs cartes d'identité.

من الآن فصاعدا، يمنع على الضباط العامين والوزاريين تحت طائلة غرامة مالية تتراوح بين خمسين إلى مائتي فرنك (50 إلى 200 ف) أن يستخدموا صيغة الأسماء السابقة للأهالي غير تلك الممنوحة لهم والمسجلة على بطاقات هوياتهم.

Art. 15. — tout indigène musulman qui ne sera pas en possession d'un nom patronymique, et qui établira son domicile dans une circonscription déjà soumise à la constitution de l'état civil, devra, dans un délai d'un mois. Faire sa déclaration au maire ou à l'administrateur qui en tient lieu. Celui-ci procédera à son égard comme il a été dit aux articles précédents. L'indigène sera ensuite inscrit sur le registre matrice, avec le nom patronymique qu'il aura choisi ou qui lui aura été attribué.

المادة 15: يجب على كل مسلم أصلي مقيم بمنطقة يشملها قانون الحالة المدنية ولم يحصل بعد على لقب، أن يقوم بالإدلاء ببياناته لرئيس البلدية أو إلى المحافظ المكلف بذلك خلال أجل لا يتجاوز الشهر، وفق المواد السابقة المذكورة، ليتم تسجيله في السجل القاعدي للحالة المدنية.

A défaut de déclaration, il sera procédé d'office, par le maire ou l'administrateur, comme il est dit ci-dessus.

وفي حالة لم يعلن، فإنه سيحصل على اللقب إلزاما من طرف رئيس البلدية أو القائم بأعمال الإدارة مثلما هو موضح أعلاه.

Titre 2

Des actes de l'état civil.

الفصل الثاني

عقود الحالة المدنية

Art. 16. - Les déclarations de naissance, de décès, de mariage et de divorce deviennent obligatoires pour les indigènes musulmans, à partir du jour où, conformément à l'article 14, l'usage du nom patronymique devient obligatoire.

المادة 16: ابتداء من تاريخ منح اللقب للأهلي، يصبح التصريح بالمواليد والوفيات والزواج والطلاق إجباريا وفق المادة 14 من هذا القانون

Les déclarations sont appuyées de la carte d'identité des inter venants à l'acte.

تتم التصريحات بتقديم بطاقة الهوية.

Les noms portés dans le dit acte sont rigoureusement reproduits suivant l'orthographe de la carte d'identité.

بناء على ذلك، يتم نسخ الألقاب بدقة بناء على بطاقة الهوية.

Art. 17. — Les actes de naissance ou de décès, concernant les indigènes musulmans, sont établis dans les formes prescrites par la loi française.

المادة 17: شهادات ميلاد أو وفاة الأهالي، تكون مطابقة لما ينص عليه القانون الفرنسي.

Les actes de mariage et de divorce sont établis sur une simple déclaration, faite dans les trois jours, au maire de la commune ou à l'administrateur qui en remplit les fonctions, par le mari et par la femme ou par le mari et par le représentant de la femme, aux termes de la loi musulmane, en présence de deux témoins.

يتم تحرير عقود الزواج والطلاق بناء على تصريح بسيط

خلال الثلاثة أيام الموالية للحدث، يقوم به الزوج والزوجة أو الزوج ومن ينوب عن الزوجة وبحضور شاهدين وفق نصوص الشرع الإسلامي. ويقدم ذلك إلى رئيس البلدية أو إلى القائم بأعمال الإدارة المكلف بذلك.

Toutefois, lorsque les distances ne permettront pas de faire les déclarations au siège de la commune ou d'une section française de ladite commune, elles seront reçues par l'adjoint de la section indigène.

في حالة ما حالت المسافة دون تقديم التصريح المذكور فإن شيخ القبيلة يتكفل بذلك.

Ces déclarations seront faites en arabe, suivant des formules imprimées sur des registres visés pour timbre et paraphés par le juge de paix. Ces registres contiendront une souche et un volant reproduisant les mêmes mentions.

تصدر هذه الإعلانات باللغة العربية ، وفقًا للصيغ المطبوعة على سجلات مدموغة ومختومة من طرف قاضي الصلح. وتحمل هذه السجلات هامشا للبيانات يعيد تسجيل نفس المعلومات.

Les actes seront revêtus de la signature de l'adjoint indigène on de son cachet et de la signature des parties et témoins, si ceux-ci savent écrire ; s'ils déclarent ne pas savoir écrire, mention en sera faite.

يتم توقيع وختم العقود من طرف مساعدنا الحاكم الأهلي للقبيلة، وكذا الأطراف المعنية والشهود. وإن كانوا أمّيين يسجلوا ذلك على أنهم لا يعرفون الكتابة.

Art. 18. — Les volants des actes de l'état civil sont détachés de leur souche et adressés, dans les huit jours, à l'officier de l'état civil français, pour être transcrits sur les registres au chef-lieu de la commune.

المادة 18: ترسل عقود الحالة المدنية مع مستخرجاتها خلال الثمانية أيام الموالية إلى ضابط الحالة المدنية الفرنسي من أجل تثبيتها على سجلات الحالة المدنية بمقر البلدية

Art 19. — Il sera statué sur les rectifications à opérer dans les actes de l'état civil, conformément à la loi française.

المادة 19: تتم معالجة عقود الحالة المدنية وفق ما ينص عليه القانون الفرنسي.

Par exception et pendant cinq années à partir; de la délivrance des cartes d'identité, ces rectifications seront faites sans frais à la diligence du procureur de la République.

استثناء، ووفقا لأمر وكيل الجمهورية، ستكون التعديلات خلال الخمس سنوات الموالية لاستخراج بطاقات التعريف وبدون أي تكاليف.

Pendant le même délai, les extraits des actes de l'état civil se ront délivrés aux indigènes musulmans sur papier libre avec un droit unique de vingt-cinq centimes (0 Fr. 25).

خلال نفس الفترة، سيتم تسليم مستخرجات ورقية من وثائق الأحوال المدنية للأهالي مقابل مبلغ خمسة وعشرين سنتيم 0.25 فرنك.

Art. 20. — Les crimes, délits et contraventions et matière d'état civil sont punis conformément à la loi française.

المادة 20: الجرائم والمخالفات المتعلقة بالأحوال المدنية يعاقب عليها وفقًا للقانون الفرنسي.

Art. 21. — La fabrication, la falsification d'une carte ou l'usage d'une carte d'identité fausse est réprimé conformément aux articles 153 et 154 du code pénal, sous réserve de l'application de l'article 463 du même code.

المادة 21: صناعة وتزوير بطاقة الهوية أو استخدام بطاقة هوية مزورة يعاقب عليه القانون وفقا للمادتين 153، 154 من القانون الجنائي وتحت طائلة تنفيذ المادة 463 من نفس القانون.

Art. 22. — Un règlement d'administration publique déterminera les conditions d'exécution de la présente loi, qui sera immédiate ment appliquée à toute la région du Tell algérien, tel qu'il est délimité au plan annexé au décret du 20 février 1873 sur les circonscriptions cantonales.

المادة 22: ستحدد شروط تنفيذ هذا القانون وفقا لنصوص تنظيمية، حتى يتم تطبيقه مباشرة على مناطق التل الجزائري وفق ما تم تحديده في مرسوم 20 فيفري 1873على مناطق المحتشدات.

En dehors du Tell, des arrêtés du gouverneur général détermineront successivement les territoires où elle deviendra exécutoire.

خارج إقليم التل ستحدد أمريات الحاكم العام الأقاليم أو المناطق التي يطبق عليها هذا القانون.

Art. 23. — Sont abrogées toutes dispositions contraires à la présente loi.

المادة 23: يتم إلغاء جميع الأحكام المخالفة لهذا القانون.

La présente loi, délibérée et adoptée par le Sénat et par la Chambre des députés, sera exécutée comme loi de l'Etat.

هذا القانون ناقشه مجلس الشيوخ ومجلس النواب، وسيتم تنفيذه بصفته قانون دولة.

Fait à Paris, le 23 mars 1882.

Jules Grévy.

حرر بباريس في: 23 مارس 1882

جول غريفي

Par le Président de la République :

Le Garde des Sceaux, Ministre de la Justice et des Cultes,

Gustave Humbert.

عن رئيس الجمهورية
حافظ الأختام، وزير العدل والمقدسات
غوستاف إيمبار

المصدر:

Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie, N 871, Année 1882, pp 159 – 163.

النشرية الرسمية للحكومة العامة بالجزائر، ع 871، سنة 1882، ص ص 159 – 163.

التقارب الجزائري التونسي بعد الاستقلالمن خلال المصادر التونسية: محاولات مقترح الكاف 1973 أنموذجا

د/ سعيد جلاوي

أستاذ التاريخ المعاصر جامعة البويرة

إن قضية الوحدة من القضايا التي شغلت قدرا كبيرا من اهتمامات القادة السياسيين، في المغرب الكبير بعد الاستقلال، حيث شرعت تونس كدولة ناشئة بعداستقلالها عام 1956 في استكمال سيادتها الإقليمية و كذا بالنسبة للجزائر بعد تحررها من الاستعمار الفرنسي سنة 1962، و في ضل التطورات التي شهدتها الساحة المغاربية سيم بعد بروز ليبيا كقوة إقليمية بعد الفاتح من سبتمبر 1969 و بما تتوفر عليه من إمكانيات و ما تمثله من توجه ثوري و تحالفه مع النظام المصري دفع بالنظامين التونسي و الجزائري الى البحث عن التموقع في شبكة العلاقات المغاربية المعقدة و البحث عن السبل الوقائية مستقبلا ، فكان خيار التقارب و السعي للوحدة ضمن إستراتيجية النظامين.

حيث كانت البداية بالشراكة الاقتصادية طيلة الستينات و مطلع السبعيتان رغم بعض الخلافات لظرفية التي اسهمت في تشنج العلاقات لبعض الوقت رغم ذلك كان مقترح الكاف سنة 1973 من بين اهم محاولات التقارب بين النظامين.فهل**هذا التقارب نتاجا لعامل التعاون الثنائي بين البلدينأم لاعتبارات ظرفية و حسابات سياسية مرتبطة بمعطيات اقليمية**؟ هذه الإشكالية سنجيب عليها من خلال التطرق إلى مظاهر التقارب الجزائري التونسي منذ 1962 الى غاية 1973 تاريخ انعقاد لقاء الكاف مع التوقف على وقائع هذا الأخير و نتائجه.

بالرغم من بعض الأزمات العابرة بين النظامين الجزائري و التونسي بعد الاستقلال و التي تسببت في فتور العلاقات بينهما لفترات محدودة كالمؤامرة الانقلابية في 1962 ضد الحبيب بورقيبة التي اتهم فيها النظام الجزائري باوائهللعناصر اليوسفية. و التي تم على أثرها استدعاء السفير الجزائري قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين في 1 جانفي 1963 ،لكن سرعان ما عادت العلاقات إلى مجراها الطبيعي في 25 ماي من نفس السنة و بالتالي فتحت الطريق للتقارب من جديد الذي أدى الى توقيع اتفاقيات شراكة و تعاون اقتصادي توجتبالتوقيع على اتفاقية في 11 ديسمبر 1963 التي مهدت الطريق نخو اندماج اقتصادي كمرحلة تفتح الطريق نحو اندماج سياسي لدول المغرب الكبير، و تم توقيع على إثرها على عدة اتفاقيات[1].و في مقدمتها اتفاقية التي تقضي بإنهاء للخلاف الحدودي في 6 جانفي 1970 و تم بصفة نهائية تخطيط الحدود بين البلدين[2]و استمر البلدين في توسيع الشراكة إلىأن بلغت عدد الاتفاقيات إلى 40 اتفاقية ممضية منذ 1963 ،حيث تم تكميلتها و تجديدها في 6 جانفي 1970 بعد زيارة وزير خارجية الجزائر إلى تونس و إمضاء معاهدة الإخوة و حسن الجوار و التعاون التي كانت أداة لتسوية كل المسائل التي تعترضهما و ذلك في ضل التفاهم المتبادل بينهما و على أساس الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية و الوحدة الترابية و حرمة حدودهما القومية و عدم التدخل احدهما في شؤون الآخر و مبدأ المساواة في المنافع المتبادلة.[3] ثم لتواكبهاسلسلة من الاتفاقيات الاقتصادية و المالية و تعاون في ميدان السياحة و الصناعة و النقل و الصحة العمومية والتعليم و انضوت تحت ثلاثة اتفاقيات جمركية خلال فترة 1970 - 1975 لترتفع بذلك عدد

[1] أنظر. بشأن تطور الشراكة الاقتصادية .في مجلة مغرب. ع/01 سنة 1963 ص 8.

[2] شنقير عبد العزيز: السياسة الخارجية لتونس 1987/1956 ارمتان، 2004،ص 170 .

[3] أنظر:نص المعاهدة في ملحق المعاهدات دراسات دولية ع/14- 1985-ص 58.

الاتفاقيات المبرمة بين البلدين إلى 47 ليصل العدد الإجمالي إلى 88 اتفاقية مبرمة بينهما[4] الأمر الذي دفع بالنظامين الى التفكير في آليات سياسية جديدة تجعل من البلدين أكثر تقاربا و اتحادا مما كان عليه من قبل فكانت مبادرة الكاف من طرف الرئيس الجزائري أول تلك الآليات السياسية نحو التقارب.فما هي دوافعهاوانعكاساتها على العلاقات بين النظامين ؟

كان لبروز ليبيا في مطلع السبعينات كقوة إقليمية بما تتوفر عليه من ثروة طائلة و قوة بشرية و ما تمثله من توجه ثوري و تحالفه مع النظام المصري أصبح يمثل مصدر قلق لتونس و الجزائر، و يمثل اختلالا في التوازن الاستراتيجي في المنطقة الإفريقية و العربية عامة الأمر الذي دفع بالطرفين إلى التفكير في كيفية تحصين نفسهما من مخاطر هذا الاختلال، خاصة خوف النظام الجزائري من استمالة النظام الليبي لجارته الشقيقة تونس جعل من الرئيس هواري بومدين المبادر الأول للخطوة نحو مشروع الوحدة[5]، لكن إذا ما عدنا إلى قضية الوحدة في التصور البورقيبيأن قاعدتها الأساسية هي المصلحة الاقتصادية المبنية على التكتل الاقتصادي الشامل كان إقليمي أو قومي.والنظام الجزائري ينظر إلى قضية الوحدة بنوع من الحذر و التحفظ كون أن المواثيق الجزائرية لا تشير إلى أية تصور حكومي أو حزبي لمسألة الوحدة رغم أن الرئيس هواري بومدين يؤمن بصدق الوحدة العربية لكن الوقت لم يحين لانجازها، فالأولوية لاستكمال التحرير الوطني من الداخل[6] و هو ما أكده دستور الجمهورية الجزائرية القاضي بالتزام الجزائر "بدعم جميع أشكال الوحدة الاندماجية القابلة للاستجابة للتطلعات

---

[4] شنقير عبد العزيز نفسه ،ص 170 .

[5] ببورقيبة، الحبيب:بيان إلى مجلس رؤساء الدول العربية في دورته الثالثة بالدار البيضاء، قرطاج 1965/09/11: ص،67،ص54.

[6] البوني،(عفيف): الوعي القومي و الأحزاب السياسية في الغرب العربي، ص 216.

المشروعة للشعوب العربية و ذلك متى نضجت الظروف"[7] و يبقى هذا التصور للوحدة الذي يحدده هذا الدستور بمثابة المرجع في العمل السياسي العربي القيادة الجزائرية ، وهذا يتجانس في الى حد بعيد مع التصور البورقيبي رغم التقاطع في التوجهات الخارجية المتعلقة بالعلاقات مع العالم الغربي، ، حيث أن بورقيبة يربط تحقيق الوحدة بتوفر الظروف الموضوعية الملائمة و تغيير الذهنيات[8] و هو ما يحتاج الى مشروع مجتمع لترقية المواطن في افكاره و اسلوب حياته.

و يتضح في رأينا أن كلا النموذجين الجزائري و التونسي يركزان على المصلحة المباشرة للدولة الوطنية بمفهومها القطري. و هو ما كرسه بورقيبة في خطبه قائلا: "لقد قمت بكفاح دام خمسين سنة من اجل تحرير الوطن التونسي ، و لا ليصبح جزءا من الأمة العربية"[9]، ففي نظره الوحدة مغامرة كبيرة و أنظمة العالم العربي – ليبيا و الجزائر جزء منه – اليمينية و اليسارية غير مهيأة لذلك و هذا يحتاج إلى قرون لتحقيقها[10].

و إذا عدنا إلى محددات السياسية و الاقتصادية التي تتحكم في العلاقات بين البلدين مع مطلع السبعينات نجد أن النموذج التنموي الجزائري قد نال إعجاب التونسيين حيث علقت جريدة L'actionالتونسية " أن الجزائر ستكون بلد يتمتع بقوة اقتصادية في فريفيا الشمالية"[11] و هذا التعليق اختزلته العديد من الزيارات

---

[7] دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية الصادر في 22 نوفمبر 1976 في بنده 87.

[8] أنظر:خطاب بورقيبة في 16 ديسمبر 1972 في البالماريوم بتونس.

[9] نفسه.

[10] عبد الجليل،(التميمي): بورقيبة و البورقيبيون من خلال المذكرات السياسية لطاهر بلخوجة، دراسات في منهجية الحكم و السياسة البورقيبية، ص 112.

[11] L'action du 4/4/1972

بين مسؤولي البلدين " تعمقت فيها التأملات و المباحثات عند لقاء كبار المسؤولين فمن 18 إلى 27 ديسمبر 1971 أدى وزيرنا للخارجية زيارة إلى الجزائر حيث أكد البيان المشترك "رغبة البلدين في تجسيد وحدة المغرب العربي ..." و من 20 إلى 26 قدم بومدين بدوره إلى تونس في زيارة رسمية رفقة وفد رسمي زار خلالها بنزرت و سوسة و القيروان و قابس و جربة في جنوب البلاد"[12] و في ماي 1972 رد بورقيبة بزيارة للجزائر دامت أسبوعا كاملا "حافلا بالتجمعات الشعبية في العاصمة و قسنطينة و وهران ركز الزعيمان في تصريحاتهما الرسمية على "المصيرناالمشترك"لكن دون أن تكون لتلك التصريحات محتوى علمي و منطق واقعي و كان بورقيبة مع خضوعه لتلك التظاهرات الظرفية قد حدد اختياره المتمثل في البحث الدءوب عن المصداقية السياسية التي من شانها ضمان الدعم و المساعدة الاقتصادية الغربية و الدولية أما هواري بومدين فكان منغمسا غارقا في تجربته الشعبية الاشتراكية "[13] كانت هذه الزيارة المتبادلة تمهيدا للقاء الكاف بين القيادتين التونسية و الجزائرية.

تعددت الاتصالات السرية بين المسؤولين التونسيين و الجزائريين كما اشرنا سابقا و توجتفي الأخيرباجتماع الكاف في 11 ماي 1973 أين اتخذ هواري بومدين زمام المبادرة و زار مدينة الكاف هو ما علقت عليه الجرائد التونسية على رأسها جريدة العمل التونسية التي أوردت وصفا لوقائع اللقاء معلقة "و في نطاق سياسة اللقاءات الدورية و المشاورات بين الشقيقتين التقى اليوم المجاهد الأكبر بالرئيس الجزائري هواري بومدين على ارض تونس"[14] كما علقت عن الحدث و

---

[12] طاهر،(بلخوجة): الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على العصر ، مطبعة علامات الشرقية تونس ،ص 202.

[13] نفسه: ص 203.

[14] انظر: العمل بتاريخ 11 ماي 1973 .

بعنوان بارز " بومدين في وطنه الثاني في يوم مشهود و مفعم بروح الإخوة و التعاون"[15] كأن الحدود أصبحت وهمية بين البلدين ، لكن اعتبر بعض المسؤولين التونسيين ان اللقاء كان مفاجئا بالنسبة لبورقيبة على حد تعبير وزير الداخلية التونسي طاهر بلخوجة لان بورقيبة حسب هذا الأخير لم يكن يعلم "بل كان في زيارة تفقدية لإحدى المدن التونسية الغربية على الحدود الجزائرية و هي مدينة "الكاف"، وقدفوجئ الجميع بحلول الرئيس هواري بومدين في اليها بالضبط في المركز الحدودي فج الكحلاء "[16] فهل كان اللقاء صدفة ؟ أم يكون الطرفان على علم ؟ ام عمل مخابراتي، ففي رأينا أن احتمال الصدفة احتمال ضعيف . لكن احتمال تسرب أخبار تحركات المسؤولين في البلدين مسبقا ، و إلاكيف يتم اللقاء في هذه النقطة الحدودية بين القيادتين ؟.

و خاصةأن الرغبة في اللقاء كانت بادية من الطرف الجزائري كونه هو المبادر.

بالفعل التقى الطرفان مع الوفد المرافق لهما[17] و سار الموكب وسط هتافات حارة في المدن و القرى الحدودية منها بابوش وعين دراهم و فرنانة و جندوبة كون هذه المدن ترتبط تاريخيا بالمدن الحدودية المجاورة و كانت اللافتات تحمل[18]

---

[15] نفسها بتاريخ 12 ماي 1973 .

[16] طاهر،(بلخوجة): المصدر نفسه ص 203.

[17] و كان من المرافقين للرئيس التونسي كل من " طاهر بلخوجة وزير لداخلية و محمد المصمودي وزير الخارجية و الحبيب الشطي مدير الديوان الرئاسي و احمد نور الدين سفير تونس بالجزائر، بينما بومدين كان مصحوبا بـ عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية و احمد مدغري وزير الداخلية و عبد السلام بلعيد وزير الطاقة و احمد دراية مدير الأمن والتيجاني هدام سفير الجزائر بتونس.أنظر طاهر،(بلخوجة): المصدر نفسه ص 203

[18]

شعارات" شهداء الساقية رمز عزيمتنا على تشييد المغرب الكبير و اللقاء بين الزعيمين لبنة في بناء المغرب العربي."[19]

و بدأت المحادثات في اليوم الأول على الساعة الخامسة و ربع مساءا في القصر الرئاسي بمدين الكاف و انتهت في السادسة و نصف "و تحادث الطرفان لمدة ساعتين بحضور وفديهما و انظم إليهمالشاذلي العياري وزير الاقتصاد[20] لكن المحادثات هل كانت علنية ام سرية فهناك روايتان ما جاء في جريدة العمل التونسية أكدت على أن المحادثات تمت على انفراد قائلة" الرئيسان يتحدثان على انفراد لمدة ساعتين "[21] بينما رواية طاهر بلخوجة تؤكد على علنية المحادثات.

وفقا للتقاليد للأعراف الدبلوماسية الدولية صدر البيان المشترك لاجتماع الطرفين حيث ورد في بعض مختطفاته ما يلي" وفاءا لما بين الجزائر و تونس من تضامن أثبته الكفاح المشترك خلدته دماء الشهداء و تبعا لما سنه الرئيسان لحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية و هواري بومدين رئيس مجلس الثورة و حكومة الجمهورية الجزائرية من تقاليد اللقاءات و التشاور في مستوى القمة و سعيا إلى مزيد من الترابط و التلاحم بين الشعبين يعتبر هذا اللقاء تاريخيا لما جار فيه من محادثات هامة تناولت قضايا مصيرية تتجاوب و رغبة الشعبين الشقيقين و طموحهما إلى الوحدة الرامية إلى تكريس الجهود و الطاقات لما ينفع مجموعنا و يحقق المزيد من التقدم و العدالة الاجتماعية...."[22] و الملاحظ لمحتوى البيان في شطره الاول انه لم يشير بتاتا إلى نتائج اللقاء بل جاء بصورة عامة حول ضرورة التواصل في قضايا تنفع الشعبين الشقيقين باستثناء الإشارة إلى مصطلح القضايا

[19] طاهر،(بلخوجة): المصدر السابق ص 203.

[20] نفسه ص 203.

[21] العمل:بتاريخ 11 ماي 1973.

[22] انظر: البيان المشترك التونسي الجزائري في العمل: 13 ماي 1973.

المصيرية التي تتجاوب مع طموح الشعبين و التي يحتمل أن تكون قضية الوحدة احد عناصرها.

و حسب طاهر بلخوجةأن بومدين قد نوه في حديثه مع بورقيبة انه مستعدلأي شكل من أشكال الوحدة العضوية بين البلدين سواء في شكل اتحاد فدرالي آو اتحاد كونفدرالي و صرح قائلا" إني أتيت لاقتراح عليك وضع الحجر الأساسي لهذا البناء: الوحدة بين الجزائر و تونس و سنحققها بطريقة منظمة و لكن ثابتة (...) و سنتقدم فيها على مراحل"[23] و يبقى هذا الكلام مجرد وجهة نظر تونسية فليس لدنا ما ننقض به ما أورده طاهر بلخوجة من مصادر جزائرية.

رغم التجانس القائم بين البلدين في كثير من العناصر الهامة و التقارب في الرؤية لقضية الوحدة بين إلا أن الحبيب بورقيبة رفض اقتراح الرئيس الجزائري بشأن هذه الوحدة[24]، و خاصة أن هذا الأخير قد أكد على توفر كل الإمكانيات بين البلدين لاستكمال الوحدة بعد خوض تجربة هامة من التعاون الثنائي المشترك في عديد المجالات ن فلا مانع أن تكون هذه الوحدة بمثابة الخطوة الأولى على طريق الوحدة العربية[25].

لكن المقترح الجزائري المتعلق بالوحدة مع تونس في نظر المحللين السياسيين جاء في ظرف إقليمي قائم على حسابات قطرية ، كالاستعداد لمواجهة الانعكاسات المحتملة لقيام الوحدة المصرية السورية الليبية،و كذلك دعم الجزائر لموقفها التفاوضي في خلافها الحدودي مع المملكة المغربية. لكن لم يكن ذلك العامل

---

[23] طاهر،(بلخوجة): مصدر سابق ص 205- 206.

[24] نفسه: ص - 206.

[25] انظر: عيد القادر لعريبي نقلا عن :محمد، (المصمودي)" العرب في العاصفة، دار النشرسيموان باريس1977 ص 28 / 29.

الرئيسي المحدد للموقف التونسي الرافض لمقترح الوحدة ،لان بورقيبة بدوره كان يعي انعكاسات قيام هذا الاتحاد للبيبي المشرقي، كما كان أيضا يسعى لتجاوز الخلافات الحدودية.

لكن الحبيب بورقيبة بكل بساطة كان قلقا من الكيان الجزائري ، فرد على اقتراح بومدين بمزايدة ترابية من خلال المطالبة بضم إقليم قسنطينة إلى تونس كشرط مسبق لقيام الوحدة لأنه يحقق لها توازنا جغرافيا بين البلدين،و في نظرنا يعد هذا المطلب المشروط مطلبا تعجيزيا يوحي بالرفض غير المباشر من الطرف التونسي و هو ما أكده احمد بنور مدير الأمن والاستخبارات التونسي السابق الذي اعتبر المطلب رفض غير معلن "كون تونس غير مستعدة لإعطاء الإجابة و الرد المقنع للجزائر"[26]

ما أزعج الرئيس الجزائري هواري بومدين الذي رد عليه قائلا: "إني أرى تونس ليست ناضجة لتوحيد بلدينا"[27].

بعث هذا الطرح نوع من الخيبة لدى الطرف الجزائري و هو ما يتضح في في الفقرة الأخيرة من البيان"أن رئيسي الدولتين اتفقا على أن يواصلا في القمة و في المستقبل القريب محادثاتهما المتعلقة بمصير البلدين(...)كما تم الاتفاق بينهما على تعزيز تضامننا و تكاملنا..."[28]و هذا ما يؤكد بصورة واضحة عن فشل اللقاء رغم عدم الاشارة الواضحة للبيان ويمكن أن يعود ذلك لعمق الخبرة الدبلوماسية و إدراك

[26] شهادة احمد بنور في حوار مع احمد منصور في حصة شاهد على العصر" الحلقة 7 قناة الجزيرة بتاريخ 2012/12/23

[27] طاهر،(بلخوجة): مصدر سابق، ص ، 205.

[28] نفسه.

الرجلين للأعراف السياسية الدولية .لكن في الواقع ما تضمنته المحادثات كانت توحي بغياب الإرادة السياسية لدى الطرف التونسي لاعتبارات التالية.

لان في هذه الفترة بالذات كان الحبيب بورقيبة يعي أهمية التوازن الاستراتيجي في المنطقة كشرط وقائي لحماية الكيانات القطرية. هو ما جعل بورقيبة يؤمن بان نجاح الوحدة مرهون بتوازن القوى على جميع الأصعدة في أبعادها الجغرافية و البشرية والاقتصادية، لان الاختلال الكبير بين الكيانين سيهدد بذوبان الكيان التونسي في حالة قيام الوحدة، و خاصة أن المبادرة قد سبقت من الجانب الجزائري هذا ما زاد من مخاوف النظام التونسي و تفكير لحبيب بورقيبة في التوجه نحو النظام الليبي[29] لان بورقيبة يرى في الوحدة" أساس النجاح الاقتصادي لدعم أركان الدولة"[30]

هذا التوجه الجديد لبورقيبة في التقارب مع النظام الليبي تحدده معطيات إستراتيجية كون أن البلدين ينسجمان في عناصر التكامل حيث أن ما تحتاج إليه تونس من أراضي زراعية و يد عاملة بشرية متوفرة في تونس، و ما تحتاج إليه تونس من أموال النفط قد تتوفر في ليبيا ، فيجعل كل واحد منهما مكمل و ضروري للأخر ، ضف إلى ما يربط بين البلدين من وشائج عديدة تاريخية و دينية و جغرافية هو ما أكده بورقيبة في "إذ أمتينا تتكاملان فتونس لديها الإطارات و التقاليد الثقافية الا إن أراضيها محدودة المساحة بينما ليبيا تمتلك أموالا و مساحة ترابية هذه العوامل تجعل في الإمكان إقامة تعاون مثمر بين البلدين"[31] هذا ما دفع بورقيبة في الإفصاح عن برغبته في الوحدة في خطاب طرابلس في

---

[29] سعد الدين،(ابراهيم): "اتجاها الرأي العام العربي نحو المسافة السياسية بين الأقطار العربية"،مجلة المستقبل العربي،ع15/ بيروت ،لبنان، مركز الدراسات الوحدة العربية ، ماي 1980، ص 91ن 95.

[30] أرشيف: (د . ك. و)، خطاب الحبيب بورقيبة يوم 1958/01/18،A MUL.K7 ملف رقم:33.

[31] بورقيبة، (الحبيب): خطب مولدية، تونس نشريات وزارة الإعلام ، 1979 ، ص 120 ، 123.

سبتمبر 1973."رغم انه يرى أن العرب ليسوا المجموعة الوحيدة من الشعوب لها صلات تاريخية لكنها لم تجد طريقها إلى الاندماج لان عناصر التقارب وحدها لم تكن كافية علاوة عن الفروق القديمة و المتجذرة"[32]

هذه المبادرة في نظر الحبيب بورقيبة أنها المخرج الأنسب لتفادي المنطقة عواقب التوجه المشرقي للقيادة الليبية سيما الوحدة الليبية المصرية زيادة على ذلك أن المقترح الجزائري قد نبه بورقيبة بمخاطر السياسة الليبية على مستقبل التوازن الاستراتيجي للمنطقة المغاربية و مصالحها القطرية و نبهته إلى ضرورة اخذ الاحتياط ضد الأخطار المحتملة للمشروع الوحدوي الليبي ، لان الوحدة الليبية المصرية ستجعل من دولة تونس الناشئة قزما بين الكيان العربي شرقا و الجزائري غربا مما جعلها تحرص على امن و استقرار نظامها، علما أن قوة الكيانين الليبي و الجزائري لا تكمن فقط في المساحة و الثرة إنما في تفوقهما العسكري الذي يتجاوز إطارهما القطري بالمقارنة مع دولة تونس الصغيرة[33]

ففي ضل هذه التجاذبات السياسية التي تشهدها المنطقة العربية و رغبة لحبيب بورقيبة في التموقع لتحصين دولته فكر في الانضمام إلى حلف الشمال الأطلسي مصرحا: "أنا أنظر بعيدا فتونس مهددة بالانمحاء بين الثورتين المسلحتين، بالطبع استطيع دائما الاعتماد على القوات الأمريكية و أسطولها السادس...و المنظمة هي

[32] حرزلي،(الفاضل): بورقيبة وقضايا عصره، أوت 2013 المنستير، تونس ص 46

[33] حول ملامح القوة العسكرية التونسية مقارنة ببقية بلدان المغرب العربي أنظر: بن العربي ابراهيم: المغرب:التحالفات و الصراعات بين ثلاثة حكومات مذكرة الدراسات المعمقة في الحقوق جامعة قرونوبل 1987.

وحدها القادرة على توفير الضمانات الضرورية لكن قيادته المحاطة به أقنعته بالعدول عن فكرة الانضمام إلى الحلف الأطلسي[34]

و لتحصين نفسها و حماية حدودها من خطر هذه المشاريع السياسية الطموحة التي تهدد الكيان التونسي لجأت القيادة التونسية إلى الانفتاح السلمي بتدعيم علاقات التعاون الاقتصادي عن طريق تطوير لمشاريع الاقتصادية المشتركة مع بلدان الجوار، و حل كل خلافاتها سواء السياسية سيما خلافها مع الجزائر حول العلامة الحدودية رقم 233.لكن هذه السياسة لم تقي البلاد التونسية من تابعات المد القومي الوحدوي في المنطقة بل لم تمنعها من أن تكون طرفا معنيا و بشكل مباشر بمشاريع الوحدة الأمر الذي دفع بالقيادة التونسية إلى تغيير سياستها و خطابها بما يضمن لها مصالحها القطرية، رغم إدراكها لصعوبة تجسيد هذه الوحدة بسبب اختلاف الأنظمة السياسية و تباين نسب النمو الاقتصادي بين البلدان العربية، و ضعف الإرادة السياسية الحقيقية لدى معظم هذه البلدان رغم إيمانها بالوحدة الا أنها قد تختلف في كثير من الأشياء. مما يجعل الاتفاق على أرضية مشتركة أمر صعب المنال، و هو ما قد كشفت عنه التجارب الوحدوية الفاشلة للقذافي مع دول المشرق كمصر و سوريا و السودان التي أظهرت المطامح القطرية لدي هذه الدول.

و في رأينا أن السياسة التي انتهجتها القيادة التونسية عام 1973 و التي قادها إلى توقيع اتفاق جربة الوحدوي يدخل في إطار القبول بالضغط الوحدوي الذي تمارسه بعض الأنظمة العربية، ففضلت مسايرة هذا التيار الوحدوي مع النظام

[34] أنظر: عبد القادر لعريبي نقلا عن محمد، (المصمودي)" ص 35.

الليبي أفضل من مواجهته.[35] و خاصة أنها بلد حديث النشأة يعاني من ضعف عسكري لا يبلغ حد خدمة أهداف سياسته الخارجية و طموحاته الدبلوماسية [36]

و من جانب آخر بورقيبة يريد التقرب من النظام الليبي لإبعاده عن التأثيرات المشرقية و إعادته إلى حظيرة المغرب الكبير للمحافظة على علاقات ليبيا المغاربية التي نسجها الملك إدريس في إطار اللجنة الاستشارية الدائمة لبلدان المغرب العربي التي أوقفها ألقذافي بعد ستة أشهر من وصوله إلى السلطة تحت تأثير المد القومي الناصري بحجة أن مشروع الوحدة المغاربية وحدة جزئية تهدد الوحدة العربية الكلية، و يحكم على البلدان المغربية بتبعيتها لأوربا، و قد صرح بهذا الشأن" يحملني عقلي و قلبي نحو المشرق العربي"[37]

و بمناسبة احتفال ليبيا بالذكرى الرابعة لثورتها نوه بورقيبة في خطابه يوم 1 سبتمبر 1973 بطرابلس بأهمية رجوع ليبيا إلى الإقليم المغاربي من خلال الإلحاح الضمني للوحدة التونسية الليبية[38]

كما أشاد بالرصيد التاريخي المشترك بين البلدين قائلا: " أن الروابط التي تكونت بيننا تبعا لهذه العلاقات الممتازة التي توطدت دعائمها منذ سنة 1911 و ما تخللها من دماء زكية تطهرت بها الوحدة التونسية الليبية لا يمكن أن يلفها النسيان"[39] و استحضر في خطابه ما يوحي بارتباطاته التاريخية بليبيا حيث نوه

---

[35] إدريس،(الرشيد): "السياسة الخارجية التونسية: الثوابت و المتغيرات" دراسات دولية، ع/31، تونس فيفري 1989 ،ص 145.

[36] انظر: خطاب معمر القذافي، بتاريخ 27 / 12 / 1969

أنظر:عبد القادر لعريبي نقلا عن :

37Stemer,(Elisabeth) : la tentative de fusion tuniso-libyenne, op.cit ,p 9.

[38] انظر: عيد القادر لعريبي نقلا عن : محمد، (المصمودي)" المصدر نفسه ص 36.

[39] بورقيبة، (الحبيب):خطب، ، ج21، ص 354 - 355.

بأصوله الليبية "المصراتية" و قصة عبوره للأراضي الليبية أثناء رحلته إلى القاهرة.[40]

و شكلت تلك الزيارة بالنسبة لبورقيبة فرصة للتباحث مع الرئيس الليبي معمر القذافي في مختلف الأمور التي تهم البلدان العربية سيما مسالة الوحدة و آلياتها[41] و تأكد ذلك على لسان وزير الخارجية الحبيب الشطي في الندوة الصحفية التي عقدها بتونس في 16 جانفي 1974 "ان القذافي مستعد بتوجيه اهتماماته بمنطقة المغرب العربي[42]، حيث تعاطت القيادة الليبية بكل جدية مع الدعوة التونسية، فلم يعارض القذافي ذلك بل اعتبر مسالة الوحدة "واجب قومي الذي يملى عليه طرق كل الأبواب القابلة للانفتاح من اجل تحقيق الوحدة العربية"

بالرغم من ميولات القذافي المشرقية إلا انه أصر على دفع الحوار المغاربي مع الجزائر و تونس اللتان أبدت تجاوبهما المبدئي لمشروع الوحدة، و أكد القذافي في خطابه بتونس في 16 ديسمبر 1973 "أن الشعب الليبي يحلم مثل بقية الشعوب العربية المجاورة بالوحدة، و يحلم بالقومية العربيةوبالاشتراكية و تحرير فلسطين، و أن القيادات السياسية اليوم مطالبة بالاستجابة لطموحات الجماهير أين ما كانت في الوطن العربي حتى هنا بتونس قبل القذافي بدعوة بورقيبة للوحدة فالتقى النظامان على توقيع اتفاق جربة الوحدوي في جانفي 1974 .فما هي الأسس التي أقيمت عليها هذه الوحدة و ما هي أهداف كل طرف منه و ما هو المصير الذي ألت إليه و انعكاساته على علاقات تونس المغاربية .

---

[40] بورقيبة، (الحبيب):خطب، ، ج21، ص 54 ،55.

[41] أنظر جريدة العمل بتاريخ 1 سبتمبر 1973.

[42] أنظر جريدة العمل بتاريخ 17 جانفي 1974.

و في الأخير اتضح لنا ان لقاء الكاف المنعقد في 11 ماي 1973 بين الطرف التونسي و الطرف الجزائري لم يأتي بالنتيجة المرجوة خاصة من الطرف الجزائري للاعتبارات التالية:

-كونه أن الاجتماع مجرد لقاء عادي لم يتم التحضير له كبقية اللقاءات الرسمية المعروفة في التقاليد الدبلوماسية.

- غياب الإرادة السياسية لد الطرفين كون أن احد الطرفين بادر و الأخر اشترط ما يؤكد عن عدم وجود القابلية.

- أن اللقاء لم يكن يحمل مشروع وحدة حقيقية بل جاء في صورة شكلية بدافع من ظروف إقليمية تتسم بالتجاذبات و السعي لتشكيل شبكة من التحالفات من اجل التموقع الوقاية من المخاطر المحتملة.

موقف الحزب الشيوعي الجزائري من الثورة التحريرية 1954 . 1962 م

د/ محمد سريج / محاضر "أ" / جامعة الشلف

ظهرت بوادر العمل السياسي في الجزائر مطلع القرن العشرين الميلادي في شكل أحزاب و جمعيات و نوادي مثلتها شخصيات قدمت مطالب و عرائض تتضمن اهتمامات الجزائريين و تندد بالسياسة الاستعمارية الفرنسية ، ثم ظهرت الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى الممثلة في أحزاب لها اتجاهات سياسية و إصلاحية ، اعتمدت النضال السياسي وسيلة لتحقيق المطالب الوطنية ، نذكر منها المساواة : الاندماجي (النواب المنتخبين) و الإصلاحي (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم تطور إلى الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) و الاتجاه الاستقلالي (حزب الشعب ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية) و الحزب الشيوعي الجزائري ، هذا الأخير تعددت بشأنه الآراء فيما يتعلق بعلاقته بالثورة التحريرية ، و هو ما نحاول الإجابة عنه من خلال هاته الإشكالية : **ما موقف الحزب الشيوعي الجزائري من هجومات 1 نوفمبر 1954 ؟ وبم تميزت العلاقة بين الحزب الشيوعي الجزائري وجبهة التحرير الوطني ؟**

1 . نشاط الحزب الشيوعي الجزائري من 1925 إلى 1936 :[1]

ظهر الحزب الشيوعي الجزائري**Parti Communiste Algérien** . فرع الجزائر. عموما إثر الحرب العالمية الأولى مباشرة، وكان قد ربط دعوته في بداية أمره بشخص الأمير خالد [2] وترجع جذوره الأولى إلى مولد الاتحاد الثقافي للعمال

1

[2] . أبو القاسم، سعد الله، "الاتجاهات الفكرية والثقافية للحركة الوطنية الجزائرية " (بحث ألقي بمناسبة الملتقى الأول لكتابة تاريخ الثورة المنعقد في 28 أكتوبر إلى 1 نوفمبر 1981)، ص . ص 1 . 13 .

الجزائريين الذي تكون سنة 1902 بفرنسا، وصار بعض أعضاء هذا الاتحاد من أبرز العاملين في الحزب الشيوعي الفرنسي بالجزائر بعد الحرب العالمية الأولى [3] ، والظاهر أن هذا الاتحاد قد تأثر خاصة بالآراء الماركسية، لأن "لينين" لم يهتم بمسألة الجزائر إلا عرضا، مثل اهتمام "كارل ماركسKarlMarx،" و" فريديريك أنجلز Friedrich Engels" بها من قبل ،ولم يتكلم عنها إلا أثناء تناوله الكلام عن أحوال المستعمرات الفرنسية، وسواء تبنى الحزب الشيوعي الجزائري الآراء الماركسية أو الأفكار اللينينية، فإنه كان بعد الحرب العالمية الأولى مكونا من ثلاث اتحاديات سميت باتحاد الحزب الاشتراكي الجزائري، تبنت كلها الشرط السادس عشر والثامن عشر من شروط العضوية في الأممية الشيوعية الثالثة التي كانوا أعضاء فيها خلال انعقاد مؤتمر مدينة تور في ديسمبر1920 [4] ، و كان هذان الشرطانيلزمان العضو بمساندة كل حركة مناهضة في المستعمرات، والمناداة بطرد الامبريالية من هذه المستعمرات، كما أنها كانت ترى أن حرية البروليتاري الأهلي في شمال إفريقيا لا يمكن أن تكون إلا ثورة ضد السلطة الحاكمة، وإن أحسن وسيلة لإعانة حركات التحرر في مستعمرة شمال إفريقيا ليس معناه التخلي عن المستعمرة، بل بالعكس يجب إبقاء والعمل من أجل أن يرسخ الحزب الشيوعي، كما يجب مضاعفة دعاية المشاركة في المنظمات النقابية

---

[3] . كان هدف هذا الاتجاه هو توحيد كل العمال الجزائريين للدفاع عن المصالح المشتركة ودراسة المسائل الاقتصادية والسياسية والمشاريع القانونية والمجالس الانتخابية والدفاع عن حقوق العامل والسهر على تطبيق القوانين المعمول بها والدعاية لتطوير التشريع الحالي وازدهار العامل بغض النظر عن أصله وفصله وإنشاء تعاونيات عمالية تقوم على أسس اشتراكية أو شيوعية، أنظر : Jacques Jurquet ; La Révolution Nationale Algérienne Et Le Parti Communiste Français, (Paris 1973) ,3T ,T ,I , PP.76_79.

[4] . يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية، 1919 . 1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 21 .نقلا عن : CloudeCollot , Jean-Robert ,Le Mouvement National Algérien , Textes 1912 – 1954 , (Alger,o.p.u.,1981),pp.23-24.

والشيوعية والتعاونية، ومع ذلك بقيت هذه الاتحادات منقسمة إلى غاية مستهل سنة 1925، حيث قرر الحزب الشيوعي زعامتها وكون منها ما يسمى اتحاد الحزب الشيوعي . فرع الجزائر. الذي عقد أول مؤتمر تأسيسي له في شهر مارس 1925 [5]، وبدأ الحزب الشيوعي الجزائري يستقل عن الحزب الشيوعي الفرنسي ويحقق جزأرته ابتداء من سنة 1934، وأصدر برنامجه في شهر أكتوبر من نفس السنة [6]، وفي شهر أكتوبر سنة 1936 أخذ قسم الحزب الشيوعي الجزائري اسم " الحزب الشيوعي الجزائري" وعقد مؤتمره التأسيسي الأول في 17 و18 أكتوبر 1936 بالجزائر وختمه ببيان حدد فيه مذهبه النهائي بدقة إنقاذ الجزائر من الدمار والانحطاط والموت، وذلك لا يكون إلا بتحرير العامل والفلاح من وطأة الكولون ومن ظلم قانون الانديجينا الجائر " [7] ، و استمد الحزب الشيوعي الجزائري [8] أفكاره من ولي أمره الحزب الشيوعي الفرنسي، ويتضح مما جاء في البيان أن الحزب الشيوعي الجزائري يهدف إلى تحرير العامل والفلاح الفرنسي والجزائري من استبداد البرجوازية سواء كانت في الجزائر أو في فرنسا، ولا يهدف بتاتا استقلال الجزائر التام [9].

---

[5] . يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 22 .

[6] -Collot , op . cit., pp. 54 -55 .

[7] - op.cit, pp 85 -87.

[8] . الحزب الشيوعي الجزائري، في نظر المؤرخ يحي بوعزيز، لا يعتبر تيارا جزائريا رغم تواجده على الساحة السياسية الجزائرية كونه ارتبط ارتباطا عضويا بالحزب الشيوعي الفرنسي في فرنسا وبالأحزاب الشيوعية الأخرى في أوربا الغربية وروسيا وتغلغل في أوساط العمال الكادحين عن طريق المنظمة النقابية الفرنسية س.ج.ت .ينظر: يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 401 .

[9] .. يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 27.

2 . تطور الحزب الشيوعي الجزائري من 1936 إلى 1945 :

استغل الحزب الشيوعي الجزائري ظروف المؤتمر الإسلامي، واعتقد أن هذا الأخير يتحالف مع الجبهة الشعبية في فرنسا، وبالتالي التحالف مع الشعب الفرنسي وتدخل هذه الخطة في إستراتيجية الحزب الشيوعي الفرنسي الذي أعلن قائده " موريس طوريز Maurice Thorez" بأن المهمة الأساسية لفرنسا في العالم هي "توحيد الشعوب المستعمرة مع شعبنا" . أي الشعب الفرنسي . كما أعلن الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري في المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الفرنسي المنعقد في شهر ديسمبر 1937 :" بأن المسلمين لا يرغبون أن يكون هناك طلاق بينهم وبين فرنسا بعد الانجازات التي استفادوا منها، وأكد السيد "قدور بلقاسم" الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري :" إننا لم نعرف إلا في الوقت الحاضر بأن الاتحاد بين الشعب الجزائري والشعب الفرنسي يعتبر ضروريا وسيبقى كذلك إلى الأبد"[10].

بعد فشل الجبهة الشعبية وفشل مشروع "بلوم فيوليت"، غيّر الحزب الشيوعي الفرنسي خطته في العمل، تجلى هذا التغيّر في الخطاب الذي ألقاه " موريس طوريز Maurice Thorez" " رئيس الحزب الشيوعي الفرنسي بمدينة الجزائر في 11 فيفري 1939، حيث تناول الحديث عن التحالف بين الجزائر وفرنسا ضد الفاشية العالمية، هذا التغير في أدبيات الحزب الشيوعي الفرنسي دفع بالحزب الشيوعي الجزائري أيضا لإتباع منهج الحزب الشيوعي الفرنسي، إذ أصبح يدافع عن سياسة الإدماج في فرنسا وخلق كيان جزائري يشتمل على الأوربيين واليهود، يضاف إلى هذا الكيان أبناء البلد الأصليين، وهو بهذا لا يختلف عما قاله "موريس طوريز MauriceThorez " " في خطابه . السابق . :" بأن المجتمع

[10]- Charles-Robert Ageron ,Histoire De L'Algérie Contemporaine ,Paris,P.U.F.1979.P385

الجزائري متعدد القوميات والكيانات منهم : البربر، القرطاجيون، عرب، أتراك، يهود، يونانيون، مالطيون، اسبانيون، إيطاليون، وفرنسيون" [11].

حلّ الحزب الشيوعي الجزائري PartiCommunisteAlgérien باندلاع الحرب العالمية الثانية، ، لأنه أيّد سياسة الجبهة الشعبية، وبقي يكافح ضد سياسة "فيشي"، دون أن يتهم أساسا الهيمنة الاستعمارية الفرنسية [12]، وكان كل من الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الجزائري يشتركان وإن بصورة مختلفة في الانشغال نفسه، الذي اتبعته التيارات الوطنية الفرنسية الرئيسية التي كانت تعارض الاحتلال النازي والعملاء، وتحارب من أجل تحرير فرنسا، كما بينته شعاراتهما المتعلقة بالاتحاد الفرنسي الإسلامي [13] ، وتحمل الشيوعيون القمع الفاشي على يد "فيشي"، بسبب عملهم في سبيل تحرير الجزائر من تطبيق أوامر جميع الأحزاب الشيوعية ضد الفاشية، وعلى الرغم من موقف مناضلي الحزب الشيوعي الشجاع والتضحيات التي قدموها، فقد وضع الحزب الشيوعي من جديد خارج المسار الثوري.

إن موقف الحزب الشيوعي الجزائري . الذي كان محاكاة للحزب الشيوعي الفرنسي . كان يتمثل في منح الأولوية لحرب البلدان الأوربية من أجل تحررها دون أن يضيف إليها المصالح الوطنية للشعوب المستعمرة [14]،ويضيف المناضل أحمد مهساس[15] في هذا الشأن :" وعلى الرغم من الاضطرابات الكبرى التي حدثت منذ

---

[11] . .عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 283

[12]. أحمد مهساس، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر. من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة . : تر الحاج مسعود ومحمد عباس، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002، .ص 179.

[13] نفسه ، ص 180 .

[14] . أحمد مهساس ، مصدر سابق ، ص 183 .

[15]. ولد أحمد مهساس 1923ببومرداس من أسرة فلاحية ، درس بالمدرسة الابتدائية لم يكمل دراسته بسبب الوضعية الاجتماعية ، بدأ نشاطه السياسي مع حزب الشعب الجزائري، ثم عمل كقائد لولاية

عام 1939، فقد ظهر الحزب الشيوعي الجزائري من خلال مواقفه الإصلاحية غير متأقلم دائما مع حركة التحرير الوطني، وقريبا سيصبح بعيدا جدا مقارنة بالتيارات الإصلاحية لفرحات عباس والعلماء، وقد ظهر عدم انسجامه على عكس الحركة الوطنية التي اتضحت أكثر مع ميلاد أصدقاء البيان والحرية " [16].

أصبح الحزب الشيوعي الجزائري ParticommunisteAlgérien منذ 1939، توجه إلى العمل من أجل تحرير فرنسا من النفوذ الألماني، وبمجرد نزول الحلفاء يوم 08 نوفمبر 1942، أعلن قادة الحزب الشيوعي الجزائري، أنهم يعملون من أجل إتحاد عام بين الشعب الجزائري والشعب الفرنسي، وذلك بهدف محاربة الفاشية وإقامة جزائر حرة [17].

بعد تأسيس حركة أحباب البيان والحرية، وبدل من أن ينخرط فيها الحزب الشيوعي الجزائري، رفضوا ذلك وأسسوا حركة مستقلة سموها " أصحاب الديمقراطية والحرية "، وناصروا سياسة الإدماج التي أعلنها ديغول في قسنطينة وصدرت في مرسوم 07 مارس 1944[18] ، و بقي يطالب بسياسة الإدماج الوهمي التي كان يأمل أن يراها تطبق بفضل مشاركة الوزراء الشيوعيين في السلطة تحت راية الصراع الطبقي، وكان الحزب يستهين بإمكانيات الكفاح لشعب برمته وكان

قسنطينة و اعتقل مرة أخرى، و سجن لمدة 5 سنوات ثم هرب سنتين من اعتقاله ، و سافر إلى فرنسا لتأسيس فرع جبهة التحرير الوطني، تولى عدة مهام أثناء الثورة منها أدخال السلاح بين أوربا و تونس ، اشتغل بعد الاستقلال في حكومة بن بلة كوزير للفلاحة ثم دخل المعارضة ، توفي يوم 24 فيفري 2013 م ، للمزيد انظر : بوعلام بلقاسمي، موسوعة أعلام الجزائر 54-62 أثناء الثورة , منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 د.ط .د.ت ص . ص 243 . 244.

[16] . أحمد مهساس ، مصدر سابق ، ص 184 .

[17] . عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 284 .

[18] . يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه 1912 . 1948 مرجع سابق، ص 97

الخلاف بينه وبين بقية مكونات الطبقة السياسية الجزائرية الأخرى، أن جوهر الخلاف يخص طبيعة المجتمع الذي كان يفترض أن يتم النضال من أجله، وطبيعة المجتمع هذه هي التي أخطأها الحزب الشيوعي الجزائري [19].

يعتبر ابتعاد الحزب الشيوعي الجزائري PartiCommunisteAlgérien عن الأحزاب الإسلامية والوطنية الجزائرية، أمرا طبيعيا لأن قادة الحزب الشيوعي الجزائري فرنسيون ماركسيون، ولا يقبلون أن تكون الجزائر دولة مستقلة ذات سيادة ومنفصلة عن فرنسا، وهذا بحكم مسارهم النضالي في الحزب الشيوعي الفرنسي أولا، ثم جزأرته للحزب الشيوعي الجزائري، وبقيت آراؤهم وأفكارهم دائما لا تخرج عن أصوات الشيوعيين الفرنسيين .

3 . نشاط الحزب الشيوعي الجزائري من 1946 إلى 1954 :

قدم الحزب الشيوعي الجزائري PartiCommunisteAlgérien مشروع القانون الأساسي للجزائر وقدمه نوابه : جهاد عبد الرحمان الشريف، أليس سبورتيس، مختاري محمد، بيير فابي، إلى البرلمان الفرنسي يوم 13 مارس 1947 [20]، وقد ذكروا :" أن الوقت قد حان لإنشاء القانون الأساسي للجزائر بعد أن أصبحت الحالة في الجزائر خطيرة في الميادين : الغذائية والاقتصادية والسياسية واللباس، واقترحوا في هذا القانون، اعتبار الجزائر قطرا مشتركا مع الاتحاد الفرنسي وتطبيق المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين المسلكين والأوربيين وحرية العبادة وفصل الدين الإسلامي عن الدولة وترسيم اللغة العربية، وتعميم

[19] . أحمد مهساس، مصدر سابق، ص 212

[20] . يوجد نص هذا التقرير في الدراسة التي قام بها المؤرخ يحي بوعزيز بعنوان : الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزائرية مرجع سابق، ص . ص 44 . 72 .

تعليمها على قدم المساواة مع الفرنسية في كل مراحل التعليم، وانتخاب مجلس جزائري يضم 120 عضوا نصفهم أوربيون، وإنشاء حكومة جزائرية ذات استقلال ذاتي داخلي، نصف أعضائها أوربيون ،و فتح المجال للجزائريين في مجالس البلديات والعمالات والقرى [21].

يبدو أن هذا المشروع تجسد فيما بعد، ما يسمى "بالقانون الأساسي الذي صدر في 1947/09/20، والذي جاء بعد الأحداث التي شهدتها الجزائر عقب مجازر 08 ماي 1945، بغية امتصاص غضب الجماهير الجزائرية، اغتنم الحزب الشيوعي الظروف ليقدم مشروع القانون، هذا الأخير يكمن خطره في حرصه على الدفاع عن مصالح فرنسا ونكرانه للحقوق الأساسية للجزائريين .

خلاصة إيديولوجية الحزب تتلخص في :

. العمل على حماية المصالح والسيادة الفرنسيتين، بالجزائر.
. القيام بإصلاحات شكلية لا تمس جوهر المشكلة الجزائرية وهو التحرر والاستقلال
. عدم التسليم بوجود شعب جزائري موحد [22].

لم يكن أي انعكاس على الرأي العام للحزب الشيوعي الجزائري بسبب تعاطي سياسته مع سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي المرتبطة بإنعاش الامبريالية الفرنسية، بعد مساندته لبرنامج لم يكن يحتوي إلا على توسيع الحقوق السياسية

[21] . يحي بوعزيز المرجع السابق ، ص . ص 23 . 43 . وينظر أيضا : يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، مرجع سابق ، ص . ص 401 . 402 .
[22] . يحي بوعزيز، المرجع نفسه ، ص 404 .

والاجتماعية والاقتصادية للأهالي والمعمرين، المقدم من قبل اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني التي جاءت سنة 1944 [23] .

لم يقبل أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري فكرة انفصال الجزائر عن فرنسا، وهم في هذا يختلفون عن بقية الأحزاب الوطنية، ففي سنة 1950 طالبوا بإنشاء برلمان جزائري، لكنهم لم يتخلوا عن فكرة تمثيل الجزائر في البرلمان الفرنسي، وأكثر من هذا فإن الشيوعيين كانوا متهمين بولائهم للشيوعية العالمية، الأمر الذي لم يكن في الإمكان قبولهم ضمن مجموعة الحركة الوطنية الجزائرية التي تحالفت فيما بعد وانصهرت في جبهة التحرير الوطني في الفترة من 1954 . 1956 [24].

4 . موقف الحزب الشيوعي الجزائري من اندلاع الثورة 1954 :

تعتبر هجومات ليلة أول نوفمبر 1954، نقطة انطلاق اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر، فقد ظهرت عدة مواقف وردود أفعال من الحركة الوطنية الجزائرية، تجاه هذه الهجومات من بينها رد فعل الحزب الشيوعي الجزائري، والسؤال المطروح : **ما موقف الحزب الشيوعي الجزائري من هجومات 1 نوفمبر 1954 ؟ وبم تميزت العلاقة بين الحزب الشيوعي الجزائري وجبهة التحرير الوطني ؟**

اختلفت الآراء حول موقف الحزب الشيوعي الجزائري من هجومات 1 نوفمبر 1954 بين منتقد له، وبين من رأى أن موقفه مال لصالح الثورة وأيد الكفاح المسلح ، فمحمد حربي يرى الرأي المضاد للشيوعيين إذ يذكر في كتابه " جبهة التحرير الوطني، الأسطورة والواقع " ...إن الحزب الشيوعي الجزائري الذي فاجأته الأحداث اهتم بالتذكير في بيان 2 نوفمبر 1954، بمواقفه المبدئية بشأن المسألة

[23] . أحمد مهساس، المصدر السابق، ص 200 .

[24] . عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 285 .

السياسية، ولم يأت البيان من قريب أو بعيد على أس ذكر لمطلب الاستقلال، وثمة اهتمام ملموس بمصالح فرنسا والدعوة إلى حل ديمقراطي يحترم مصالح كل سكان الجزائر [25]، ويذهب في نفس الاتجاه المجاهد "إبراهيم العسكري" في "كتابه لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية" ودور القاعدة الشرقية، :" أن الحزب الشيوعي الجزائري وقف موقفا سلبيا من الثورة ".و يضيف :" وفي سنة 1955، حلّ وزير الداخلية الفرنسي الحزب الشيوعي الجزائري وأوقف جرائده (الجزائر الجديدة، الحرية، الجزائر الجمهورية) والتحق من الشيوعيين الجزائريين شباب مناضلون بصفة فردية بجيش وجبهة التحرير الوطني[26]، دون أن يوضح كيف ذلك كإعطاء شهادات أو بيانات غيرها وحتى أسباب حل الحزب وتوقيف الجرائد .

و من الآراء التي تميل للحل الشرعي ما قاله المناضل في الحزب الشيوعي الجزائري "هنري علاق" عن موقف الحزب من اندلاع الثورة :" يجب وضع حد للنظام الكولونيالي من خلال مفاوضات مع الممثلين الحقيقيين للسكان الجزائريين [27]، ويذهب في نفس الاتجاه المجاهد والمؤرخ "محمد تقية" :" إن الحزب الشيوعي الجزائري ساند جبهة التحرير الوطني في بداية اندلاع الثورة ويعتبر الحزب الوحيد الذي أعلن تأييده رسميا [28].

---

[25] . محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، الأسطورة ، تر: كميل داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983 ، ص 122 .

[26] . إبراهيم العسكري، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث ، قسنطينة، 1992 ، ص 109 .

[27] . جمعة بن زروال الحركات الجزائرية المضادة للثورة التحريرية 1954 . 1962، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د/ علي أقجو، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012 ، ص 74.

[28] نفسه ، ص 75 .

نشط بعض أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري نهاية 1954 وبداية 1955، ذووا الأصول الأوربية منهم "أندري موان" و"كيميللاريبار" بمعارضتهم للدعم الثوري، والشيوعيين ذوي الأصول الجزائرية العربية المسلمة حول موقفهم من الثورة، منهم الدكتور "هجرس "و "بشير حاج علي" و" أحمد عكاش "و "بوعلام خالفة "و "العربي بوهالي "، هؤلاء عبروا عن دعمهم للثورة في اجتماع أفريل 1955، ونتيجة لنشاط الحزب الشيوعي الجزائري السياسي ضد سياسة فرنسا في الجزائر، بدأت الحكومة الفرنسية التضييق على مناضلي الحزب فاعتقلت البعض منهم بتهمة المساس بأمن الدولة، وأيضا باتهام البعض الآخر بتأسيس فرق عسكرية شيوعية هدفها تحرير الجزائر، كان ذلك في شهري جوان وجويلية 1955، وفي 12 سبتمبر 1955 أصدرت الحكومة الفرنسية قرارا بحل الحزب الشيوعي الجزائري، وتم أيضا توقيف الجرائد التابعة له منها " الحرية " و" الجزائر الجديدة " و"الجزائر الجمهورية " وتمّ حلّ كل المنظمات والجمعيات التابعة له مثل " إتحاد النساء الجزائريات " و" إتحاد الشبيبة الديمقراطية الجزائرية " [29].

. موقف الحزب الشيوعي الجزائري من الأحداث في الجزائر:

بعد حلّ الحزب، ازدادت السياسة الفرنسية سوءا تجاه أعضاء الحزب، مما جعل البعض يفكر في الانضمام للثورة عن طريق العمل المسلح [30]، ومساندة جبهة التحرير الوطني خاصة بعد التحاق بعض المناضلين منهم "صالح سعيدي" من وهران و"العيد العمراني" و"عبد القادر سكحال" وغيرهم بالثورة بصفة

[29] . جمعة بن زروال،مرجع سابق ، ص . ص 79 . 80 .

[30] . تعود فكرة العمل المسلح للحزب الشيوعي الجزائري إلى يوم 20 جويلية 1955، عندما انعقد اجتماع اللجنة المركزية للحزب في الجزائر العاصمة، حيث صرح العديد من أعضاء اللجنة المركزية، وبعض المناضلين بأنهم يريدون العمل المسلح والانضمام إلى الثورة والالتحاق بها في الجبال لمساندة جبهة التحرير الوطني، ينظر: المرجع نفسه، ص 81 .

فردية [31]، و بعد هذا التاريخ، أي منتصف 1955 وصولا إلى سنة 1956، اقتنع أغلب أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري، بأن القضية الآن هي معركة من أجل الحرية بين الجزائريين والفرنسيين، وأنه من الآن فصاعدا يجب انتقاد السياسة الفرنسية علنا، بل والعمل المسلح وهو ما تبيّنه البيانات الصادرة من الحزب خلال سنة 1956 ، و مما يسجل في فترة 1956، أن الحزب الشيوعي الجزائري كثف من نشاطه أكثر وانتقاده للسياسة الفرنسية، منها انتقاده موقف الحزب الشيوعي الفرنسي وأغلبية النواب في البرلمان الفرنسي . مارس 1956 . الذين منحوا الثقة للحكومة، بل وسلطات واسعة من أجل التفاوض، لكن الحزب تخوف من أن هذه السلطات الاستثنائية ستستعملها فرنسا لشن حربا كاملة على الجزائريين يقول الحزب في بيان لجريدة الطليعة [32]:." لقد تحصلت حكومة "غي موللي[Guymollet]" [33]في البرلمان الفرنسي على سلطات استثنائية ستسعى الآن حكومة "غي موللي[Guymollet] " في العمل بواسطة التفاوض، كما تطالب بذلك الطبقة العاملة والشعب الفرنسي وفي مقدمتها الحزب الشيوعي الفرنسي، أو على العكس، ستشن حربا على شعبنا كاملة كما يطالب أساطين الاستعمار ؟ "، ويستطرد البيان قائلا :" حقا إن "غي موللي[Guymollet] " يتابع الحديث عن

---

[31] -Hafid ,Khatib ,1er Juillet 1956, L'accord F L N , PCA ,Office Des Publications Universitaires ,Alger, 1986 ,p 69.

[32] . جريدة الطليعة : جريدة أسبوعية تونسية ، سياسية إخبارية أصدرت أول أعدادها 11 جوان 1937 وهي لسان حال الحزب الشيوعي التونسي ومديرها علي جراد وآخر أعدادها صدر في 23 ديسمبر 1962.

[33] . غي موللي Guy Molle 1905 . 1975 . ولد بفلار (لورن) أمين عام الفرع الفرنسي للأممية العمالية بين عام 1946 و 1969 ، تولى الوزارة عدة مرات ، تولى رئاسة الحكومة 1956 . 1957 ، تسببت سياسته في الجزائر بردود فعل المعمرين الذين استقبلوه في الجزائر العاصمة في 1956/02/06 بمظاهرات عنيفة ساهم في 1958 في عودة ديغول للحكم عين وزيرا في نفس السنة ثم انتقل الى المعارضة في السنة الموالية . عاشور شرفي قاموس الثورة الجزائرية 1954 . 1962 ترجمة : عالم مختار، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007 ، ص 355.

السلم، وقد استعمل عبارات يخرج عن نطاق الشعارات المعتادة في شأن " الأربع مقاطعات فرنسية" وقد اعترف بالذاتية الجزائرية، ووعد بتحقيق استشارة حرة استشارة للشعب الجزائري دون ميز في الأجناس، كما وعد بإنجاز إصلاحات اقتصادية واجتماعية، إلا أن هذا كله لا يزال بعيدا عن ترضية مطالبنا الوطنية "[34].

طالب الحزب الشيوعي الجزائري بتسوية سلمية للمشكلة الجزائرية قائلا :" وإن الجزائريين الشاعرين بمسؤولياتهم أمام التاريخ سيعلنون كما أعلن الحزب الشيوعي الجزائري عزمهم على بلوغ تسوية سريعة سلمية للمشكلة الجزائرية [35].

بعد الانتصارات الكبيرة لجبهة وجيش التحرير الوطني الجزائري، وبهدف إعطاء دفع أقوى للثورة ارتأت تشكيلات " المكافحين للتحرير" [36] التابعة للحزب الشيوعي الجزائري، الاندماج تحت لواء جبهة التحرير الوطني الجزائرية، أصدرت بيانا عبرت فيه عن الهدف من قيام هذه التشكيلة وأيضا الهدف من الاندماج كتبت تقول :" فقد نشأت تشكيلات "المكافحين للتحرير" بغية تشريك الكثير من الوطنيين والديمقراطيين الجزائريين بدون فرق ولا ميز من شيوعيين ومسلمين وأوربيين في النضال المسلح ضد الاستعمار "، وأضافت تقول :" واليوم وبعد نتائج إيجابية لعدة أشهر، فقد تكونت الشروط السياسية والمادية لهذا الإدماج وحل منظمتنا،

---

[34] . جريدة الطليعة، "مقتطفات من تصريح للحزب الشيوعي الجزائري "، عدد 24، (1956/03/30)، ص 01.

[35] . جريدة الطليعة، ، "الجزائر"، عدد 24، (1956/03/30)، ص 02.

[36] . ظهر تنظيم المقاتلين من أجل الحرية .C.D.L رسميا بعد حل الحزب الشيوعي الجزائري في 12 سبتمبر 1955، إذ كان تنظيما وطنيا يشرف على إدارته لجنة مقرها الجزائر العاصمة، يتكون هذا التنظيم من عدة فرق ولجان موزعة عبر التراب الوطني، لمعرفة تفاصيل أكثر عن هذه اللجان والفرق وتوزيعها عبر التراب الوطني، ينظر: جمعة زروال، مرجع سابق، ص . ص 82 . 99 .

ففي الوقت الذي يجهز فيه الاستعماريون الفرنسيون كل قواهم لمحاولة القضاء على أعز رغباتنا وعلى استقلالنا الوطني فإن قرارنا الوطني سيقوي النضال المسلح من أجل الوحدة التامة للقوات المحاربة "، وطلبت من أعضائها الالتحاق بجيش التحرير الوطني والتزام الطاعة والتفاني في التضحية :" تطلب إذن من أعضائها أن يلتحقوا جميعهم بجيش التحرير الوطني وذلك بما فيهم من تشكيلات وبما لديهم من أسلحة وأن يقبلوا مراقبة جبهة التحرير الوطني، وتطلب منهم القيادة أن يحاربوا في صفوف جيش الشعب المجيد بأكبر طاعة وأعظم شجاعة وأوفر إخلاص وأكثر فكرة للتضحية [37].

أصدر الحزب الشيوعي الجزائري أثناء حملة الاضطهاد الواسعة النطاق التي شنتها القوات الفرنسية بالجزائر والموجهة ضد الشيوعيين، أصدر بلاغا يقول فيه :" أولا : إن الشيوعيين الجزائريين لم يخفوا أبدا مشاركتهم الناشطة في الكفاح المسلح ضد الاستعمار.

ثانيا : " إن الشيوعيين بمنظمات " المكافحين للتحرير " قد اندمجوا منذ غرة جويلية 1956 في جيش التحرير الوطني بعد اتفاق حصل بين المنظمتين .

ثالثا : إن الشيوعيين الجزائريين سواء كانوا مسلمين أو إسرائيليين أو أوربيين ليسوا فرنسيين بل هم جزائريين وبهذه الصفة فإنهم يقومون بواجب وطني بمساهمتهم في النضال التحريري

رابعا : إن الشيوعيين وبقية المجاهدين يتبعون قاعدة كفاحية تجعلهم لا يعتدون على امرأة ولا طفل، لكن كفاحهم موجه ضد الاستعمار وأعوانه، وبالرغم من ذلك فإن أريقت دماء بريئة فالمسئول عنها هو الاستعمار.

[37] . جريدة الطليعة ، " تعزيز جبهة التحرير الجزائري" ، عدد 38، (06 /07 /1956)، ص 01 .

خامسا : إن الحملة ضد الشيوعيين ترمي خاصة إلى تبرير التنكيل والوحشيات الاستعمارية وترمي لتقسيم الشعب .

سادسا : لابد لكل المناورات أن تفشل أمام نضج شعبنا السياسي وإن الشيوعيين الذين طالتهم المحن سيتحلون بأكثر حزم، ليكونوا في طليعة الكفاح حتى هزيمة الاستعمار[38]."

يكون الحزب الشيوعي الجزائري وبعد انضمامه لجبهة وجيش التحرير الوطني، قد حفظ ما الوجه إذ أدرك الطريق السوي الذي يمكن بواسطته الوصول إلى تحقيق الهدف الذي ناضلت من أجله تشكيلة " المقاتلون من أجل الحرية "، وهو بهذا يكون قد خالف بعض الحركات الأخرى المناوئة لجبهة التحرير التي كانت تنشط في تلك المرحلة وهي الحركة الوطنية الجزائرية (المصالية) .

حيّ الحزب الشيوعي الجزائري ورغم اندماجه في جبهة التحرير الجزائرية على لسان جريدة " الحرية" اللسان الرسمي للحزب، نضال الشعب الجزائري وانتصاراته بحيث كتبت تقول :" سيبين شعبنا أنه أهل لهذه الحركة التضامنية وللثقة العالمية الكبرى التي يعبر لنا عنها ولذا ندعو شعبنا إلى رفع راية الاستقلال الوطني والكفاح من أجل الأرض والحرية "، وتضيف :" ثم إننا ندعوه إلى توسيع الكفاح التحريري ورفع مستواه، وهذا يعني أن الوطنيين الجزائريين أمام فضائع المستعمرين الاستفزازية سيهتدون إلى الدلالة عن نضجهم السياسي وتفوقهم الأدبي على الذين يدعون نشر الحضارة فينا، وهم سيتمادون في أن لا يهاجموا إلا القوات العسكرية والبوليسية، وقواعد الاستعمار وأعوان العدو، واختتم البيان يقول :" وأخيرا، نرى من اللزوم أن يتم الاتحاد على أوسع نطاق في الحرب الوطنية

[38] جريدة الطليعة، ، "الحزب الشيوعي الجزائري يعلن "، عدد 42، (1956/08/16)، ص 04.

لرفع مستوى نجاعة الكفاح ويجب أن يتبع الوحدة العسكرية التي تم تحقيقها عمليا بإدماج "مقاومي التحرير " في جيش التحرير الوطني تجمع يشمل جميع القوات الوطنية والديمقراطية ووحدة طبقتنا الشغيلة في مركزية نقابية واحدة [39]، كما طالب الحزب من الحكومة الفرنسية في أحد البيانات الصادرة عنه إلى فتح مفاوضات مع الحكومة الفرنسية يقول :" وبديهي أن الحل يوجد في هذه الطريق، وعلى هذا الأساس يجب أن تقع الاتصالات بين الحكومة الفرنسية والمقاومة الجزائرية للمفاهمة في "وقف القتال" ولهذه الغاية يجب فتح مفاوضات مع ممثلي الشعب الجزائري بدون استثناء"[40].

كاتب الحزب الشيوعي الجزائري السيد " العربي بوهالي" في سؤال عما إذا كان الحزب يأمل تسوية المشكلة الجزائرية في المستقبل القريب بصورة سلمية، أجاب :" كانت هذه الحرب عمليا مفروضة فرضا على الشعب الجزائري وهو يقاسيها بعناء شديد وعليه فإن أول من يتمنى نهايتها على شرط أن يقع الاعتراف بمطامحه القومية المشروعة وضمانها، ووضع حد لسفك الدماء سفكا يضر بمصالح الشعب الجزائري وبمصالح الشعب الفرنسي على السواء، أمر يتوقف الآن أساسيا على الحكومة الفرنسية، وهي تعلم أن وقف الحرب يستوجب الاتصال بممثلي المقاومة الجزائرية "[41] ،إذ أصدر الحزب الشيوعي الجزائري بمناسبة مرور عامين على ذكرى اندلاع الثورة التحريرية، بيانا عبر فيه على النصر الحليف للشعب الجزائري، وأن حكومة "غي موللي" ومعه "لاكوست"أخطأوا حسابهم بالإجراءات الردعية التي اتخذوها ضد الوطنيين يقول البيان :" لقد عبرت

---

[39] . الطليعة ، "الاتحاد الشيوعي الجزائري يدع إلى الاتحاد في سبيل السلم "، عدد 43، (1956/08/31)، ص 01.

[40] . نفسها ، "الجزائر"، عدد 46، (1956/10/14)، ص 04.

[41] . الطليعة ، "تصريح للعربي بوهالي "، عدد 48، (1956/10/27)، ص 04.

الأغلبية الساحقة للشعب الجزائري عن تأييدها للثورة الوطنية، بمناسبة الذكرى السنوية الثانية ليوم غرة نوفمبر"، وواصل البيان قوله :" وكانت حكومة "غي موللي" و"لاكوست" قبيل هذه الذكرى، تظن أنها قادرة على تحطيم معنويات الجزائر المكافحة وذلك بواسطة وسائل نخص بالذكر منها : إلقاء القبض على خمسة من قادة جبهة التحرير الوطني، خرق القوانين الدولية والدعوة الخادعة التي طلبت جيش التحرير أن يستسلم " [42].

ناضل أيضا الحزب الشيوعي الجزائري من أجل إدراج القضية الجزائرية في الأمم المتحدة إذ وجهت اللجنة المركزية مذكرة إلى الكاتب العام للأمم المتحدة بمناسبة طرح القضية الجزائرية أمام المنظمة العالمية وقد عرضت المذكرة الحلول العادلة والصحيحة للقضية الجزائرية إلى أن قالت :" ...و لتبرير رفضها لأبسط حل للقضية الجزائرية تثير الحكومة الفرنسية مسألة تشعب القضية ووجود تسعمائة ألف جزائري من أصل أوربي وهي تتعنت في نكران الواقع القومي الجزائري، ويتشبث الاستعماريون بذلك رغم تحقيق الوحدة القومية الجزائرية في النضال، إن التسعة ملايين من الجزائريين المسلمين يكافحون ببسالة وإقدام لتحرير وطنهم، نعم إن وجود أقلية هامة من الأوربيين يجعل المسألة عسيرة، غير أن الشيوعيين ومثلهم الكثير من الوطنيين يعتبرون أن هؤلاء الأوربيين مكانتهم في المجموعة الجزائرية في استطاعتهم أن يندمجوا في الأمة الجزائرية "[43] ، و تضيف المذكرة:" لقد طلب الحزب الشيوعي الجزائري من جديد الحكومة الفرنسية يوم 24 سبتمبر 1956 فتح مفاوضات : أولا : مع الجيش التحرير الوطني، ثانيا : مع ممثلي الشعب الجزائري بدون استثناء وتختم اللجنة المركزية للحزب مذكرتها

[42] . نفسها ، " سيكون النصر حليفنا "، عدد 51، (18 /11 /1956)، ص 04 .

[43] . جريدة الطليعة، ، "مذكرة من الحزب الشيوعي الجزائري إلى الأمم المتحدة"، عدد 54، (1956/12/09)، ص 01

قائلة :" إن الشعب الجزائري يرغب في السلم، والحرب الحالية فرضها عليها الاستعمار وهو يناضل مثل جميع الشعوب المستعمرة في سبيل الاعتراف بحقه في الاستقلال الوطني والحرية والأرض والتقدم الاجتماعي"[44].

يتضح جليا من البيانات والمذكرات التي رفعها الحزب الشيوعي الجزائري سواء ما تعلق بالجانب السياسي أو العسكري، أنه انخرط فعليا في صيرورة الكفاح الوطني وأنه لا صوت يعلو فوق صوت جبهة وجيش التحرير الوطني، ولا مجال للمساومة عن المفاوضات بين الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري وتحقيق الهدف الذي يناضل من أجل الجزائريون، وهو الاستقلال، كما لم يتوان في الاتصال حتى بالأمم المتحدة مذكرا إياها بمسؤوليتها تجاه ما يحدث في الجزائر، والدعوة إلى تحقيق السلم ومنح الحرية للشعوب التي ما تزال تحت الاستعمار والشعب الجزائر واحد من هؤلاء، إن الحزب الشيوعي الجزائري تغيرت مواقفه كليا من المطالبة بتوفير الخبر والعمل للجزائريين في إطار الوجود الفرنسي إلى النضال والكفاح من أجل الاستقلال .

[44] . الجريدة نفسها ، "الجزائر في الأمم المتحدة"، عدد 54، (1956/12/09)، ص 04 .

إنتفاضة الثامن ماي 1945 ببلدية فج مزالة المختلطة

الدكتور/ بوقاعدة البشير، جامعة سطيف2.

طالب دكتوراه/ حيمر عبد الوهاب، جامعة قسنطينة2.

مقدمة:

تعتبر انتفاضة الثامن ماي 1945 في الجزائر آخر مقاومة سياسية قبل ثورة الفاتح من نوفمبر 1945. كماتعد أيضا بمثابة المنعرج الحاسم في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، والتي أكدت لقيادة الحركة الوطنية الجزائرية ورسخت في الأذهان دون شك أو تردد أن الأوطان التي اغتصبت بالقوة لا يمكن استرجاعها إلا بالقوة.

وإذا كان المؤرخون والكتاب عموما قد تناولوا بإسهاب ما تعلق بمختلف الحركات الثورية التي عرفتها كل من منطقة سطيف، قالمة، وخراطة، نرى أقلامهم في مقابل ذلك قد سكتت عن مجريات الأحداث في ضواحي سطيف والمناطق المجاورة ومن ذلك: ما تعلق بمجريات أحدث انتفاضة الثامن ماي بالمجال الجغرافي الخاضع لادارة بلدية فج مزالة المختلطة بمختلف دواويرها، ومنها دورا المنار، ودوار زارزة.

ذلك أن أحداث الثامن ماي 1945كما هو معلوم لم تقتصر مشاهدها ومجريات أحداثها على المدن فحسب، بل امتدت إلىأعماق الريف الجزائري، وما وقع بداية من التاسع ماي من نفس السنة في مختلف مناطق بلدية فج مزالة كان خير شاهد على ذلك، وكانت هذه الأخيرة قريبة من مدينة سطيف من الناحية الجنوبية. وهو موطن دراستنا على كاهل هذه الورقة البحثية.

لقد كانت أعمال القمع الوحشي والمجازر التي ارتكبت في حق الشعب الجزائري خاصة بمنطقة سطيف بمثابة صدمة قوية بالنسبة لسكان بلدية فج مزالة المختلطة، وهو ما دفعهم إلى الانتقام من السلطات الاستعمارية بصفة عامة والكولون وحراس الغابات بصفة خاصة.

من هذا المنطلق سنسلط الضوء في هذه الورقة العلمية على منطقتين بارزتين اهتزتا لهول ما حدث في مدينة سطيف خاصة، ومدينتي قالمة وخراطة بصفة عامة وهما منطقتي فج مزالة ودوار زارزة التابع لها.

وهذا للإجابة على بعض التساؤلات أهمها ما يلي:

كيف امتدت أحداث الثامن من ماي 1945 إلى هذه المناطق؟ ما هي ردت فعل سكان بلدية فج مزالة المختلطة؟ وكيف واجهت السلطات الاستعمارية هذا التمرد على حد تعبيرها؟

أولا/ الهجوم عل مزرعة المعمر جون لوشار وحراس الغاباتبتامنوتبدوار زارزة:

كانت منطقة تامنتوت مقر لأهم سوق شعبي بدوار زارزة[1]، وبالرغم من ذلك فقد كانت تعاني من عزلة كبيرة إلى غاية حلول المعمر جول لوشار **Jules Lochard**، حيث قام هذا الأخير بشق الطرقات وإنشاء مزرعة لتربية الحيوانات بها[2].

[1] دوار زارزةأحد الدواوير الخمسة عشر التابع لبلدية فج مزالة المختلطة، التي تأسست سنة1880 وتتربع على مساحة تقدر ب 6,650 هكتار وهذا حسب إحصائيات 1941. انظر:
Monographie, La Commune mixte de F'edjMzala, Archive wilaya de Constantine,9 Septembre,1941.
2- Eugene Vallet, Un drame algérien, Les Grandes Editions Françaises , Paris ,p 841 .

وفي خضم أحداث 8ماي 1945 كان القائم على شؤون هذه المزرعة هو الابن الأصغر لجول لوشار"**ابلAbel**"والتي كان قد مر على إحداثها حوالي 73سنة.

وكانت هذه المزرعة مزودة بالهاتف ومختلف المستلزمات الأخرى، وموصولة بطريق يربط تامنتوت بجيجل عبر منطقة تاكسنة.

وقبل أحداث الثامن ماي استدعي "**ابل**" من قبل عائلته القاطنة بجيجل للاحتفال بفوز الحلفاء على النازية، ولم يكن يعلم أن هذا الأمر سينجيه من موت محتوم.

أما بالنسبةللمظاهرات في هذه المنطقة،فقد انطلقت في حدود الساعة التاسعة صباحا من يوم التاسع ماي[1]، وكان بالقرب من مزرعة جول لوشار بيت تقطنه عائلات حراس الغابات كعائلة "رافاييل دوبون""**RaphaelDupont**" رئيس حراس الغابات البالغ من العمر 55سنة وزوجته، وابنهما "أندري **André**"، أما العائلة الثانية فهي عائلة "غوسطافاريني""**FarinierGustave**"، التي كانت غائبة آنذاك باستثناء رب العائلة.

وفي التاسع من ماي 1945 كان لرئيس حراس الغابات "رافاييل دوبون" موعد مع حارس آخر من مركزعين السطاح المدعو "**موروليMoroli**" من أجل القيام بجولة استطلاعية خاصة بجمع الفلين، ولم يكن هاذان الشخصان يعلمان بأحداث الثامن ماي التي انطلقت شرارتها الأولى في مدينة سطيف، وذلك لكونهما كانا بعيدان عن مقر سكنهما أثناء أداء مهمتهما، فشن المتظاهرون هجوما أودى بحياة موروللي.

[1] محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، 1939. 1951، ج2، ت محمد بن البار، ط1، دار الأمة، 2008، ص117.

وفي مقابل ذلك، اتجهت مجموعة أخرى من المتظاهرين إلى مزرعة جون لوشار ومقر سكن عائلات حراس الغابات، فوجدوا رجلان وامرأتان وطفلان، وقد حاولوا الدفاع عن أنفسهم لكنهم لم يصمدوا أمام التدفق المتزايد للسكان[1].

أما ما حدث في مقر حراس الغابات القريب من مزرعة جون لوشار، فجلية أمره: أنه توجه مجموعة من المتظاهرين إلى حيث يوجد مقر يقطنه كل من دوفازفارينيومورولي،هذا الأخير الذي أشرنا إلى مصيره؛ حيث تم القضاء عليه أثناء تأديته لمهمته مع دوبون، أما دوفاز فلم يكن في مقر حراس الغابات؛ وإنما توجه إلى سوق بني مجالد[2]، فقام المتظاهرون بالهجوم على منزله، وقتلوا زوجته.

وقد صرح المسمى بودريعة عياش بن الحناشي أثناء محاكمته بقسنطينة في يوم 13 ديسمبر 1945 قائلا:" عندما كنت متجها إلى سوق بني مجالد صادفني المسمى فوزار وقال لي بأن الحرب قد انطلقت وأن أغلب الفرنسيين قد ماتوا، وحان الوقت للقضاء عليهم جميعا." ويواصل قائلا:" اتجهت صوب مقر حراس الغابات حاملا بندقيتي ومعي حوالي أربعون رجلا فوجدت زوجة الحارس مورولي لازالت هناك مختبئة عند حارس الغابات من أصل جزائري، فقمت بإخراجها وإطلاق النار عليها، وهذا بعد أن قتلنا زوجها قبلها بساعتين."[3]

ويذكر في هذا الصدد أيضا المجاهد حسين هادف المولود سنة 1933 قائلا:" حسب ما روي لنا من طرف من عايشوا الأحداث فإن الأحداث التي عرفها

---

[1] op.cit ,p151 .

[2] سوق شعبي قريب من مدينة سطيف.

[3] Eugene Vallet,op.cit ,p 141 .

[1]دوار زارزة بداية من التاسع ماي 1945، كانت بمثابة بداية النهاية للمعاناة التي عرفها سكان هذه المنطقة حيث أصبحوا عمال سخرة في أرض أجدادهم."[2]

وبداية من يوم 6 سبتمبر 1945 كانت المحكمة العسكرية بقسنطينة مسرحا لمحاكمة العديد من الذين شاركوا في هذه الأحداث، فحكمت المحكمة على كل من حبيلس عبد المجيد، جمعي العربي، بودريعة عياش، دومة محمد، هباش خليفة بالإعدام، وحكمت بالسجن على كل من طويل محمد السعيد من 1945 إلى غاية 1962، فغرور أحمد من 1945 إلى غاية 1960، وحكمت على البقية بالأعمال الشاقة في مدة تتراوح بين خمسة إلى عشرين سنة.[3]

ثانيا/ الهجوم على مركز البريد والبرج الإداري بفج مزالة:

إن فج مزالة هي مركز البلدية المختلطة التي تقع على بعد 100 كلم من قسنطينة، وقد كان عدد سكانها أثناء هذه الأحداث يبلغ حوالي 110,000 نسمة وحوالي 750 معمر، موزعين على خمس قرى وهي: فج مزالة، لوسي Lusetبلدية بني قشة حاليا، تيبرقنت، و ريش اليون بلدية أحمد راشدي حاليا[4].

وكانت بلدية فج مزالة المختلطة تحتوي على أهم مبنى بهذا الإقليم، هذا الأخير كان مقر للبلدية المختلطة سمي بالبرج الإداري، واستعمل أثناء انتفاضة

1

[2] حسين هادف، شهادة شفوية، قسمة بلدية الرواشد، في يوم 10 فيفري،2015.

[3]Eugene Vallet,op.cit ,p 154 .

[4]op.cit ,p 155 .

الثامن ماي كحصن منيع لاحتواء المواطنين الموالين لفرنسا، وقد كان عدد من لجأوا إليه حوالي 102 فرد[1].

أما فيما يخص انتفاضة الثامن ماي 1945 في هذه المنطقة، فقد جاء في تقرير حاكم البلدية المختلطة آنذاك بأن الثورة قد اندلعت عقب مجازر الثامن ماي 1945 حيث قال:" إني أؤكد بأن الأحداث التي بدأت يوم التاسع ماي في فج مزالة وضواحيها، قد أخذت طابعا ثوريا تحت راية الإسلام"[2].

انطلقت الانتفاضة في منطقة فج مزالة بداية من ظهيرة اليوم التاسع ماي 1945، بحيث توافد أفواج من المناضلين من كل حدب وصوب وتمركزوا على بعد 800متر من منطقة فج مزالة بالمنطقة المعروفة في يومنا هذا بواد بوصلاح.

لقد كان هذا الحشد الشعبي بقيادة المسمى مروج عمار، وكان هذا الأخير متجها إلى مدينة سطيف للتسوق، وفي الطريق علم بما وقع لإخوانه هناك، وهذا مادفعه للعودة إلى منطقة فج مزالةحيث قام بنشر الخبر والتحريض على الجهاد.[3]

ويذكر الأستاذ محمد الصالح مرمول في كتابه "فج الأخيار بلدية فج مزالة المختلطة" بأنه رأى السيد مروج عمار ممتطيا حماره وحاملا بندقة صيد داعيا للجهاد في سبيل الله[4].

---

[1] محمد الصادق مقراني، فج مزالة عبر التاريخ، ج1، دار الفجر للطباعة والنشر، عين السمارة قسنطينة، 2005، ص44.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1992، ص343.

[3] Eugene Vallet,op.cit ,p 118 .

[4] محمد الصالح مرمول، فج الأخيار بلدية فج مزالة المختلطة، مؤسسة البلاد للنشر والاتصال، ص53.

وأمام هذا الغليان الشعبي بعثت السلطات الفرنسية أشخاص للتعرف عن أسباب هذا التجمع، فكانت إجابة المتظاهرين "إننا لا نريد القمح بل جئنا لإسالة الدماء".

وفي الأخير استقر قرار الجمع على مهاجمة المنطقة ليلا على جبهات متعددة، دار البريد، والبرج الإداري، واتخذت السلطات الفرنسية وعلى رأسها "**بولار Poulard**"الإداري الرئيسي ونائبه "إيشبرينر"**Echbrenner**و"شارل فالي"Charles Vallé قاضي السلم كل الإجراءات الضرورية لوقف هذه الانتفاضة، كجمع عائلات المعمرين بالبرج الإداري وإحاطته بالمدافعين.

وقام "شارل فالي" بطلب النجدة من درك رجاص، فأرسل له دركيين، ثم قام بالانتقال مع عائلته إلى قرية **Lucet**"بني قشة حاليا"، وهذا من أجل إخبار معمري هذه المنطقة بالخطر الذي يهددهم[1].

وعند عودته إلى قرية فج مزالة علم أن قابض البريد وأولاده الأربعة وزوجته داخل البرج الإداري، فرجع إلى مكتبه محاولا صد هجمات المتظاهرين ليلا، فطلب من الدركي الجزائري المسمى "**بشوش**"الذهاب معه إلى مركز البريد لمساعدته، وعند وصولهما وجدا أن مركز البريد قد دعم من الناحية الخارجية بقضبان حديدية خاصة على مستوى الأبواب والنوافذ.

وقد كانت أسلحة الأوروبيين على الرغم من بساطتها كافية لصد هجمات المتظاهرين العزل، ماعدا بعض الأسلحة البيضاء وأسلحة الصيد.

[1] Eugene Vallet,op.cit ,p 118

ولكن هذا لم يمنع قابض البريد من طلب الدعم، فقام بإجراء مكالمة هاتفية إلى قسنطينة وأخبرالجهات المعنية بأن مركز البريد والبرج الإداري محاصران وانه يسمع طلقات الرصاص، لكن طلبه بقي معلقا حيث قيل له بأن وحدات اللفيف السنغالي لا تستطيع التدخل إلا غدا صباحا، وذلك لوقوفها بالسانت أرنو مدينة "العلمة حاليا" لوجود آلاف المتظاهرين هناك[1].

وفي منتصف الليل تم الهجوم على دار البريد، وتم إحراق جزء منه، كما تم تكسير زجاج النوافذ، ورمي المقر بالحجارة، وكذلك تم إضرام النار في الباب الخارجي من طرف أحد المتظاهرين، وهو ما أدى إلى انهيار جزء من السقف، وأصبحت الوضعية داخل دار البريد لا تحتمل ولا تطاق بسبب الدخان المتصاعد.

هذا، وتم الهجوم مرة أخرى في الساعة الثانية صباحا على مقر البريد والبرج الإداري لإخراج من كانوا بداخله لكن حصانة الأبنية حالة دون ذلك، وبقيت الحالة كذلك إلى غاية الصباح[2].

وبالرغم من وصول القوات الفرنسية من قسنطينة في يوم 10 ماي 1945،إلا أن المعمرين كانوا قد شكلوا مليشيات مسلحة قبل ذلك، وبالتالي بدأت المتابعة لمعرفة المشاركين في الهجوم والبحث عن المخططين له والمنفذين، والسعي لكشف هويتهم وأمان تواجدهم، بهدف المحاسبة والمعاقبة على صنائعهم ضد المحتل.

[1] Eugene Vallet,op.cit ,p119.

[2] محمد الصادق مقراني، المرجع السابق، ص44.

ويقول في هذا الصدد، محمد الصالح مرمول: بأنه شاهد قائد دوار الروسية ومعه قوة مدنية من بعض أعيان دوار فج مزالة حين جاء لإلقاء القبض على المتهمين من آل مرمول، مهددا ببندقيته كل من يرفض الانصياع لأوامره.

أما فيما يخص نتائج هذه الانتفاضة فكانت كالآتي:

بالنسبة للجانب الفرنسي لم تسجل أية ضحية.

أما بالنسبة للجزائريين، فكان من أبرز النتائج التي تم تسجيلها عقب هذه الأعمال ضد ممتلكات العدو الفرنسي، وجنوده، وموظفيه، فمنها:

أسفرت عملية البحث والتحري التي قامت بها أجهزة المحتل العسكرية بالمنطقة عنإلقاء القبض على عدة شخصيات، فمن جمعية العلماء المسلمين تم إلقاء القبض على:

-القبض على المسمى **شوارفة محمد**؛ وهو أحد شهداء الثورة التحريرية بالمنطقة.

- القبض على المسمى**الشريفبو يوسف** المناضل في حزب أحباب البيان والحرية، - كما ألقي القبض على المسمى **علي بن خلافبراهيم** أحد المناضلين في حزب الشعب.

- كما قامت السلطات الفرنسية باعتقال بعض أعيان البلدة مثل **حيرش عبد المجيد** وبعض أفراد عائلة قشي كعائلة **قش**[1].

[1] محمد الصالح مرمول، المرجع السابق، ص56.

خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول أن الانتفاضة التي بدأت في يوم التاسع ماي بفج مزالة وضواحيها كدوار زارزة وبالضبط في منطقة تامنتوت؛ هذه المنطقة الحدودية بين ولايتي سطيف وميلة وجيجل، تعد بمثابة الحدث البارز الذي أيقض الضمير، وكسر كل حواجز الخوف، وأكد للجزائريين أن فرنسا من المحال الوثوق في وعودها، كيف لا إذ وجرائم القتل البشعة، بقيت راسخة في أدهان سكان المنطقة، الأمر الذي هيأهم لاحتضان ثورة التحرير فور انطلاقها سنة 1945، وتغذيتها ودعمها بالنفس والمال والأهل.

كما أن من بين أبرز ما يمكن الإشارة إليه، ولا يحسن بنا تجاوزه، هو أن إن المجال البحثي، المتعلق بكشف خبايا الأحداث الراسمة لمجريات الانتفاضة الجزائرية ضد المحتل في الثامن ماي 1945 وما والاها من أيام بمنطقة دوار زارزةوبللدية فج مزالة المختلطة،مازال يحتاج إلى تدقيق عميق وتمحيص كبير، وبحث واسع، وتقصي كبير، خاصة إذا تعلق الأمر بالوثائق الأرشيفية والتقارير البوليسية المحفوظة بالأرشيف الفرنسي، وهذا من أجل إعطاء صورة واضحة وإحصاءات دقيقة، وتعريفات شاملة لمختلف الشخصيات التي كان لها دور فعال في الأحداث التي وقعت في هذه المنطقة.

نشاط رجال جمعية العلماء في الخارج لصالح الثورة الجزائرية من خلال تقارير فرنسية

أ.د .لهلالي إسعد / جامعة سطيف2

مقدمة

رغم أن هناك الكثير من الدراسات حول تاريخ الثورة الجزائرية ولكنها أغفلت العديد من الأحداث إما سهوا أو لعدم توفر المادة الخبرية لدراستها ، ومنها قضية مشاركة جمعية العلماء المسلمين في الثورة التحريرية، والتي أسالت الكثير من الحبر حول دورها أو غيابها، وقد بينا في أبحاثنا الدور الايجابي لجمعية العلماء من خلال الوثائق والشهادات ، وربما الغائب عند الباحثين هو تتبع السلطات الاستعمارية لنشاط جمعية العلماء منذ تأسيسها وحتى خلال الثورة ، وهذا ما أردنا استعراضه من خلال التقارير العسكرية التي أكدت نشاط العلماء في الخارج لصالح الثورة.

لقد كان موقف مكتب جمعية العلماء بالقاهرة واضحا مؤيدا للثورة منذ اندلاعها من خلال بيانات الإبراهيمي والورثيلاني في القاهرة ، وهذا ما جعل السلطات الاستعمارية تتبع نشاط رجالها في الخارج وتدون ذلك في تقاريرها الموجودة في أرشيفاتها ،مما يؤكد الدور الفعال لرجال جمعية العلماء في مساندة الثورة كيف لا والإبراهيمي كان معروفا في البلاد العربية والإسلامية قبل اندلاع الثورة فما بالك بالدعوة لها ، فالإدارة الاستعمارية أحست بخطورة رجال جمعية العلماء وكان انتقامها في الداخل بمهاجمة مقر جمعية العلماء واختطاف الشيخ التبسي ومطاردة العلماء والزج بهم في السجون .

مما سبق يمكن أن نتساءل عن الدوافع الحقيقية لتتبع نشاط رجال جمعية العلماء المسلمين من طرف السلطة الاستعمارية، وما هو الدعم الذي قدموه انطلاقا من هذه التقارير العسكرية؟، وكيف كان موقفها من نشاطهم ؟

-موقف مكتب جمعية العلماء بالقاهرة من اندلاع الثورة:

لما اندلعت الثورة التحريرية كان الشيخ البشير الإبراهيمي في القاهرة وسافر إليها قبل سنتين بهدف تنظيم أمور طلبة الجمعية الذين يدرسون في مختلف معاهد ومدارس دول المشرق العربي ، كان الابراهيمي أول مؤيد لها فقد أصدر مكتب جمعية العلماء بالقاهرة يوم 2 نوفمبر 1954 بيانا حمل فيه فرنسا المجازر التي ارتكبتها في الجزائر ثم ذكر حكومات المشرق العربي بواجبها في مساعدة هذه الحركات المتأججة في المغرب العربي ومما جاء فيه(الابراهيمي ،1994 ، ص37):« أذاعت عدة محطات عالمية في الليلة البارحة أن لهيب ثورة اندلع في عدة جهات من القطر الجزائري ...ثم قرأنا في جرائد اليوم بعض تفصيل لما أجملته الإذاعات فخفقت القلوب بذكرى الجهاد ... أما نحن المغتربين عن الجزائر فوالله لكأنما حملت إلينا الرياح الغربية حين سمعنا الخبر روائح الدم الزكية ، فشارك الشم الذي نشق السمع والبصر الذي قرأ ... وكأننا في مواقع النار والنار في خنشلة وباتنة ... تعوز هذه الحركات المتأججة في المغرب العربي وهي سائرة إلى الالتحام والانسجام لفتات صادقة من حكومات الشرق العربي بالإمداد والتشجيع ...».

وأكد ذلك ببيان آخر يوم 3 نوفمبر 1954 بعنوان " إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت ، بقاء أو فناء ، ومما جاء فيه (الورثيلاني،2007 ،ص140): « حياكم الله ايها الثائرون الأبطال وبارك في جهادكم،وأمدّكم بنصره وتوفيقه وكتب ميتكم في الشهداء الأبرار...لقد أثبتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق ...اعلموا أنّ الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجبا عاما

مقدسا ، فرضه عليكم دينكم ،وفرضته قوميتكم ،وفرضه رجولتكم ،وفرضه ظلم الاستعمار الغاشم الذي شملكم ثم فرضته أخيرا مصلحة بقائكم ،لأنّكم اليوم أمام أمرين ،إمّا حياة أو موت،إمّا بقاء كريم أو فناء شريف » .

كما قام مكتب الجمعية بالقاهرة بنشر بيان يوم 11 نوفمبر بعنوان " أوسع المعلومات عن بداية الثورة في الجزائر مما جاء فيه (الابراهيمي ،24،1994):« انفجر بركان الثورة المباركة في الجزائر ليلة اليوم الأول من نوفمبر الحالي وقد كنا نحن الجزائريين الموجودين خارج الجزائر نترقب هذه الثورة ونتوقعها ...ومضى على الثورة عدة أيام ونحن نحترق شوقا إلى الاطلاع على حقيقة ما يجري هناك ،وكيف ابتدأت الثورة ؟ وما هي العناصر التي قامت بها ؟وبأيّة صبغة تصطبغ ؟وإلى أي اتجاه تتجه ؟ وهل انتشرت ؟ حتى نبني على مقدماتها الصحيحة نتائج صحيحة ..."

وهي إشارة واضحة إلى هدف جمعية العلماء وزعيمها الإمام عبد الحميد والمتمثل في الثورة والتحرر من قيود الاستعمار لكن الملاحظ أنّ هناك تساؤلات كثيرة لمعرفة الجهة التي تبنت العمل المسلح ، أي أنّ هناك تأييد للثورة والعمل المسلح وليس لجبهة التحرير الوطني ،وهذا ما نلمسه في البيان الذي وقعه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ الفضيل الورثيلاني عن مكتب جمعية العلماء بالقاهرة في 15 نوفمبر 1954م بعنوان " نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد ، نعيذ بالله أن تتراجعوا ..." ومما جاء فيه (الإبراهيمي ،،1994، ص33):«حياكم الله وأحياكم ،و أحيا بكم الجزائر ...لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه ،أو تدارونها لأجله ،ولم تبق لكم خيطا من الأمل تتعللون به ...أنّكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه ، ونهايته الموت ، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية ...إنّما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب ويدفع عنا وعن ديننا العار

،فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح ،فهو السبيل الواحد إلى إحدى الحسنيين إمّا موت وراءه الجنة ،وإمّا حياة وراءها العزة والكرامة ».

-دور العلماء في دعم الثورة وتتبع السلطة الفرنسية لنشاطهم :

ان المتتبع لعلاقة العلماء بالثورة يجد أنها كانت أكثر وضوحا في الخارج من خلال موقف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورثيلاني ،رغم أن المساندة لم تكن لجبهة التحرير وإنما للكفاح المسلح ، عكس الداخل الذي كان ايجابيا لكن الانضمام كان سرا كي لا تتعرض هياكل الجمعية لغضب الإدارة الفرنسية، وكان لنداء الإبراهيمي والورثيلاني صدى كبير خاصة وأن كان معروفا في بلاد المشرق العربي إضافة الى نشاطه الذي ميز به إذاعة صوت العرب وكذا تحركاته ورسائله التي كانت سندا قويا للثورة في البلدان العربية وحتى الإسلامية.

وقد بررزت فيما بعد شخصيات كثيرة ممن شيوخ وطلبة جمعية العلماء مثل الشيخ محمد خير الدين وأحمد توفيق المدني الشيخ العباس بن الحسين، محمد الغسيري ، الشيخ عمر دردور ، رابح تركي ، إبراهيم مزهودي ، الشيخ عبد الرحمن شيبان ، محمد الميلي ،وغيرهم كثير والملاحظ أن الإدارة الفرنسية كانت تتبع نشاطهم في البلدان العربية وحتى في أوربا.

فالشيخ البشير الإبراهيمي كان يستغل فرص تنقله بين الدول العربية للحديث عن مساعدة الثورة الجزائرية في الداخل طالبا من المسؤولين عدم التخلي عن هذه القضية لأنّها قضية عربية وهذا ماشهد به أحد المسؤولين العرب في ذلك الوقت حيث قال :« كان – الإبراهيمي – يلتقي بصاحب العرش وولي العهد ، كما كان يلتقي برئيس الوزراء ووزير الخارجية ، حاثا إياهم على نصرة

الجزائـــر سياســـيا وعســـكريا وماديـــا » (الابراهيمـي،1997،ص24)،لأن الشـــيخ الإبراهيمي كان يدرك أن الثورة لايمكن أن تستمر دون دعم بالسلاح والمال .

والحق أن جهود الشيخ البشير الإبراهيمي في قضية الدعم بدأت من مصر خاصة أثناء استقبال جمال عبد الناصر لأعضاء جمعية العلماء وهم :الإبراهيمي ،الورثيلاني ،أحمد بوشمال ،حيث أكد لهم أن مصر مستعدة لبذل كل عون تقدر عليه وأن هذا العون قابل للنمو دائما ،كما أن الحكومة المصرية بالاشتراك مع حكومات أخرى تستعمل بقوة وبأقصى مايمكنها من جهد للمحافظة على عروبة كل دولة ونشر الثقافة العربية فيها (المدني،1984،ص31) .

وفي ماي 1957 ، نظم أسبوع الجزائر ببغداد وقد حضره الشيخ البشير الإبراهيمي على رأس وفد جبهة التحرير ، وقد كان الملك فيصل حاضرا في المهرجان رفقة كبار رجال الدولة ، وقد ارتجل الشيخ الإبراهيمي خطابا نيابة عن جبهة التحرير الوطني ومما قال فيه(الابراهيمي،1997،ص179):«...فعزيز على الجزائر أن يقام لها في العراق الشقيق أسبوع ...إن ثورة الجزائر شبت عن طوق الأقوال وأصبحت في مرحلة لاغنى فيها للخطب وإن طالت ...وما دامت الأقوال لاغنى فيها للثورة الجزائرية وأبطالها وليوجهوا عنايتهم .....وهي مد الأيدي لإعانة أولئك الأبطال المجاهدين، في سبيل العروبة التي هي أم الجميع، والإسلام الذي هو دين الجميع...اجعلوا هذا الأسبوع كالينبوع يفور و لا يغور وكماء دجلة يفيض ولا يغيض ... » .

ويبدو أن الشيخ الإبراهيمي أراد أن يبين أهمية العون بالمال على حسب الخطب والأقوال ، مذكرا إياهم بما يجمعهم من دين وعروبة وعليهم الاستمرار في دعم الثورة الجزائرية ، وقد تبرع الملك بعشرة آلاف دينار ثم توالت التبرعات حتى بلغت أكثر من خمسة وعشرين ألف دينار.

وأكدت التقارير الفرنسية نشاط الابراهيمي حيث ذكرت أن الشيخ البشير الابراهيمي قد قاد وفدا من جبهة تحرير الجزائر للقاء الأمير فيصل بالقاهرة في 7 أفريل 1955 ، وقد وعدهم بدعم القضية الجزائرية في مؤتمر الافروآسيوي في باندونغ وأيضا في الأمم المتحدة ومما جاء فيه" لقد قاد الشيخ البشير الإبراهيمي وفد من جبهة التحرير الوطني وفي 7 أفريل استقبلهم بالقاهرة الأمير فيصل من العربية السعودية والذي وعد بدعم القضية الجزائرية في المؤتمر الآفرو آسيوي في باندونغ وهيئة الامم المتحدة ...لقد واصل الشيخ البشير الابراهيمي بمهاجمة الاحتلال الفرنسي من خلال : إذاعة صوت العرب.." (CAOM 81f767,1955)

هناك تقرير آخر في 30 جانفي 1956 يتحدث عن الاتصالات بين الشيخ العباس بن الحسين والابراهيمي وتاكيد مساندة جمعية العلماء لجبهة التحرير ومما جاء فيه" نعلم أن العربي التبسي نائب رئيس جمعية العلماء هدد مؤخرا بالانتقال الى التمرد بضم العديد من الجزائريين معه، كما أن الشيخ العباس كان منذ شهر اكتوبر في القاهرة بهدف احضار الشيخ البشير الابراهيمي رئيس العلماء الجزائريين لينضم الى جبهة التحرير الوطني...لقد صرح العباس خلال هذا الاجتماع بان العلماء ساعدوا المتمردين واعطوهم دعمهم المطلق وقد اضاف بان جمعية العلماء لا تقبل اي حل للقضية الجزائرية بدون موافقة الممثلين الفعليين للجزائر" (CAOM 81f767. 1956).

وفي تقرير آخر بتاريخ19 مارس 1956 تحدث عن الابراهيمي ومما جاء فيه " لقد صرح بعض المقربين من مسيري جمعية العلماء الجزائريين بأن النائب الأول للجمعية : العربي التبسي كان لديه مقابلة مع المصري محمد جلال ولقد أعطاه رسالة موجهة إلى الشيخ البشير الابراهيمي رئيس الجمعية نفس المصادر أضافت

بأن العربي التبسي أخبره الإبراهيمي بأنه لا يستطيع أن يوقف مناضلي الجمعية الشباب من أجل الالتحاق بالمتمردين

أما الفضيل الورثيلاني كان هو أيضا إلى جانب رئيس الجمعية وسلك نفس الطريق من أجل المساهمة في تطور الثورة خارجيا حيث كتبت جريدة بيروت المساء والمنار الدمشقية في 20 أكتوبر 1955 ما نادى به الورثيلاني من طلب للعون المالي من الدول العربية ومما قاله(الورثيلاني،87،2007):« إنّنا اليوم مضطرون كل الاضطرار لنعلن عتبنا الشديدعلى إخواننا العرب لأننا نفتقر إلى القليل من مالهم ، الذي ينفقونه في الكماليات ، وقد يكفينا لنحرر به أنفسنا من الاستعباد ، ونحن حينما نطالبهم بذلك فلا نشعر مطلقا بأننا متسولون ، أو أنهم يد عليا ونحن يد سفلى ، لأننا نطالب بحق أولا ، ولأن هذا الحق ثانيا ، سيكون دينا علينا نرده إليهم في القريب ...».

لكن على المستوى الخارجي استطاع الشيخ الفضيل الورثيلاني بعد عمله مع الإبراهيمي في مكتب جمعية العلماء أن يكتب الكثير من المقالات في الصحف والمجلات بهدف التعريف بالقضية الجزائرية وبقضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي دون أن ينسى القضية الفلسطينية ، ومن هذه الجرائد : الحياة ، الجريدة ،بيروت ،بيروت المساء ، المنار، الأنباء ،الجمهورية ،المصري ، الأهرام الأخبار،منبر الشرق ،الدعوة ،مصر الفتاة ، الكتلة ، الإخوان المسلمون ،والنذير (بوعزيز ،1995، ص205).

ففي حديث للفضيل الورثيلاني بمقر إقامته بيروت مع مندوب جريدة "المنار" عرج الورثيلاني على الكثير من النقاط الخاصة بالثورة الجزائرية وذلك إجابة لأسئلة صحفي الجريدة وقد سئل عن حقيقة وضع الثوار وعددهم ومدى تأييد الأمم لهم فأجاب الورثيلاني بأن الثوار في الحقيقة هم جميع أبناء

الأمة الجزائرية وأنّ عدد المقاتلين الذين يمارسون القتال فعلا هم بضعة آلاف وهم يواجهون جيشا قوامه 250 ألف جندي(الورثيلاني،2007،ص60).

وقد نشرت جريدة بيروت المساء 26و27 فيفري والمنار الدمشقية رسالة مفتوحة من الورثيلاني إلى رئيس حكومة فرنسا "جي موليه " "Guy mollet" يدعوه إلى ضرورة حل قضية الجزائر لأن الجزائريين لن يستسلموا ولن يتوقفوا عن الكفاح من أجل الاستقلال(الورثيلاني،2007،ص133) .

كما طالب بغلق المدارس الفرنسية في مصر وسوريا ونادى بمقاطعة المنتجات الفرنسية ومما جاء فيه" لي الشرف العظيم أن أحيطكم علما بأنه خلال الاجتماع الذي سيكون في مقر جمعية العلماء في القاهرة أين ألقى الفضيل الورثيلاني خطابا مهما فيما يتعلق بمقاطعة المنتوجات الفرنسية وضرورة غلق المؤسسات التعليمية الفرنسية في مصر وسوريا..." (CAOM 81f767,1953) ،وبعد اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 كان كل نشاطه لخدمة الثورة الجزائرية ،وقد إنضم فيما بعد أعضاء آخرون ناضلوا في مختلف البلاد العربية ملتحقين برجال الثورة(حقي،1961،ص 233).

وتجدر الإشارة إلى أنّ السلطات المصرية لم تكن ناقمة من شخص الورثيلاني بل من علاقاته مع الإخوان المسلمين التي كانت معادية للنظام الحاكم ، والدليل هو أنّه بعث رفقة الشيخ البشير

كما تنقل في 10 جانفي 1957 إلى بلغراد وكان قد جاء من سويسرا بعد أن إتّصل مع سفير مصر ، وإلتقى عددا من الشخصيات من وزارة الشؤون الخارجية ليوغسلافيا وشكرهم على موقف بلادهم من القضية الجزائرية ومما جاء فيه " لقد وجد الفضيل الوثيلاني أحد ممثلي العلماء الجزائريين للشرق الاوسط في 10

جانفي في بلغراد قادما من سويسرا بع ان اتصل بسفير مصر في يوغزلافيا، كانت لديه النية في لقاء بعض شخصيات الشؤون الاجنبية اليوغزلافية من أجل شكرهم على موقف بلادهم مع الجزائر (CAOM 81f767,1957) ، وتتبعت السلطات الفرنسية نشاط الورثيلاني خاصة لما انتقل الى تركيا انتقل إلى أنقرة بجواز سفر ليبي استخرج من بنغازي ومما جاء في التقرير" لقد غادر الجزائري الفضيل الورثيلاني ممثل العلماء الجزائريين في بيروت والمشرق المجاور ، ليبيا إلى أنقرة بفضل جواز سفر ليبي يسلم لبني غازي باسم محمد حسنين في 18 /1958/02 تحت رقم 4671" (CAOM 81f767,1958)

نلاحظ أن التقارير الفرنسية تتبعت نشاط العلماء في الخارج خاصة الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورثيلاني ، ومن خلال محتواها يتبين مدى خطورة تحركاتهما بالنسبة للسلطة الفرنسة، وأهمية ذلك بالنسبة لدعم الثورة التحريرية والواضح أن تتبع نشاط العلماء لم يكن فقط داخل الجزائر لأن هناك الكثير من التقارير حول نشاطها ومنذ تأسيسها حتى اندلاع الثورة ، وهنا نتيقن أن فرنسا كانت حريصة على القضاء على دين الامة لأنها تعرف أن العلماء كان هدفهم المحافظة على الدين الاسلامي عكس فرنسا التي أرادت نشر المسيحية وفعلت كل شيء من أجل ذلك .كما أنها كانت تعرف وزن العلماء لذلك استمرت في مراقبتهم ولما كان الاعلان الرسمي والعلني لانضمامها لثورة في جانفي 1956 قامت باقتحام مقر الجمعية واغتيال الشيخ العربي التبسي والزج بالكثير من أبناء الجمعية في السجون.

لم يكن الإبراهيمي والورثيلاني لوحدهما في الخارج بل سار على نهجه بعض من أعضاء الجمعية الذين عينتهم جبهة التحرير للالتحاق بالوفد الخارجي ومن بينهم أحمد توفيق المدني والشيخ العباس بن الشيخ الحسين والشيخ محمد خير

الـدين وغيرهم فقـد التحـق أحمـد توفيـق المـدني والشـيخ العبـاس بـن الحسـين بالقـاهرة في أفريـل 1956(سـعد الله،2005،ص65) ومعـروف أنّ القـاهرة كانـت مركزا مهما للنشـاط السياسي خاصة ما تعلق باجتماع المجلس الـوطني للثورة أو نشـاط الحكومـة الجزائريـة المؤقتـة .وكل ادى دوره بشـهادة مـن عـايش الأحـداث وبعـض الكتابـات التي اهتمـت بالموضـوع.والتي أكـدت الـدور المهـم لرجـال جمعيـة العلمـاء في نسـيرة الثـورة خارجيـا ، ولكـن يبـدو أن الصـراعات التي كامـت موجـودة خـلال مرحلـة الثـورة قـد ألقـت بضـلالها على العلاقـات بـين الأطـراف المشـاركة ومحاولة إنكار دور جمعية العلماء رغم أن الوثائق موجودة ونفس الشيء بالنسبة للشهادات الشفوية.

خاتمة

من خلال ما سبق ذكره وتحليله حول نشاط العلماء في الخارج من خلال التقارير الفرنسية يمكن القول أن العلماء قدموا خدمات جليلة للثورة وساهموا في تطور مسيرتها في جوانب عديدة ، يتقدمهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورثيلاني اللذان ساندا الثورة منذ الأسبوعين الأولين لاندلاع الثورة ، وقد ركزا في نضالهما على الدول العربية والإسلامية لدعم الثورة الجزائرية من خلال الزيارات والخطب والمحاضرات وعن طريق الإذاعة والصحافة ، ثم التحق بهما أحمد توفيق المدني ،الشيخ العباس بن الحسين ،عمر دردور ، محمد الغسيري، وإبراهيم مزهودي وغيرهم .

والملاحظ أن العلماء قد استغلوا علاقاتهم السابقة قبل اندلاع الثورة مع مشايخ وعلماء ومفكري وأدباء الدول العربية الإسلامية لخدمة الثورة ، كما استغلوا البعثات الطلابية الموجودة في بعض الدول العربية للتنقل اليها واغتنام الفرصة لملاقاة زعمائها، وملوكها ليطلبوا منها دعم الثورة بالمال والسلاح ، وقد

كان التجاوب كبيرا خاصة الزيارات التي قام بها الشيخ البشير الابراهيمي لأنه كان معروفا ، إضافة الى دور الكثيرين من شيوخ وطلبة جمعية العلماء أمثال أحمد توفيق المدني ،الشيخ العباس بن الحسين ،محمد خير الدين ، محمد الغسيري، عمر دردور ، ابراهيم مزهودي ، محمد الميلي وغيرهم كثير.

لقد تتبعت السلطات الفرنسية نشاط رجال جمعية العلماء خاصة قيادتها ممثلة في الشيخ محمد البشير الابراهيمي والفضيل الورثيلاني ، وأكدت التقارير أن تحركاتهم كانت فعالة بل ذكرت أماكن تحركهم وحتى الهدف من نشاطهم والذي بين أنها كانت لصالح الثورة بطلب الدعم المادي والدفع بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية إلى تحقيق هدفها لنيل الاستقلال ، كم ربطت تلك التقارير بين الداخل والخارج فوجدنا ذكر اسم الشيخ العربي التبسي مرات عديدة مما يؤكد فكرة دعم العلماء للثورة التحريرية.

وقد توصلنا الى حقيقة تتعلق بأهمية دور رجال جمعية العلماء في المشرق والمغرب العربيين ، حيث أنهم سهلوا الطريق لباقي الشخصيات الأخرى خاصة من حركة الانتصار الذين لم يكونوا معروفين حتى في الجزائر أثناء اندلاع الثورة فما بالك في المشرق أو المغرب وباقي الدول الإسلامية ،وبالتالي ما قام به العلماء سهل الوضع في داخل الجزائر وسمح بتطور الثورة .

المراجع:

1.الابراهيمي محمد البشير،1994، في قلب المعركة 1954- 1962، شركة دار الأمة ،الجزائر.

2. الإبراهيمي محمد البشير ، 1997،آثار الامام محمد البشير الابراهيمي (1954-1962).،دار الغرب الإسلامي ، بيروت.

3. بوعزيز يحيى، ،1995، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، لبنان .
4. حقي إحسان ،1961، الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد ،

5. سعد الله أبو القاسم،2005، مسار قلم (يوميات) ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت .
6. المدني أحمد توفيق،1984:حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر.ص31

7. الورثيلاني الفضيل ،2007،: الجزائر الثائرة ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر
8. CAOM 81 F 767. 14 décembre 1953, rapport adressée du Roger wybot, directeur de la surveillance du territoire à monsieur le préfet, directeur des services de l'Algérie et des départements d'outre mer intitulé " activité de la représentation du ouléma au Caire "

9. CAOM 81 F 767, le 24 janvier 1957, au ministère de l'intérieur Intitule Rapport adressée du presidenc

Déplacement d'un ouléma algérien.

10. CAOM 81 F 767, le 1 septembre 1958, Rapport adressée du présidence conseil au ministère de l' intérieur intitulé activités de l' algérien foudil ouartilani ,

أحداث الثامن ماي 1945 م ملحمة خالدة في ذاكرة التاريخ

د. سعدية بن حامد، قسم التاريخ، جامعة المسيلة.

مقدمة

تمثل أحداث الثامن من ماي 1945 م بالجزائر، نقطة تحول حاسمة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية،ولقد عكست هذه الأحداث مدى تمسك الشعب الجزائري بوطنه ومبادئه وطموحاته للحرية وآماله في بعث جزائر حرة مستقلة،وتحول مسار الكفاح السياسي نحو الكفاح المسلح أي عن طريق العنف الثوري ،اقتناعا بفكرة أن ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد إلا بالقوة.

ومن هذا المنطلق، فإن ما حدث في الثامن من ماي 1945 م هو انتفاضة من الشعب الجزائري، طالب من خلالها فرنسا الوفاء بوعودها التي قدمتها للجزائريين ، خاصة بعد الإنتصار على دول المحوروإسدال ستار الحرب العالمية الثانية .

وفي هذا الإطار، سنتناول أحداث الثامن من ماي 1945 م من حيث كونها ملحمة تاريخية خالدة في أذهان الجزائريين ، تجمع ذكرى الماضي بما يحمله من تجارب و معاناة الحاضر وإرهاصات المستقبل من خلال ما نستخلصه من عبر ودروس .

التطورات الدولية والمحلية التي مهدت لإنتفاضة الثامن من ماي 1945 م :

– الدولية:

كان الوضع الدولي عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية يعيش حلقة جديدة من العلاقات الدولية، بعد ان ارتسمت معالم جديدة للسياسة الدولية التي أفرزتها

جهات الحرب العالمية الثانية ، والجنوح نحو الحلول السلمية لمعالجة القضايا الدولية بدل الحروب التي ألحقت ضررا كبيرا بالمعمورة ،ومن جملة التطورات السياسية نذكر:

– انهزام الفرنسيين أمام الإجتياح الألماني جوان 1940 م اهتزاز هيبة فرنسا ، مما ساهم في ضعف سلطانها وعودة الأمل إلى نفوس الجزائريين .

– الإعلان على الميثاق الأطلسي في أوت 1941م والذي نص في مادته الثالثة على حق الشعوب في تقرير مصيرها .

– نزول الحلفاء على شمال إفريقيا 08 نوفمبر 1942 م واثره على الحركة الوطنية في اغتنام هذه الفرصة والاستفادة من الظروف الدولية ،وطرح مطالب الشعب الجزائري على ممثلي الحلفاء والسلطات المحلية الفرنسية بالجزائر.[1]

– الإعلان عن ميلاد الجامعة العربية في القاهرة في 22 مارس 1945م ، والذي أعطى نفسا جديدا لحركة التحرر.

– انهيار جيوش هتلرفي أفريل 1945م ،واجتماع الحلفاء في مدينة سان فرانسيسكو لتأسيس منظمة الأمم المتحدة خلفا لعصبة الأمم .

– المحلية :

– محاولة القوى السياسية التي كانت تتصدر الساحة الوطنية اغتنام الفرصة والاستفادة من الظروف الدولية الراهنة ،فقدم فرحات عباس بتاريخ 22ديسمبر 1942 م بيانا في شكل مذكرة الى الحكومة العامة الفرنسية بالجزائر، وممثلي الولايات المتحدة الأمريكية ،وبريطانيا،وتضمن البيان بأن تكون الجزائر معنية بحق تقرير المصير الذي نادى به الحلفاء ،غير أن هذه الأطراف تجاهلت البيان،

---

[1]- نصرالدين سعيدوني : الجزائر منطلقات وآفاق "مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية ، دار الغرب ، بيروت ، 2000م ،ص 123 .

وتحفظت عنه ،وكرد فعل على هذا التجاهل فوضت الحركات السياسية الجزائرية فرحات عباس لتحرير بيان جديد يتضمن مطالب الشعب الجزائري في فيفري 1943م وعرفت ببيان الشعب الجزائري ، وسلمت نسخ منه إلى كل من ممثلي الحكومة الفرنسية المؤقتة ، وإلى ممثلي الحلفاء بالجزائر[2].

– اعتماد فرنسا سياسة كسب الوقت ،خاصة بعد زيارة شارل ديغول DeGaulle قسنطينة في 12 سبتمبر1943م وإطلاقه برنامج إصلاحات ، حيث عين الجنرال " كاترو" Catroux حاكما عاما للجزائر خلفا لبريتون، حيث كانت الإصلاحات شكلية وهمية في أساسها، واعتبر كاترو البيان الجزائري عاصفة يجب وقفها مهما كان الثمن .

– التطور الإديولوجي الذي أبداه فرحات عباس تجاه القضية الوطنية ، والذي يعد تطورا ايجابيا بعد ميلاد حركة أحباب البيان والحرية في14 مارس 1944م،والتي انبثقت عن الإجتماع الذي انعقد في سطيف بين كل من فرحات عباس ومصالي الحاج والشيخ البشير الإبراهيمي وموريس لابور من الحزب الشيوعي ،حيث تحاوروا في كيفية وضع استراتيجية مشتركة واتخاد موقفا موحدا بالنسبة للقضايا التي تهم مصير البلاد ، وفي هذا الإجتماع اتفقوا على إصدار وثيقة مشتركة تعبر عن إرادتهم القوية لتأسيس دولة جزائرية[3]،وإن دل هذا على

---

[2]- بشير خلدون : عناصر حول حوادث 08 ماي 1945م، مجلة معالم ، العدد 04، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قالمة ، الجزائر ،1990م، ص 16 .

[3]- عمار بوحوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997م ، ص 237 .

شيء فإنما يدل على مدى تقرب فرحات عباس من الصف الوطني بعدما كان سابقا يناضل مع دعاة الإلحاق الإندماج برفقة فيدرالية النواب[4].

والظاهر أن هذه حركة أحباب البيان والحرية انتشرت سريعا في القطر الجزائري ، حيث بلغت 164 فرعا ووصل عدد المنخرطين إلى 500000 منخرطا.

سعى المناضلون في الحركة على نشر الوعي الوطني بين أوساط الشعب الجزائري ، وهذه الحالة النفسية التي سادت بين الجماهير وصفها فرحات عباس بقوله: " لقد كانت الجماهير الجزائرية تلتهب وطنية ، وتتقد حماسا ، مصممة العزم على التطلع إلى حياة أفضل " [5].

إن هذه الموجة المتصاعدة من الوعي الوطني التحرري لدى الجزائريين قد أحدثتها الحركة الوطنية ودعتهم إلى احتضان القضية الوطنية ، حيث انتشرت الصحف السرية والملصقات تدعو في مجملها إلى التعبئة ضد الإستعمار، ومن أبرزه المنشور الذي ألصق في شهر فيفري 1945م على جدران العاصمة وبعض المدن الجزائرية ، ومن أهم ما جاء فيه :" أيها الإخوة المسلمون إن حياة بلدكم في خطر، فالإستعمار قد خربها ماديا ومعنويا ، إن الشعب الجزائري لم يتمتع بالحضارة لوجود المستعمر الفرنسي ، فاللغة العربية مضطهدة منذ الإحتلال، والإسلام محل السخرية ، وأن كرامتنا لا يضمن لها الإحترام إلا في إطار حكومة جزائرية ، تقوم على سيادة الشعب الجزائري ، وترفض أي سيادة أجنبية ، ومن

---

[4]- إن ميلاد فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين بالعاصمة سنة 1927م ، وكان هدفها الدفاع عن مصالح النواب المنخبين الذين ظلوا مرتبطين بالإدارة الفرنسية للمزيد أنظر:

Claude Collot-Jean Robert Henry . le mouvement national Algerien Texte 1912/1954.2ed.office des publications universitaires.1977 .p 39.

[5]- فرحات عباس : ليل الإستعمار، ترجمة أبو بكر رحال ،دار القصبة ، 2005،ص104 .

أجل ا مات إخوانكم في الزنازن وهم يعانون في السجون والمحتشدات " [6] ،فهي تدعو إلى رفض الإستعمار والمطالبة بالإستقلال، مما يدل على متابعة الجزائريين للنشاط السياسي رغم ظروف الحضر.

- تمركز نشاط الأمين دباغيين أحد الأقطاب الفاعلين في حزب الشعب في منطقة العلمة، وفتحه لعيادته الطبية وتفعيل العقل المباشر الذي اعتمدته الأحزاب السياسية منها البيان والجمعية في 04 أفريل 1945م وذلك من خلال إحياء الذكرى الخامسة لوفاة الشخ عبد الحميد بن باديس،ومقابلته للزعيم مصالي الحاج في أفريل 1945 م في معتقله بقصرالشلالة حسب رواية دباغين،وكانت حيثيات المقابلة حول إشعال فتيل الثورة ، وموافقة مصالي الحاج على تعيين المسؤولين الذين يتولوا قيادة المناطق وهم كالآتي : منطقة العاصمة وما جاورها يتولى أمرها محمد بلوزداد، ومنطقة الأربعاء وضواحيها يتولاها أحمد بودة ، ومنطق القبائل تسند إلى علي حليت ، ومنطقة الشرق الجزائري تسند إلى كل من الشاذلي المكي ومسعود بوقدوم ، أما الغرب الجزائري فيتولاها كل من محفوظي وبوتليليس، أما القيادة المركزية تحت رعاية الأمين دباغين[7] ،إلا أن السلطات الفرنسية كشفت سرها ، ونقل مصالي إلى مدينة المنيعة بالصحراء.

ويبقى الجناح الثوري لا يثق في السياسة الفرنسية ولا يرى أن انتصار الحلفاء في الحرب العالمية هو انتصار القضية الوطنية .

فالجو كان يتسم بالتوتر الزائد بين الجزائري والفرنسي في أغلب المدن الجزائرية،وزيادة الوعي الوطني والحس السياسي حتى بين الأطفال في المدارس

---

[6]- عبد الكريم بوالصفصاف : تحولات أساسية في الحركة الوطنية 1945 -1954م ،مجلة سيرتا ، العدد05 ،مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر، 1981م ، ص 28 .

[7]- العربي الزبيري : الزعيم الكبير وصغار الزعماء ، جريدة الشروق ، الموافق ل5 أفريل 2007م .

الفرنسية ، ففي إحدى بلديات منطقة سطيف كتب أحد المعلمين جملة على السبورة جاء فيها :" إنني فرنسي ،وفرنسا وطني ،فكتب التلاميذ الجزائريون عبارة بديلة قال فيها :إنني جزائري و الجزائر وطني " [8].

وعشية نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الجزائر تعيش أوضاعا إقتصادية وإجتماعية مزرية للغاية ،نتيجة للسياسة الإستعمارية الإقتصادية المفروضة على الجزائريين جراء الحرب من جهة،ومن جهة أخرى تفشي الفقروالمجاعة التي إنتشرت بسرعة في الجزائرن ومما زاد الوضع سوءا و تدهورا هو انقطاع التموين لظروف الحرب بعدما استندت احتياطات السنوات السابقةمن المواد الإستهلاكية لاسيما الحبوب، وتوجيهها لتغطية الحرب العالمية الثانية ،هذا مازاد من شقاء الجزائريين ودفعت بهم نحو المجاعة،خاصة بعد استمرار حالة الجفاف[9].

الإحتفالية باليوم العالمي للشغل:

قررت الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية تنظيم مسيرة سلمية إحتفالا بعيد العمال، ومن بين من دعا لهذه المسيرة حزب الشعب وكذلك أحباب البيان والحرية و الكونفدرالية العامة للعمال،حيث تظاهر الشعب الجزائري يوم أول ماي1945م إنطلاقا من ساحة الشهداء بإتجاه البريد المركزي، وقد شارك بالموكب أكثر من20ألف مشارك بحسب ما ذكرته بعض الدراسات التاريخية [10] ،حيث كان المتظاهرون يرفعون الرايات التي كتب عليها يسقط الإستعمار، تسقط

---

[8]- جمال قنان:قضايا ودراسات في قضايا التاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م، ص200.

[9]- نصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص125 .

[10]- علي تابليت:من جرائم الإحتلال الفرنسي في الجزائر:المذابح8 ماي1945م،مجلة الذاكرة ،العدد 2 ،1995، ص55.

الإمبريالية ، تحيا الجزائرحرة مستقلة، تأسيس جزائر ذات سيادة [11]،إلا ان الشرطة الفرنسية قامت بإطلاق النار على المتظاهرين في المسيرة السلمية، وسقوط أول ضحية من المتظاهرين، ومنعها من المشاركة في هذا الإحتفال السنوي بعيد العمال ،والتي عبرت عن إرادة الشعب الجزائري ،ورغبته في التضحية من أجل الوطن، بالمقابل كان يوما مرعبا بالنسبة للمعمرين الذين طالبوا السلطات الفرنسية باتخاذ التدابير اللازمة للقضاء على الحركة الوطنية الجزائرية [12].

وبعد انتشار خبرالحادثة ، توسعت المظاهرات وعمت العديد من المدن الجزائرية،كالأطلس البليدي ومنطقة متيجة ، وقسنطينة وسطيف ،ووهران، وتلمسان، وبجاية وقالمة، سوق أهراس ، خنشلة وباتنة وغيرها من المدن الأخرى .

بداية الأحداث وتوسعها بمدينة سطيف 08 ماي 1945 م :

ما وقع في الفاتح من ماي من مظاهرات بالجزائر العاصمة، لاسيما معركة رفع العلم الوطني،وتعالي الهتافات المنادية بحياة الجزائر الحرة المستقلة،وسقوط الاستعمار،دليل واضح على انتشار الوعي الوطني لدى غالبية الجماهير الجزائرية ،وقد تميز هذا التيقظ الوطني بنوع من الهيجان السياسي والاستعداد لتبني أي موقف يتجاوز أو يعبر عن طموحات الشعب الجزائري[13] ،وفي الثامن من ماي1945م نظمت مظاهرات عمت التراب الوطني، وتركزت الحوادث بمدينة سطيف للعوامل التي ذكرناها آنفا، فضلا عن كونها تقع في مفترق الطرق بين

---

[11]-إبراهيم العسكري:لمحات من مسيرة الثورة التحريرية ودور القاعدة الشرقية ، دار البعث ، قسنطينة ، 1989م ، ص65 .

[12]

[13]- نصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ،ص131.

قسنطينة والعاصمة، وفي نواحيها كان ينشط فرحات عباس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، وفيها ولدت حركة أحباب البيان والحرية سنة 1944م ، هذا ما جعل المدينة أن تكون مسرحا للأحداث المأساوية، فالمظاهرات في سطيف تميزت بالتصدي والمواجهة .

صادف يوم 8 ماي 1945م يوم الثلاثاء،والذي كان يوم سوق أسبوعي،وقد جعل منه المنظمين يوم التظاهر والخروج الى الشوارع سلميا احتفاء بفوز الحلفاء على دول المحور وانتصارهم على النازية والفاشية،وتذكير فرنسا بوعودها ، وبترخيص من السلطة الفرنسيةعن طريق الوالي لسطراد كاربونال،وحسب ما ذكره فرحات عباس أن كاربونال قد أخبر الدكتور سعدان في أفريل 1945م أنه ستقع اضطرابات، وفي الوقت القريب سيحل على إثرها حزب عتيد[14] ،

تجمع أكثر من 15آلاف شخص من جموع الشباب والشيوخ من الفلاحين والتجار بمدينة سطيف ، وانطلقت من أمام المسجد العتيق بالقرب من محطة القطار، وكان يترأس المسيرة فرقة الكشافة الإسلامية، وهي ترفع العلم الوطني حاملة جملة من الشعارات التي كتبت عليها " تحيا الجزائر" "يسقط الإستعمار" " الديمقراطية للجميع أطلقوا سراح قادتنا المسجونين " " من أجل تأسيس مجلس جزائري "، كل هذه الشعارات تحمال مدلولات وطنية ، كما كان المتظاهرون ينشدون أناشيد الحرية والإستقلال منها ياشباب حيو الشمال الإفريقي، ومن جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا للإستقلال ، وغيرها من القصائد التي كانت تلقن للشباب الجزائري في مدارس جمعية العلماء وحزب الشعب.

[14]- فرحات عباس ، المصدر السابق ،ص114.

كان في مقدمة المسيرة السلمية الكشاف بوزيد شعال، وبعد أن جابت المسيرة ألف متررفع هذا الشاب العلم بالأخضر والأبيض ذو الهلال الأحمر، ولم تتدخل الشرطة التي كانت تحيط بالمتظاهرين حتى وصلوا الى قلب مدينة سطيف، وبالضبط امام مقهى فرنسا ،حيث ظهر محافظ الشرطة مندفعا باتجاه حامل العلم لينزعه وحاول من يد الكشاف بوزيد شعال هذا الاخير الذي كان يتصدر الصفوف الأولى للمظاهرات ،الذي مانع ذلك بشدة فقام أحد رجال الشرطة بإطلاق النار عليه ،فانفلتت الأحداث،ولقد كان متوقعاأن يكون الرد الفرنسي متعسفا ومجحفا في حق المظاهرات السلمية، حيث تحولت إلى اشتباكات دموية،لم يجد الجزائريون من وسائل الدفاع عن أنفسهم سوى بعض الأدوات البسيطة والعصي، وأكثر ما أغضب الجزائريين هو استعمال الذخيرة الحربية ضد العزل ، وتكالب اللفيف الأجنبي لضرب الجزائريين تحت قيادة الجنرال دوفال والكولونيل بورديلة، وصمم الجميع على تدمير القرى والمداشر وكان شعارهم " الموت للعرب "[15]،الأمر الذي زاد في حماسة الجزائريين وإتحادهم ،فاستهدفوا البنايات الرسمية ومقرات الدرك وقباضات الضرائب ، وهاجم الفلاحون الأبراج والثكنات واستولوا على الأسلحة وأحرقوا مزارع المعمرين .

والظاهر أن فرنسا استعملت جميع قوتها البرية والجوية والبحرية من أجل إطفاء لهيب المقاومة التي توسعت وانتشرت إلى الكثير من المدن والقرى والمداشر في مناطق عديدة من التراب الوطني وعلى سبيل المثال لا الحصر خراطة وقالمة وجيجل وقسنطينة وغيرها ،لاسيما أن الرقعة الجغرافية للمظاهرات قد توسعت ووصلت حتى الصحراء، كلها مشبعة بالروح الوطنية وفكر الثورة، لذلك كانت المأساة ضخمة وكبيرة جدا.

[15]- فرحات عباس ، المصدر السابق ،ص114.

وفي هذا السياق كشف أحد قادة حزب الشعب حسين الأحول تلك المأساة من خلال مذكرة بعث بها الحزب إلى هيئة الأمم المتحدة في 12 أوت 1950م جاء فيها : " وفي 8 مايو 1945م بينما كان العالم بأسره يحتفل بيوم الهدنة والإنتصار على الهتلرية أراد الشعب الجزائري أن يعبر عن أمله في أن يرى تضحياته تحضى بالإعتبار وأن يتمكن من تحقيق مطالبه القومية ولكن الجيوش الفرنسية المكلفة بحفظ الأمن والإستقرار انضمت مع الأسف للفرق الفرنسية المسلحة وأحدثت مجزرة كان ضحيتها 45 ألف نسمة، فكانت أبطال الفرقة السابعة من الرماة الجزائريين الذين عادوا مكللين بالنصر من ميادين القتال بإفريقيا وأوروبا يجدون ديارهم مهدمة ،وحقولهم مدمرة ، ونساءهم مهتوكة الأعراض ، وأهليهم مقتولين بالرصاص" [16]

كما كشف الشيخ محمدالبشير الإبراهيمي نوايا الإستعمار الخبيثة، ومدى وحشيته في الإستغلال والتسلط على الشعب الجزائري، ومن ذلك وصفه لجرائم الإستعمار الفرنسي بالجزائر في 08 ماي 1945م، حيث وصفهاالإبراهيمي بالمريعة، وبالفضائح الوحشية التي أتت على الأخضر واليابس، وهي بمثابة انتهاك صارخا للحرمات الإنسانية، وهي تكفي وحدها في تلطيخ تاريخ فرنسا بالسواد، وأن هذا التاريخ يبقى راسخا في الذاكرة لا يزول على حد قول الإبراهيمي.[17]

وقد حمل الإبراهيمي السلطات الاستعمارية الفرنسية مسؤوليته اتجاه ذلك، واعتبر الموقف الفرنسي بالمخزي من هذه الجرائم الوحشية، والإعدامات، والقوانين التعسفية، التي تلقتها، والتي لم يسلم منها هو شخصيا[18].

---

[16]- الفضيل الورثيلاني: الجزائر الثائرة ،دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ،1992 ، ص423.

[17]- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، المصدر السابق، ص 382.

[18]- المصدر نفسه، ص ص 419-420.

وكان الشيخ الإبراهيمي يتميز بفكر ناضج وعلم فياض، وذو بصيرة عالية، وعقل متفتح، فنظر إلى هذه السياسة الاستعمارية كالخبير المتمرس، فثار لوطنيته من خلال كشف وفضح نوايا فرنسا الاستعمارية أمام الشعب الجزائري وما يفعل به، والتي استغلته كخزان بشري في الحرب العالمية الأولى والثانية، حيث حارب إلى جانبها، ونصرها ودافع عنها، ولكنها دائما كانت تخذله وتتنكر لوعودها، على حد قول الإبراهيمي: "أمة كالأمم ... وقدمت من ثمن النصر مئات الألوف من أبنائها قاتلوا لغير غاية، وقتلوا من غير شرف ..." [19].

ثم يخاطب الاستعمار مستنكرا مجازره في الثامن ماي 1945م، بقوله: "...أشرفك أن يتقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله، بعد أن شاركك في النصر لا في الغنيمة ... فيجد الأب قتيلا، والأم مجنونة من القرع، والدار مهدومة أو محروقة، والغلة متلفة، والعرض منتهك، والمال نهبا مقسما، والصغار هائمين في العراء". حيث يعتبرها الإبراهيمي بمثابة المكافئة حيث يقول: "يوم ليس بالغريب عن رزنامة الإستعمار الفرنسي بهذا الوطن، فكم له من أيام مثله، ولكن الغريب فيه أن يجعل –عن قصد- ختاما لكتاب الحرب، ممن أنهكتهم الحرب على من قاسمهم لإيوائها، وأعانهم على إحراز النصر فيها"[20]، هذا دليل على الأثر العميق الذي تركته هذه المجازر في نفسية الإبراهيمي، والتي اعتبرها جرائم في حق الإنسانية، وهي صورة أخرى صريحة لابتزاز وطنية الجزائريين.

وقد كتب العديدعن نتائج تلك المجازر اللاإنسانية،وحسب ماذكره القنصل الأمريكي Sulz Serg قدرها ب 50 ألف شهيد ، في حين قدرها فرحات عباس ب60 ألف شهيد، أما الجامع العربية أحصتهاب 45 ألف ، أما جمعية العلماء قد

[19]- محمد البشير الإبراهيمي: آثار، ج3، المصدر السابق، ص 334.

[20]- المصدر نفسه، ص 333.

أشارت في جريدة البصائر إلى 80 ألف شهيد[21]،في حين ذكرت الكتابات الفرنسية أن عدد القتلى وصل مابين 1500 إلى 2000 قتيل ، وهو نفس العدد الذي أكده وزير الداخلية الفرنسي أدريان تكسيه بعد زيارته لبعض المدن التي شهدت حوادث 8 ماي[22] .

أما عن القمع السياسي فقد لجأت فرنسا إلى سياسة الإعتقال والمداهمة، واستهدفت الأعضاء الفاعلين في البيان الجزائري منهم : فرحات عباس وأحمد فرنسيس وأحمد بومنجل ومصطفى الحاج وكسوس عزيز وغيرهم، كما اعتقلت بعض رجال الجمعية وعلى رأسهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ محمد خير الدين، كما اعتقلت العديد من مناضلي حزب الشعب ومنهم : محمد خيضر،وعبد الله فيلالي والعربي بن مهيدي ، وأحمد بوقرة وبن يوسف بن خدة، كما تابعت الإدارة الفرنسية الأهالي الجزائريين ، وأرغمتهم على تسليم الأسلحة التي كانت بحوزتهم لاسيما في المناطق التي عرفت المظاهرات، إلا أن الكثير منهم هربوها وأحيانا خزنوها في التراب ، ونذكرعلى سبيل المثال لا الحصر إقتياد السلطة الفرنسية 400 جزائري إلى منطقة تاشودة بضواحي العلمة وأطلقت عليهم الرصاص أمام مرآى الأهل والأزواج ، ثم رمتهم في خندق جماعي[23] ،إنه مثال صارخ على الهمجية والوحشية وممارسات لا تمت بصلة للإنسانية.

فلابد أن نعتبر من انتفاضة 8 ماي1945 م،والتي تبقى وصمة عار في جبين الفرنسيين،علينا بتوصيل الجرم الفرنسي الذي ارتكب في حق الجزائريين

---

[21]- أحمد صاري : حوادث 8 ماي 1945م من خلال بعض الوثائق الرسمية الفرنسية ، مجلة الذاكرة ، العدد 6، 2000 ، ص34.

[22]- المرجع نفسه ، ص35 .

[23]- عبد الحميد زوزو : محطات في تاريخ الجزائر دراسة في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، ط 1، دار هومة ، 2004 ،ص233 .

المتظاهرين وتوصيله للجزائريين اليوم ،لأن هذه الإنتفاضة عززت التقارب في وجهات النظر للحركة السياسية الجزائرية ونبذت الكثير من الخلافات، وبروز روح الإئتلاف بين الطبقة السياسية بمختلف أطيافها من أجل إحباط المحاولات الفرنسية لجر المطالب الوطنية على القبول ببعض الإصلاحات على حساب القضية الوطنية ، إلا أن الجزائريين ناضلوا من أجلها للتخلص من ربقة الاستعمار الفرنسي ، لكن الطريق لا يزال شاقا والمعضلة قائمة بين الطرفين ما دام الطرف الأخر لا يزال بعد يتنكر لجرائمه ، ولايزال يتعنت ويعتبرها رسالة حضارية مدنت شعب الجزائر.

مدينة شرشال العثمانية

الدكتورة . تسكورث يمينة . آثار إسلامية

المقدمة :

ينبع مفهوم المدينة الاسلامية أساسا من التزام مجتمعنا بالقيم والتعاليم الاسلامية التي تنعكس بالتبعية على هيكلها العمراني ، وكلمة " مدينة " مشتقة من مدن بالمكان أي أقام به [1] ، كما تعرف المدينة بأنها المكان الذي تتوفر فيه شروط العدل والأمن أكثر من أي مكان آخر ، لأنها مركز السلطة بأنواعها المختلفة ، وهي البلدة التي يكون فيها المسجد الجامع الذي تقام فيه صلاة الجمعة [2]، و منها القصبة التي جمعها قصبات وتعني عواصم الأقاليم العمرانية ، وتعرف ايضا بأنها القسم الرئيسي للمدينة أو وسط القرية [3] .

كما أن للمدينة مفهوما دينيا ، إذ فرق الله عزَ وجل في القرآن الكريم بينها وبين التجمعات البشرية الأخرى ، بذكره للقرية وللمصر وللمدينة ولأم القرى على اختلاف مضامينها ومفاهيمها ، ولهذا نجد ان المدينة ذكرت سبعة عشر مرة في القرآن الكريم ، وجاءت مرتبطة بالحكام أو الملك أي انها متميزة بخاصية السلطة .

ومن ثم يمكننا تعريفها لغويا : فكلمة مدينة تعود في الأصل إلى كلمة دين وهي ذات أصل سامي استعملها الآشوريون والأكاديون في معنى القانون ، كما ورد في الحديث الشريف ما رواه البخاري وابن حنبل عن جابر بن عبد الله عن الرسول

1- ابراهيم (عبد الباقي) : المنظور الاسلامي للتنمية العمرانية ، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، مصر 1983 م ، ص 49 ، 76 .

2-بويحياوي (عزالدين) : تطورالعمرانالاسلاميمنخلالعواصمالمغربالأوسط (منالقرن 2 هـإلىالقرن 8 هـ) ،أطروحةدكتوراهدولة،جامعةالجزائر،قسمالآثار 2001 - 2002 م،ص 26 .

3- ابراهيم (عبد الباقي) : المرجع السابق، ص 88

صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يوم تحشر العباد أو قال الناس حفاة عراة عزلا ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما سمعه من قرب أنا ملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة ولا أحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقصه منه ... " [4] [5].

. **مدينة شرشال :**

بنيت المدينة على انقاض المدينة القديمة الرومانية القيصرية [6] ، وذاك الاختيار لم يأت عبثا وإنما جاء لما يتوفر عليه ذاك الموقع ن الشروط والمواصفات الضرورية لبقائها ، فقدجاءت محصنة طبيعيا بإنشائها فوق هضبة مرتفعة يطوقها البحر من الجهة الشمالية ، وتلتف بها وتحتضنها من الناحية الجنوبية سلسلة من القمم الجبلية [7] ، أما عن تحصيناتها المعمارية فقد أهملت مختلف المصادر والمراجع التي اهتمت بدراسة المدينة في الفترة الاسلامية التطرق إليها ، باستثناء الاشارة إلى أنها مسورة بسور من ثلاثة أبواب في العهد التركي العثماني [8]، كما ساعدت وفرت المياه العذبة الباطنية والجارية التي كانت تجلب بالدرجة الأولى من الجهة الشرقية وخصوبة أرضيها على قيام المدينة ، اي بتوفر وجود الميرة بأنواعها المختلفة .

4-بنيوسف (إبراهيم) : إشكاليةالعمرانوالمشروعالاسلامي،مطبعةأبوداود،الجزائر 1966 م،ص 66 .

5

6- Gsell(St) : Promenade archéologique …., P 7 .

7-Dr Shaw : Voyage dans la Régence …., P 266 .

8 -Saidouni (N) : L'Algérois rural a la fin de l'époque ottoman (1791 – 1830), Dar – el Gharb al Islami , Beyrouth , 2001, P 80.

*عينقصيبة : كلمةتتشكلمناسمين " عين " و " قصبة " ،وحسبالروايةالشفويةفإنهذهالتسميةمشتقةمنينبوعماءاستعانالسكانبقصبةمجوفةلاستخراجملأالدلاء،انظ ر : أرزقي فراد (محمد) : شرشالتاريخوحضارة ، الطبعة الأولى ، دار الحضارة ، الجزائر 2002 م ،ص 19 .

وقبل الخوض في ذكر أهم التقسيمات للمدينة لا بد من الإشارة إلى أنها كانت تتمثل في موقع "عين قصيبة "*، والتي مرت حسب الدكتور " يوسف الشناوي "عبر مرحلتين أساسيتين عرف خلالهما نسيجها العمراني تطورا وتكاملا كبيرين ،وقد ساهمت هذه العوامل في تطور المدينة ولو لفترات مؤقتة ، وذلك لكثرة الحروب هذا ما أدى بها إلى الدخول في فترة فراغ مميتة إلى أن عرفت نهضة جديدة وذلك بقدوم الأندلسيين ومن بعدهم الأتراك ، فتنوعت مظاهرها العمرانية وأضحت من اهم المدن الجزائرية (أنظر المخطط رقم 01).

المراحل التاريخية التي مرت عليها :

. الوجود الأندلسي : 1492 . 1516 م ، وبهذه الفترة جاء النسيج العمراني مجاورا للمسرح الروماني من الناحية الشرقية الشمالية ، يتبع بصورة منتظمة فراغات واتجاهات جدران المدينة الرومانية ، وبنيت المساكن على محور تجاري مستقيم ، أما الطرقات فقد خضعت للنظام العام والخاص ، حيث نجد انتظام الطرق القطرية أي المحور الرئيسي الذي هو المحور التجاري تتفرع منه الطرق الثانوية التي تفصل المجمعات الصغيرة للمساكن ، ومن هنا تبدأ الازقة المغلقة الخاصة التي تؤدي مباشرة إلى مداخل المنازل (أنظر المخطط رقم 02) .

. الوجود العثماني : 1516 . 1840 م وعرفت المدينة خلالها تطورا كبيرا ، فقد جاء تخطيطها على النمط الذي عرف في الفترة الأولى ، بزيادة توسعها على حساب الجهة الشرقية للمدينة الأندلسية حول مسجد مائة عمود بالجهة الغربية ، بالإضافة إلى توسعها الكبير في الجهة الجنوبية الشرقية للمسرح الروماني ، وما ميز هذه الفترة هو الحرص على الجانب التحصيني للمدينة لحمايتها من أي عدوان خارجي باعتبارها فترة غزوات وحروب (أنظر المخطط رقم 03) .

أهم المرافق العامة :

الملاحظ أن المركز التجاري للمدينة يتمركز بالدرجة الأولى بالجهة الغربية من حي عين القصيبة بالقرب من المسجد الكبير ، والتي تمثلت في الأسواق التي اشتهرت بها شرشال منذ فترات سابقة من الحكم الاسلامي لها ، فكانت بها سوق موسمية ، وهذا يظهر من قول البكري : " ...وفيها (شرشال) رباطات يجتمع إليها في كل عام خلق كثير ...." [9]، وهذه الأربطة عبارة عن أسواق معارض شبيهة في ذلك بسوق المونستير في الساحل التونسي و ساماط بالمغرب الأقصى [10]، فالمدينة كانت في العهد التركي عبارة عن أسواق شعبية داخل أسوارها ، ونذكر منها " سوق اللوح " الذي نشر له الرحالة الألماني " هاينريش فون مالتسان " صورة في كتابه " ثلاث سنوات غرب إفريقيا " ، والواضح منها أنه قد كان بجوار المسجد الكبير [11](أنظر الصورة رقم 01) ، وكانت تتم فيه عملية العرض أي البيع فقط ، لأن هذه الأسواق كانت تقوم في فضاءات قليلة الكثافة السكانية خارج المدينة ، وذلك مراعاة لبعض الاعتبارات البيئية والاجتماعية [12] ، او جعلها بالقرب من الأبواب ، وذلك لنقل المادة الأولية [13].[14]

9- البكري (أبو عبد الله) :كتاب المسالك والمماليك ، تحقيق : أدريان فان بوفن وأندري فيري ، الجزء الثاني ، بيت الحكمة قرطاج، الدار العربية للكتاب ، الطبع الثاني ، دون تاريخ .، ص82 .

10-Brunchvig (A) : Histoire des foires à traverl'islam , in : R.S.J.B , 1954 , P 50 . 52 .

11-فون مالتيسان (هاينريش) : ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا ، ترجمة : أبو العيد دودو ، الجزء الأول ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1980 م ، ص 161 .

12-Le Tourneau : Les Villes musulmanes de l'Afrique du nord ; Alger 1957 , P 22 .

13- Marçais (G) : La conception des villes dans l'islam ; inR.d'Alger , 1945 , P 530 .

14

كما كان هناك نوع آخر من المرافق التجارية من بينها الحوانيت* والدكاكين ، فهما لا يختلفان إلا في الحجم والوظيفة [15] ، وتتجمع معظم هذه الحوانيت في الاحياء الرئيسية التجارية والبعض منها يتوزع في انحاء المدينة ، ويذكر أنه كان بها مائتا محل [16] .

وحسب النشاط الاقتصادي الذي تطرقنا إليه في إشارتنا إلى المظاهر الحضارية في الفصل الأول ، حيث كانت تعج بشتى الصناعات كالحدادة والتجارة والدباغة والطرز وصناعة العطور والمنسوجات والحلي [17] ، وكانت هذه الحوانيت مصطفة على جانبي شارع عريض أو يخصص قسم منه يتجمع فيه التجار الذين يمارسون نفس التجارة او حرفيون يمارسون نفس الحرفة [18] ، إضافة إلى الحوانيت اختصت المدينة بنوع من المرافق التجارية افتقدت إليها العديد من المدن الجزائرية آنذاك وهو الخان .

مساكن المدينة وأهم خصائصها :

ومنها البيت هو جمع بيوت ، وهو المسكن مطلقا للإنسان والحيوان وسائر المخلوقات ، مصادقا لقوله تعالى : " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَحْلِ أَنْ اتَخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَجَرِ وَمِمَا يَعْرُشُونْ " * ، وهو بمعناه العام كل مسكن حضري من حجر أو آجر أو خشب ، وكل خيمة يدوية من جلد أو صوف أو وبر ، لقوله تعالى : "

15- بن كردة (زهية) : أسواق مدينة الجزائر من الفتح الاسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، قسم الآثار ن جامعة الجزائر 1999 - 2000 م ، ص 82 .

*حوانيت جمع " حانوت " وهو محل إنتاج وممارسة حرفة ما ، أما الدكان فهو محل عرض البضائع ، أنظر : عاصم (محمد رزق) : معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، الطبعة الثانية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 2000 م ، ص 71 .

16 - Saidouni (N) : OP .Cit , P 80 .

17- أرزقي فراد (محمد) : المرجع السابق ، ص 19 .

18- بن كردة (زهية) : المرجع السابق ، ص 21 .

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ضَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ "** [19].

وبظهور الاسلام كان طبيعيا أن يتأثر البيت العربي بالدين الجديد ، سواء في المشرق أو في المغرب ، كما تأثرت العمارة والفنون وأساليب الحياة ، فقد جاء تصميمه في بداية الاسلام بسيط المظهر موافقا لما يلائم مبادئ الاسلام واتجاهاته الاجتماعية والدينية ، وخاصة ما يتعلق منها بالحشمة والحرمة ، ثم تطور بناؤه وظهرت أساليب جديدة في العمارة والبناء في الفترات الاسلامية اللاحقة [20] ، ووصل في العهد العثماني إلى قمة تطوره [21] ، وبالرغم من هذا التطور عبر العصور الاسلامية فإنه بقي محافظا على خصائصه العامة ، ونفس الطراز في المشرق والمغرب وان اختلفت بدرجات متفاوتة من منطقة إلى أخرى بسبب الظروف الطبيعية كالمناخ أو طبيعة الموقع جغرافيا ، أو بسبب الأحوال المادية لأهلها ، لكنها تظل بصفة عامة متشابهة لخضوعها لنفس التأثيرات الدينية المتوارثة [22] ، ففي العهد العثماني أضيفت بعض التفاصيل الانشائية وكذا الزخرفية والتي لم تمس بالتكوين الأساسي للمسكن الاسلامي [23]، القائم على صحن مكشوف تحيط به أروقة تنفتح عليها عدة غرف ، وهي السمة البارزة التي نلاحظها على المسكن

19-رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ،ص 38 .
*القرآن الكريم : سورة النحل ، الآية 68 .
**القرآن الكريم : سورة النحل الآية 80
20- جودي (محمد حسين) : العمارة العربية الاسلامية ، خصوصيتها ابتكارها جماليتها ، ط 2 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان 1998 م ، ص 59 ، 60 .
21-الريحاوي (عبدالقادر) : قممعالميةفيتراثالحضارةالعربيةالاسلاميةالمعماريوالفني،ج 2 ،منشوراتوزارةالثقافة،دمشقسوريا 2000 م،ص 622 .
22- الريحاوي (عبد القادر) : البيت في المشرق العربي الاسلامي ، مجموعة أبحاث المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية ، وزارة الثقافة ، تلمسان 1982 م ، ص 15 .
23- ريموند (أنري) : العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية ، تعريب : قاسم طوير ، دار المجد ، دمشق سوريا 1986 م ، ص 85 .

الجزائري في العهد العثماني ، فقد بنيت بنمط منتظم على شكل مجمعات سكانية منفصلة على بعضها البعض، جاءت على التقاطع الحاصل بين شوارعها وأزقتها ودروبها ، متراصة فيما بينها يتكون أغلبها من طابق واحد يتوسطها صحن مكشوف تحيط به حجرات عديدة ، وهذه الظاهرة منتشرة بكثرة في بلاد الأندلس [24].

وأول ما يستدعي الانتباه حول تلك المنازل من الناحية الخارجية أنها مكونة من واجهات رئيسية واحدة ، وذلك بسبب اتصال الواجهات الأخرى بالمساكن المجاورة ، وهذه الظاهرة هي سمة من سمات المنزل العربي [25] ، كما أن المظهر الخارجي للمنازل بسيط جدا في عناصرها المعمارية وحتى الزخرفية إذا ما قورنت بما داخلها من تصميم معماري ، جميل ، ويبدو أنها جاءت متأثرة في ذلك بمنازل الأندلس [26] ، كما أن هذه الخاصية تميزت بها منازل قصبة الجزائر في العهد العثماني [27] ، وبذلك فتفسير الاهتمام بداخل البيت دون خارجه تفسيرا نفسيا بأن المرأة المسلمة كانت لا تخرج من بيتها إلا نادرا ، بل تقضي جل حياتها داخل بيتها ، فمن الطبيعي إذا أن يهتم البناء بداخل بيته فيزين الجدران بزخارف جصية ويتأنق في كسوتها بالرخام والزليج ، ويغرس الأشجار في الفناء ، حتى تعوض المرأة ما كانت تفتقده بعزلها عن الحياة الخارجية فتجد بالداخل ما ينفس عنها وييسر من همومها ، كما يمكن أن تتصل بالخارج بالاستعانة بالصحن أو السطح أو بعض العناصر المعمارية كالشمسيات او النوافذ فتأنس برؤية الرائحين والغادين

24- سامي (حسن) : العمارة المدنية بالأندلس ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 01 ، معهد التاريخ ، الجزائر 1986 م ، ص 89 .
25-الريحاوي (عبدالقادر) : المرجعالسابق،ص 626 .
26- سالم (عبد العزيز) : بحوث اسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، القسم الثاني ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان 1992 م ، ص 19 .
27-حليمي (عبدالقادر) : مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 م ، المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي ، الجزائر 1972 م ، ص 224 ، 225 .

دون أن يراها أحدا [28] ، كما كانت النسوة العازبات تزور جاراتها عن طريق انتقالها من السطوح المبنية جنبا إلى جنب بعضها [29]، وكانت لا تخرج غالبا إلا في الزيارات المحتمة كموت أحد أفراد أهلها المقربين وتخرج إليها بصحبة محرم ، كما كانت تخرج إلى الحمام المتواجد بالحي بشكل منتظم وبرفقة عدد لا بأس به من النسوة جاراتها أو من العائلة ، وبهذا تكون قد عملت على تقوية أواصر القرابة والمحافظة على صلة الرحم .

وبنيت هذه المساكن حسب ما رأيته بنظام مجمع سكني واحد يتميز بارتفاع المساكن العلوية عن السفلية كما هو الحال بمساكن القصبة [30] ، وهذا راجع لطبيعة موقع المدينة المائل ، كما توجد ظاهرة هامة في التخطيط العام لتلك المنازل ، والمتعلق بعدم انتظام الحدود الخارجية وعدم استقامة بعض الغرف، بحيث لا تؤلف فيما بينها زوايا قائمة ، الظاهرة موجودة كذلك في منازل قصبة الجزائر [31].

وقد جاءت منازل المدينة متراصة فيما بينها ، متأثرة بذلك بتخطيط مساكن المدن الاسلامية الأولى ، وتلك الظاهرة مرتبطة بعوامل عدة ، فقد يرجع إلى ضيق مساحة الأرض ورغبة الناس في السكن داخل أسوار المدينة ، أو مرتبط بعامل الأمن بحيث يصعب على الأعداء مهاجمة هذا النمط من المساكن [32] ، باعتبارها متسلسلة متلاصقة متراصة ، كما من الممكن أن تكون لها صلة بالحالة الاقتصادية الجيدة التي كانت تعيشها المدينة مع قدوم الأتراك ، وبجعلها قبلة

28- سالم (عبد العزيز) : المرجع السابق ، ص 19 .
29-أرزقيفراد (محمد):المرجعالسابق،ص 19 ، 21 .
30-عقاب (محمدالطيب) : المسكنالأصيلفيمدينةالجزائر،عنجريدةالشعبالعدد 7945 ،ج 1 ،الجزائرماي 1989 م،ص 9 .
31-حليمي (عبدالقادر) : المرجعالسابق،ص 225 .
32- عثمان (محمد عبد الستار) : : المدينة الاسلامية ، ط 1 ، دار الآفاق العربية ، القاهرة 1999 م ، ص 615 .

للمهاجرين ليترتب عنها زيادة عدد سكان المدينة ورغبت الجميع بالسكن بها بالقرب من كل المرافق لينجر عنه ازدحام في عمرانها [33] ، ومن الناحية المادية فهذه الظاهرة تساعد على التقليل من تكاليف الانشاء وذلك بالاشتراك في الكثير من الجدران الخارجية الفاصلة بين مسكن وآخر أو الاشتراك في الفناء والبئر ، وفي بعض العناصر المعمارية مثل المداخل [34].

وللمساكن المتلاصقة أيضا صلة مباشرة بالحياة الاجتماعية فهي تعمل على ستر الحريم عند حاجتهن إلى التزاور وتفتقد بعضهن بعضا وأنس بعضهن لبعض لما لهن من الوحشة وكذا لضيق بعض مساكنهن[35]، كما يمكن إرجاع تلاصق هذه المنازل أيضا إلى عامل الاستعمار بعد استحواذه على الجوانب الداخلية والشمالية المدينة ، وبتضييق الخناق على سكانها وذلك بنزع ممتلكاتهم لجئوا إلى استغلال الكثير من المساحات الخضراء من المدينة وبالدرجة الأولى التوسع على حساب حدائق المساكن ، البعض منهم إلى تقسيم المسكن الواحد إلى مسكنين أو أكثر ، هذا عموما ما نتج عنه تشويه المنظر العام لمدينة إلى جانب خروج بعض المساكن عن بعض التقاليد العامة المألوفة في عمارة المسكن الاسلامي ، كما وتميزت الكثير من مساكن حي عين لقصيبة بالاتساع باستثناء عدد القليل منها ، وتعرضت الكثير منها إلى التغيير خاصة الفخمة منها ، إذا ما قارنا الطابق السفلي الأصلي الفخم والطابق المضاف العلوي البسيط ، أما المساكن التي بها طابق ثان فهو مستحدث يعود إلى الحقبة الاستعمارية ، كما وتم تغيير الأسقف الأصلية لبعض وحدات الطابق الأرضي ، ويمكن القول أن لولا أن هاته المساكن لم يتم استغلالها من طرف الاعيان من الفرنسيين المستعمرين وسكنهم بها او استخدامها لمصلحتهم

33- حليمي (عبد القادر) : المرجع السابق ، ص 226 .
34- عثمان (محمد عبد الستار) : المرجع السابق ، ص 62 .
35- المرجع نفسه ، ص 350 .

كمكاتب وغيرها لكان أمرها كباقي القصبات اندثرت ولم يبق منها سوى بعض الجدران [36]

العيــون :

من المألوف انتشار العيون في شوارع المدينة الاسلامية ، والتي يراعى في انشائها أن تكون داخل أسوار المدينة حتى إذا داهمهم العدو أو حاصرهم فلا يمكن له أن يقطع عليهم مياه الشرب ، وتقع هذه العيون في الجهات العلوية من المدينة حتى يسهل عن طريق الجاذبية بناء سواقي لتمويل السكان وإدخال المياه إلى منازلهم [37]، والملاحظ بمدينة شرشال العتيقة قلة العيون ، فقد تعرفنا على عين واحدة شرق القصبة ونصل إليها عبر شارع سيدي ابراهيم الغبريني ، وهي في غاية البساطة (أنظر الصورة رقم 02)، وترجع أسباب قلتها إلى : اندثارها ، أو إلى وجود عيون طبيعية تنبع مباشرة من باطن الأرض ، وهي منتشرة بكثرة في الجهة الشمالية للمدينة بالقرب من الميناء ، والتي ما زالت قيد الاستعمال إلى يومنا هذا من قبل المارة ، أو لسبب كثرة الآبار ، فلا تكاد دار تخلو من بئر ، ويلجأ إلى الاستعانة بتلك العيون التي كانت تجلب مياهها من المناطق الجنوبية الشرقية عبر قنوات من الفخار وذلك عند ملوحة مياه الآبار القريبة من البحر [38] .

والملاحظ اليوم أن وضعية موقع عين القصيبة أو المدينة الاسلامية العتيقة بمدينة شرشال الواقعة بمنطقة تيبازة وهي من أهم مدنها ، سيئة للغاية وتزداد

36- حسب ما رأيته ، وحسب روايات كبار أهل عين القصيبة استنادا لروايات الأجداد ، وانظر : سعد الله (أبو القاسم) : تاريخ الجزائر الثقافي،الجزء الثامن ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1980 م، ص 402 ، نقلا عن أحد الكتاب الفرنسيين بقوله : " ...إن سكن الأوربيين للقصور والأحواش هو الذي أنقذها من التخريب " .

37- حليمي (عبد القادر) : المرجع السابق ، ص 55 .

38- سعيدوني (ناصر الدين) : دراسات أندلسية (مظاهر التأثير والوجود الأندلسي بالجزائر) ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان 2002 م ، ص 49 ، 52 .

سوءا يوما بعد يوم ، وذلك جراء العوامل الطبيعية والبشرية التي لا ترحم ، فقد كانت بعد سنة 1840 م هدفا من طرف المستعمر الفرنسي لطمس معالمها وتشويه النسيج العمراني الأصلي لها ، وبعدها عرفت المدينة نوعا من الاختناق ترتب عنه التوسع على حساب المساحات الخضراء للمدينة ، كما عمدوا إلى جعلها مدينة عسكرية وهذا ما يظهر من خلال مخطط للمدينة سنة 1870 م ، ويتبن من خلاله تحويل أجزاء كبيرة من أطراف المدينة وبعض المعالم الدينية مثل المسجد الكبير ومسجد سيدي علي إلى بنايات عسكرية ، كانوا يودون بذلك جعلها مدينة عسكرية ، وبالفعل تمكنوا في الفترة الممتدة ما بين 1934 . 1945 م من جعلها مدرسة عسكرية خاصة [39]، أما المناطق الشمالية المحاذية للميناء فقد تم تحويلها إلى سكنات خاصة بهم [40] (أنظر المخطط رقم 04) ، ولم يكتفوا بهذا فقط بل امتدت ايديهم إلى المنازل الفخمة وسلبوها من أهلها وأحدثوا على عمارتها تغييرات وتجديدات كثيرة ، حتى أنهم أحدثوا طابقا جديدا (أنظر الصورة 03) ، هذا ما أفقدها جمالها وأصالتها ، وقد استمر الخطر يهددها إلى يومنا هذا فقد لاحظنا تهديم العديد من المساكن ثم استبدالها بمساكن حديثة تخطيطها مخالفة لتخطيط المنازل القديمة .

كما هناك المنازل التي انهارت لوحدها نتيجة الكوارث الطبيعية من الزلازل مثلا والتي تضرب المنطقة باستمرار، وكذا من الاهمال ، بالرغم من أن الموقع مصنف وطنيا تحت رقم 03 /1999/11 م [41] ، إلا أنه يعاني الاهمال وذلك لغياب المراقبة ، وانعدام عمليات الترميم (أنظر الصورة أ . ب رقم 04) ، فكما للحفريات والتنقيبات الأثرية دورا ايجابيا والذي يتمثل في الكشف عن الحقائق التاريخية

39- Yver (G) et Sari (Dj) : Cherchell, P 370 .
40- Leveau (Ph) : Caesarea de Mauritanie une ville …, P 74 .
41- أرشيف حصن 23 : شرشال ، العلبة رقم 01 ، ملف عين القصيبة .

للمدينة ، لها دورا سلبيا في حالة تجاهل ما هو ظاهر وقائم والبحث عن ما هو مدسوس في باطن الأرض ، وهذا ما لاحظناه أثناء معاينتنا للمدينة (أنظر الصورة ت . ث رقم 04) .

ومن الضروري الإشارة إلى ان مدينة القليعة العتيقة هي أيضا قد حملت نفس سمات مدينة شرشال العتيقة ، فبذلك اتخذنا نموذجا واحدا للدراسة ، وسبب اختيارنا لمدينة شرشال لم يكن إلا بعد تفحص دقيق ، لما بينهما سعة وأكثر المنازل والمرافق التي مازالت قائمة أكثر بكليهما ، فكانت مرافق حي مدينة شرشال الإسلامي والعتيق والمسمى كما ذكرنا آنفا " حي عين القصيبة " .

الحمَامات :

" الحمام "لغة هو المغتسل المعروف ، كما يقال له أيضا الديماس مذكره و مؤنثه ، والحمام كلمة مشتقة من الحميم وهو الماء الحار ، والتي بجمعها يقال حمامات [42] ، والغرض من بناءه الاستحمام ، فكان وما زال يعتبر من أهم المرافق العمومية ذات الخدمات الاجتماعية المشتركة كونها مؤسسات ضرورية تؤدي وظائف عدة ، صحية دينية وترفيهية ، ونقصد بالحمامات العمومية ، التي كانت ومنذ العهد الروماني تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة والترف بوحداتها أو قاعاتها الثلاث المعروفة ، وهي كل من القاعة الباردة والدافئة والساخنة ، والتي اختصت كل منها بنشاط معين من رياضي أو ثقافي أو سياسي أو علمي[43]

كما وأن الحمام ومبدأ إنشائه مرتبط بالدرجة الأولى بالعامل الديني والخاص بالطهارة التي هي أساس صلاح العبادة في الشريعة الاسلامية ، وأدلة ذلك عدة

42ـابنمنظور (أبوالفضلجمالالدينمحمد) : لسانالعربالمحيط : تقديم : عبداللهالجيلالي،وإعداد : يوسفخياط،دارالجليل " دارلسانالعرب " ،بيروتلبنان 1988 م،ص 726 .
43ـ القرآن الكريم : سورة التوبة ، الآية 108.

نصوص شرعية تحث على ذلك لقوله تعالى : " لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهرون والله يحب المتطهرين"[44] .

عرفت الجزائر ظاهرت بناء الحمامات العمومية انتشارا كبيرا خلال الفترة العثمانية ، وقد أبدعوا في تشييدها ، وحرصوا على توفير كل المرافق الضرورية بها ، وكذا أوجدت بأهم مدنها كمدينة شرشال والتي بها مجموعة من الحمامات ويتمركز معظمها بالجهة الغربية لمدينة كل من حمام " صاري " والحمام " الصغير " وحمام " سويلاماس " التي استحال علينا دراستها لغياب ملاكها ، ومن النماذج التي أمكننا دراسته **حمام " سيدي يونس "** الواقع في الجهة الشرقية دائما في نفس الحي لنفس المدينة (أنظر المخطط رقم 05) ، نسبة إلى الولي الصالح " سيدي يونس " ، وقبره يحد عمارة الحمام من الناحية الجنوبية بالضبط بمسكن عائلة سعدون .

<u>دراسة وصفية تحليلية لحمام سيدي يونس</u> :

يتكون الحمام من واجهة رئيسية واحدة مطلة على شارع محمد عزاز ، ليحتل بذلك مدخله الرئيسي ركن الجهة الجنوبية الغربية والمدخل لغة هو الباب من البناء ، جمع أبواب وبيبان ، وهو المدخل وما تسد به فتحته من خشب ونحوه ، أما في المصطلح الأثري المعماري فإن الباب الخارجي أو الداخلي ، الرئيسي أو الفرعي ، هو تلك الفتحة القائمة في سور المدينة أو الحصن أو الخان أو في واجهة المسجد والبيت وغير ذلك مما يغلق عليه مصراع أو مصرعان أو أكثر[45]

وأعلى مدخل الحمام توجد ظلة ، ويفتح بباب خشبية حديثة وحيدة المصرع ، يعلوه عقد يزينه عمودان اسطوانيا البدن ، توجا بتاجين من طراز أيوني

44- رزق(عاصم محمد) :المرجع السابق ، ص 84 .
45-رزق(عاصم محمد) :المرجع السابق ،ص 23 .

أعلاهما عقد مفصص ، كسيت أسفل وبواطن جدران واجهته ببلاطات خزفية حديثة (أنظر الصورة رقم 05) والحمام كله إذا من طابق واحد (أنظر المخطط رقم 06)

والنوافذ جمع " نافذة " والتي هي صفة للطاقة إذا كانت تخترق الحائط من جانب إلى آخر ، وهي بذلك إما صماء للزخرفة أو لحفظ المتاع والأدوات والتحف وعرضها ، أو نافذة للتهوية والإضاءة أو الإشراف على الخارج في القلاع والحصون والقصور والمساجد [46]، و أوجدت هنا في أعلى الواجهة الشمالية نافذة بها أربعة عقود مفصصة محمولة على ثلاثة أعمدة حلزونية البدن حديثة الصنع وهي مسيجة بشباك حديدي ، يعلوها شريط من المربعات الخزفية ممتدة على طول الواجهة ، والمدخل يعلوه إفريز من القرميد النصف الاسطواني أحمر اللون (أنظر الشكل رقم 01) .

و جاء سقف الحمام كله مسطحا ، ما عدى سقف القاعة الساخنة فقد جاء مقببا **بقبة** مضلعة ، وسطحه طوق بجدران يقدر ارتفاعها ب 0.80 م ، توجت بشرافات مسننة حديثة الصنع (أنظر المخطط رقم 07) و (أنظر الصورة رقم 06 والصورة 07) .

احتوت نهاية المدخل الرئيسي على سقيفة طولها قدرب : 17.5 م و عرضها 2 م ، كما وتليه مباشرة شبه غرفة صغيرة حديثة البناء طولها 3 م ، يوجد بها باب مؤدي إلى الجزء الثاني وهو بمثابة رواق به مدخلان على الجانب الأيسر ، أحدهما ينتهي إلى الغرفة الخاصة بتسخين الماء ، والثاني إلى مخرج في الجهة الشمالية

46- غالب (عبد الرحيم) : موسوعة العمارة الاسلامية ، الطبعة الأولى ، جروس برس ، بيروت ، 1408 هـ / 1988 م .، ص 429 .

للحمام لنصل منه إلى سلم حديدي لننتهي به إلى السطح مباشرة (أنظر المخطط رقم 06) .

ويمتد رواقه بمسافة 14.5 م على استقامة واحدة ، جانبيه مزينة صف من أعمدة أسطوانية البدن متوجة بتيجان نفس سابقاتها أيونية الطراز ، وتعلوها عقود نصف دائرية ، أوجدت دكه بالجانب الأيمن منه ، وكسيت جدرانه ببلاطات خزفية حديثة ، أما أرضيته فقد بلطت ببلاطات سداسية الشكل (أنظر الصورة رقم 08) ، ويعرف الرواق انعطاف في نهاية جهته الشمالية ، وذلك الانعطاف تؤدي بنا إلى **الغرفة الباردة** بطول 10 م وعرض 6 م ، حمل سقفها على ست أعمدة بدنها أسطواني ، ضمرا اثنين منها بالجدار الغربي لها ، كما يوجد بها مصطبة تتصل بجدارها الشرقي والشمالي عن أرضيتها ب : 0.30م، سخرت لغرض الاستراحة ، جدرانها مكسية بمربعات خزفية حديثة ، بجدارها الشرقي فتحت نافذة مماثلة لسابقتها بالواجهة الرئيسية للحمام .

وحسب رواية ملاك هذا الحمام فقد أحدثت تغييرات على مستوى الغرفة الباردة والغرفة الموالية لها وهي **الغرفة الدافئة** (أنظر الصورة رقم 09) ، والتي السبيل إليها مدخل الجدار الغربي الذي يتوسط السقيفة بعرض 1 م ، طولها 7.50 م وعرضها 1.50 م ،زودت هاته القاعة بدكه للاستراحة وفسحة منها للمرحاض ، امتد عليها سقف مقبى اتخذ شكل نصف برملي (أنظر الصورة رقم 10) .

بجدار الغرفة الدافئة الغربي مدخل يؤدي إلى **القاعة الساخنة**، والتي جاءت مربعة الشكل طول الضلع منها 7.50 م ، تعلوا القاعة قبة مثمنة ، تتناوب على أضلاعها أربع فتحات الغرض منها الاضاءة كون القاعة الإنارة بها قليلة ، كأمثاله

الكثير من الحمامات التي ترجع إلى الفترات الاسلامية أو الفترة العثمانية [47] ، وتلك القبة ترتكز على قاعدة ثمانية الأضلاع محمولة على دعامات أربع مركبة (أنظر الصورة رقم 11) ، والتي لها دور إلى جانب دورها في حمل القبة ، وهو هام له علاقة مباشرة بالجانب الديني والمتمثل في الخلوة التي من استحداث المسلمين والغرض منها اتمام الطهارة للجسد كله بتأني ليتجنب عند كل من المرأة والرجل كشف العورة ، هذا ما لوحظ أيضا في حمامات إسلامية عديدة [48].

والملاحظ بذلك هو أن كثرة الحمامات العمومية بالمدينة يعكس مدى حاجة الناس إليها ، والتي ارتبطت بعدم قدرة جميع السكان على انشاء حمامات خاصة بمنازلهم لما يكلفهم من حيث انشائه وإنشاء شبكات الصرف والآبار للتزود بالماء وكذا تسخينه ، ومن ثم فإن تعدد انشاء الحمامات يبين مدى الاهتمام بعمارته لما تدره من دخل ، لاستخدامه المستمر من طرف سكان المدينة ، كما وأنها كانت تعتبر متنفسا اجتماعيا من خلال التقاء الناس بها في مختلف الأيام لعقد المجتمعات المرحة [49]، فبذلك يطهرونويسترخون وينفسون عن أنفسهم .

شهد حمام " سيدي يونس " الكثير من التغييرات المعمارية ، نتيجة إصلاحات لبعض الأضرار التي لحقت به مع مرور الزمن ، كاستخدام أوراق الزفت في تغطية سطحه ، أو بسبب تجهيزه بمعدات حديثة بدل القديمة كآلات الضخ والتسخين لتحسين خدمة الزبون وتحقيق راحته أكثر ، لتخلق بذلك فضاءات جديدة على حساب الوحدات الأصلية ، مع تجديد كسوة جدرانه ببلاطات خزفية حديثة وكذا استحداث بعض العناصر المعمارية والعقود خاصة المفصصة منها ، فرغم كل

47- موساوي (عربية سليمة) : الحمامات الجزائرية الاسلامية إلى نهاية العهد العثماني ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 1990 - 1991 م ، ص 140 ، 147 .
48- المرجع نفسه ، ص 214 .
49- عثمان (محمد عبد الستار) : المرجع السابق ، ص 353 .

تلك التجديدات التي وجهت ولحسن الحظ إليه بنوع ما من العقلانية وبطريقة محدودة ، ما منع التأثير في شكل عمارته العامة ، ليحافظ بذلك على طبيعته التقليدية ذات اللمسة الاسلامية وطرازها ، لشد إليه حنين سكان المدينة ، ويدعوهم إلى عدم الانقطاع عنه ، فرغم قدمه فإنه وليومنا هذا يشهد اقبال متواصلا .

خان مدينة شرشال :

" خان " بفتحتين معناه لغة نقص وتذكر ، ويقال " خونه " تخوينا نسبة إلى الخيانة ، فللرجل يقال " خائن " وللمرأة " خائنة " ، وهي هنا جمع " خانات " وهي كلمة فارسية الاصل تعني منزل مؤثث أو نزل مفروش معد ومهيأ للطعام والشراب والنوم ، ويقصده عموما المسافرين من التجار والرحالة وغيرهم قصد الاقامة المؤقتة مقابل أجر معلوم ، كما يمكن أن يكون أيضا " دكان " أو " حانوت " كبير [50] .

ومنه خان المدن وهو مخزن التبادلات التجارية والإقامات القصيرة للتجارة ، وهو نهاية الرحلة التجارية للقوافل المحملة بالسلع والمواد المختلفة ، وعرف هذا النوع من العمائر تطورا كبيرا إبتداءا من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي [51] ، ازدهر بناؤها في بلدان إسلامية عدة كسوريا التي بها " خان العسل " وإيران ، وكان محيطها عبارة عن مناطق واسعة التجارة والعمران وأقرب مثال لذلك " خان يونس " بفلسطين [52] .

50- الرازي (محمد بن أبي بكر) : مختار الصحاح ، دار الكتب العربية ، بيروت ـ لبنان ، ص 340 .
51-عاصم(محمد رزق) : المرجع السابق ،ص 91 .
52- بهنسي (عفيف) : العمارة عبر التاريخ ، دمشق 1987 م ، ص 170 .

احتل هذا النوع من الخانات مداخل المدن ، واشتهرت بوظيفة استقبال تجار التجزئة والمستوردين ، كما وقد تكون مقرا لتبادل العملات ، ليتسنى لهم بعد ذلك التبادل التجاري فيما بينهم بالساحات العامة ، كما وارتبط البعض منها باسم التجارة التي اختص بها ، أو باسم حاجيات التجار التي يقصدونها ، أو لحرفة ممارسة فيه ، وقد يسمى باسم مشيده ك " خان خليل " [53] ، فكانت تدفع الاتاوة لحارسها لمدة متوسطة إلى حين انقطاع تجارتهم التي تكون أغلب الأمر من السلع المتاجر بها كالألبسة مثلا ، ما يشبه تجارة الجملة الحالية .

جاء تخطيط خان المدينة بنوعين رئيسيين ، أوله عرف قاعات متطاولة موازية للساحة المركزية ، ليشبه بذلك شكل الإيوان ، وثانيه والمسمى بالنموذج المتوسطي وبه احتلت المداخل والبوابات حيزا كبيرا من الأهمية ، أخذ هذا النوع الشكل المربع ، وساحة مركزية تحيط بها الأروقة [54] .

ومكانه شمال الطريق الوطني رقم 11 ، خارج أسوار المدينة من الجهة الشرقية ، بقرب باب الجزائر، ليحدَه من الناحية الشرقية مسبح الأكاديمية العسكري ، وهو يعتبر من المعالم المقترحة للتصنيف ضمن المعالم الأثرية الوطنية [55] .

تعذر علينا تحديد الحقبة الزمنية التي يعود إليها بالتحديد ، كون تعمير المدينة قد مر بمرحلة النزوح الأندلسي ومرحلة الوجود التركي ، مع انعدام الشواهد المادية والمكتوبة وغياب التنقيبات المثبتة أو النافية لذلك ، فما جاءنا عنه نادر جدا ، كان مستغلا في الفترة الاستعمارية ، دليل ذلك نذكر ما أشار إليه الرحالة "

53-قاجة (أحمدجمعة) : موسوعةفنالعمارةالاسلامية،ط 1 ،دار الملتقىللطباعةوالنشر،بيروتلبنان 2000 م،ص 160

54- الألفي (أبو صالح) : الفن الاسلامي : أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، ط 3 ، دار المعارف ، ص 10 .

55-أرشيفحصن 23 ، " شرشال " ،علبةرقم 02 الخاصةبتصنيفخانمدينةشرشال .

هاينرش فون مالتيسان " بقوله : " وكان الفندق الثالث قد غير اسمه وأصبح يدعى " الفندق التجاري " [56] ، لكنه استعمل بعد ذلك لأغراض عدة ، ففي الثمانينات حول إلى محكمة ثم إلى مقر الدائرة فإلى المركز العمراني للمدينة ، ليحول بعدها بالتسعينات إلى مقر لعدة جمعيات سياسية وأخرى خيرية ، إضافة إلى استغلال بعض وحداته كالواجهة الشمالية منه لغرض إيواء بعض عائلات المدينة ، وبذلك فإن تلك الاستغلالات المتعددة أثرت على هيكل بناءه العام ، فقد خلقت وحدات جديدة داخل الوحدات الأصلية [57].

. دراسة وصفية تحليلية للخان :

اتخذت عمارته ذات الطابق الواحد الشكل المستطيل ، بمقاسات الطول بها 40 م وعرض 30 م ، وقد تميزت بالبساطة خالية من أي تنميق ، وبذلك له واجهات تطل على الخارج بمجموعة من المداخل والنوافذ ، والواجهة الرئيسية به تتوسطها غرفة فتح في جدارها الشمالي مدخل يعلوه عقد متجاوز كسي إطاره بشباك مخرم بعرض 1.50 م و ارتفاع 1.20 م ، يتم فتحه من خلال باب ذي مصراعين ، كما وتوجد بأعلى المدخل فتحتان صغيرتين لغرض إضاءة تلك الغرفة ، التي واجهتها الشمالية مماثلة للواجهة الجنوبية لها المطلة على الصحن ، تم تسقيفها بقبة مضلعة تتوج رقبتها عدد من الشرافات المسننة (أنظر الشكل رقم20) و (أنظر الصورة رقم 12) ، فيتقدم الواجهة الرئيسية للخان سلم يصل بحوض في الأسفل لا تزال المياه تصب فيه إلى يومنا ، كما ويوجد به مقبرة وهذا ما أكده لنا أحد ساكني الخان، أنه أثناء قيامه بحفر قناة صرف المياه القذرة عثر

56-فونمالتيسان (هاينريش) : المصدر السابق،ص 161 .
57- حسب ما لاحظناه ، وحسب روايات كبار أهل مدينة شرشال .

على قبر حفر عن طريق الشق احترم إنجازه اتجاه القبلة ، وهذا يدل على أنه اسلامي .

جاءت واجهاته الشرقية والغربية متصلتان بمجموعة من المساكن ، هذا ما أعاقنا في وصفنا لهما وصفا دقيقا ، لكن ما يمكننا ذكر وحسب ما رأينا هو امتداد أكتاف كبيرة للتدعيم على طول جدار الواجهة الغربية .

أما واجهته الجنوبيةيتوسطها مدخل استحدث بالخان بعرض 2 م وارتفاع 2.30 م ، يفتح بباب من حديد ذي مصراعين ، والظاهر هو أن المدخل الأصلي كان أوسع من ذلك فقد قدرت مقاساته ب عرض 4 م وارتفاع 3 م ، فقد كانت تمر من خلاله الحيوانات المحملة بالبضائع (أنظر المخطط رقم 08) ، ليشبه بذلك مثلا فندق أو خان " النجارين " بالمغرب الأقصى [58] .

سقف الخان عموما يحمل الشكل الجملوني ، مكسي بقطع من القرميد المستطيل مستحدث والذي يعود للفترة الفرنسية (أنظر المخطط رقم 09) .

كما ويحيط به من ناحيته الجنوبية ساحة واسعة ، سخرت كمربط للخيل ، وبها حوض للماء يروي عطش الدواب ، تتوسطه بارزة للعيان بالجهة الشمالية تصب بالحوض عن طريق صنبور (أنظر الصورة رقم 13) .

يؤدي مدخل الخان إلى صحن مكشوف على غرار أفنية المساجد والمساكن بالمدينة ، ليشبه بذلك خانات المدن التي عرفت في البلاد الاسلامية [59] ، فما يمكننا قوله هو أن تصميم خان مدينة شرشال يرجع في أصله إلى الجامع الذي

58- Ricard (P) : Pour comprendre l’art musulman dans l’Afrique du nord en Espagne , Librairie Hachette , Paris 1924 , P 265 , 266 .

59- غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 156 ، 157 .

قوامه الصحن المكشوف [60] ، وهو واسع المساحة تقدر ب : 600 م ² ، تتربع بوسطه حديقة طول ضلعها 10 م ، مزدانة بمختلفة أنواع النباتات ، محيطة بدرابزين من مادة الاسمنت .

يحيط بصحن الخان مجموعة من القاعات من جهاته الأربع في وضعية موازية له (أنظر المخطط رقم 08) ، السبيل إليها مداخل بسيطة تفتح بأبواب خشبية حديثة من مصراع واحد ، ما عدى القاعة الشرقية والغربية من واجهته الرئيسية ، التي مدخليهما متماثلين عرضهما 1 م ، وارتفاعهما 2.20 م ، وتلك القاعات تطل على الصحن بنافذتين ذات دفتين مصنوعتين من مادة الخشب (أنظر المخطط رقم 09) .

لقد روعي في انشاء خان مدينة شرشال الجانب الاقتصادي ، ويظهر ذلك من خلال حسن اختيار موضع بناءه القريب من ميناء المدينة وطريق دار السلطان الذي يؤدي إلى أبوابها ، ما كان يضمن قديما نزول التجار به برا وبحرا ، إضافة إلى ضمان وصول السلع بسهولة إلى الأسواق لقرب الخان من الباب الشرقي لشرشال ، ومن خلال الضرائب التي تفرض على السلع عند تلك الباب يعود الخان بفائدة كبيرة على خزينة الدولة .

أما الجانب الأمني ، فيتمثل في الحرص على جعل بناءه بالقرب من الأسوار المدينة ومنشآتها الدفاعية على غرار خانات المدن الاسلامية ، ما يضمن أمن التجار وحماية سلعهم ، لتستمر الحركة التجارية وتزدهر .

والملاحظ حاليا أن وضعيته حسنة ، مع بعض التصدعات على مستوى الجدران والسقوف والقبة ، صامدا أمام المؤثرات الطبيعية والبشرية ، من زلزال وتغييرات

60- سالم (عبد العزيز) : المرجع السابق ، ص 160 ، 170 .

سواء في الفترة الاستعمارية والحديثة ، ما يظهر من خلال خلق وحدات جديدة ، وإضافة مداخل ونوافذ وغلق الأصلية منها ،أما مربط الواقع بالساحة الجنوبية فوجدناه في حالة سيئة ، ليؤول به الحال إلى مفرغ للتراب ، ما شوه منظر الموقع بصفة عامة .

مخبزة حي عين لقصيبة بمدينة شرشال :

بعد المعاينة الميدانية لمدينة شرشال الاسلامية ، توصلنا إلى تحديد موضع مخبزتين ، الأولى تقع شرق عين لقصيبة ، التي للأسف لغياب مالكها تعذر علينا دراستها ، والثانية وهي محل دراستنا وتقع بالجهة الغربية للحي نفسه ، و تتكون من واجهتين رئيسيتين ، احتوت الغربية منها بركنها الجنوبي مدخل عرضه 1 م و ارتفاعه 1.90 م ، بأعلاه عقد متجاوز منكسر (أنظر الصورة رقم 14) ، أما الواجهة الجنوبية يتوسطها مدخل مماثل لمدخل الواجهة الأولى وهو مسدود اليوم ، لتفتح نافذة في إطار العقد الذي يعلوه ويطوق الواجهتين إفريز مسنن من مادة الآجر ، مغطاة بسقف جملوني مكسي بقطع من القرميد ذو الشكل نصف أسطواني (أنظر الشكل رقم 03 ، و الصورة رقم 14) .

يؤدي المدخل الرئيسي للواجهة الغربية إلى الغرفة الأولى للمخبزة ، شكلها قريب للمربع ، جدرانها مكسية بمربعات خزفية حديثة بارتفاع 1.40 م ، فرن المخبزة الغربية لمدينة شرشال متصل بالجدار الشمالي للغرفة سابقة الذكر بارز إلى داخلها بحوالي 1.70 م ، كشكل سرداب أسطواني الشكل طول ضلعه 3.50 م ، أرضيته مفروشة بالحجارة ، أما سقفها فشكل بقطع من الآجر.

تطل على داخل الفرن من خلال فتحة يغلق عليها بباب حديدية ، جاءت هذه الفتحة في نفس المستوى مع أرضية الغرفة ، هذا ما أدى إلى خلق خندق

مستطيل الشكل مشكل من الآجر ينخفض عن مستوى فتحة الفرن وأرضية الغرفة ب 0.80 م ، وذلك لتسهيل عملية إشعال وتنظيف الفرن إضافة إلى إدخال وإخراج المطهيات وتسهل مراقبتها ، هذا ما يضمن جودها ، وتعلو هذا الفرن مدخنة وهي بارزة في أعلى السقف ، وقد بنيت الواجهة الرئيسية للفرن كلها بالآجر ، وزين أعلاها بأفاريز مسننة من القرميد (أنظر الشكل رقم 04) .

بالجدار الشرقي للغرفة الأولى فتح مدخل عرضه 0.80 م وارتفاعه 2.20 م ، يرتفع عن أرضيتها بمقدار درج واحد ، نلج من خلاله إلى غرفة مستطيلة طولها 7.50 م ، عرضها 3.10 م (أنظر المخطط رقم 10) وتسمى هاته الغرفة بقاعة التسخين ، لتخزين بها مادة الخشب والفحم ، والمستعملة لغرض اشعال نار الفرن ، ومصدرها كان من قبائل بني مناصر ،وتلك المخازن بأفران مدينة شرشال عموما سخرت لتوفير كمية كافية من الحطب ما يكف العاملين بها للبحث عنه كل يوم ، وكذلك بطريقة تخزين الحطب تلك ، والمتمثلة بطول المدة وتوفير له الحرارة الدائمة ، كون قاعة التخزين قريبة من الفرن الذي يمدها بالحرارة المستمرة [61]، ليتم تجفيفه ليصبح جاهز للاستعمال ، و اختصارا للوقت إذ يتمكن العامل من استعماله دون التمييز بينه عن أخضره و يابسه .

. **<u>طريقة تشغيل الفرن وكيفية استعماله</u>** :

تحضر العجينة ثم يتم تحضير الفرن ، حيث يتم ملؤه بالأغصان الرفيعة والتي تسهل اشعال النار فيه ، مع مراعاة عدم غلق باب القاعة قصد توفير الأكسجين اللازم والمساعد على احتراق الحطب ، وبعد احتراقها يتم إدخال عصى تربط في

61- بن نعمان (اسماعيل) :
مدينة تنس، دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية، جامعة الجزائر 1995 - 1996 م، ص 78 .

نهايتها قطعة من القماش تبلل بالماء لكي لا تحترق بداخل الفرن ، وظيفتها جمع بقايا الحطب إلى داخل الحفرة الموجودة في أحد أركان الفرن ، وهو ما يساعده على الاحتفاظ بدرجة حرارته التي وصل إليها ، وهذه الظاهرة لا تختلف عن طريق تحضير فرن المخبزة التقليدية لدى سكان البربر في أي قطر من أقطار المدينة ، و الجزائر بصفة عامة .

واستعملت حرارة الفرن في تسخين مياه الفرناق الذي يغذي القاعة الساخنة لحمام " سويلاماس " ، والواقعة مباشرة خلف الفرن من جهته الشمالية ، ولهذه الظاهرة فائدة مادية تتمثل في التقليل من تكاليف مادية وجهد بدني ، من خلال الاستفادة المشتركة من مصدر حراري واحد بدل من مصدرين حراريين ، فبعد تسخين الفرن وتنظيفه توضع المطهيات من عجين أو أشياء أخرى بداخله ثم تغلق بعدها فتحة الفرن إلى أن تنضج ، كما لحقت بعمارة المخبزة الغربية لحي عين قصيبة مدينة شرشال كتجهيزها بآلة تأريخ بداية القرن 20 ميلادي ، والمجهزة لغرض تسخينه آليا ، لكن ذلك لا يمنع من تشغيله تقليديا ، فتستعمل بذلك تقليديا لطهي بعض المطهيات المتطلبة لذلك ، كما وتستعمل أيضا بالطريقة الآلية الحديثة ، هذا ما جعل سكان وزوار مدينة شرشال على مدار السنة يتمسكون بها ولم يستغنوا عن مطهيتها خاصة منها التقليدية .

. الخاتمة :

والجدير بالذكر هو كاستخلاص لما رأيناه هو استعملت الحجارة في عمارة المرافق العامة لمدينة شرشال الاسلامية ، فنجدها بكل من أسس الجدران وأعلاه ما وجدناه بالمخبزة ، إضافة إلى الأركان وباقي العناصر المعمارية من أعمدة و تيجان ، و حمام سيدي " يونس " مثال لذلك .

كما استعمل الآجر في تشكيل فرن المخبزة وذلك لخفة وزنه وسهولة ترصيفه وشدة مقاومته وحفظه للحرارة ، كما استخدم في بناء العقود وأطر المداخل والنوافذ وفي تشكيل بعض العناصر الزخرفية مثل : الأفاريز المسننة التي تتوج واجهة الفرن وواجهتي المخبزة .

ورغم الاقبال على استعمال المربعات الخزفية بالعمارة العثمانية في الجزائر إلا أن استعمالها بالمرافق العامة كانت محدودة ، استعملت بشكل واسع بجدران حمام " سيدي يونس " لحمايتها من الرطوبة المرتفعة الناتجة عن بخار الماء الساخن ، أما بالمخبزة فقد وجدناها في تكسيت جدران القاعة الأولى لها.

المجال الشلفي في الأسطوغرافيةالموحدية.

الطالبة الباحثة: غنية عباسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة -

ينطلق موضوع المجال الشلفي في الأسطوغرافيةالموحدية من إشكالية التداول النصي لمجالات جغرافية مهمّشة في الدراسات التاريخية، والتي ترد بشكل مقتضب لا يسمح للدارس بتتبّع جميع حيثيات الظاهرة المراد البحث فيها.

إنّ مراجعة دور المنطقة التي تنتمي إلى ما اصطلح عليهبالبلاد الزناتية بحسب النصوص الأدبية الموحدية في تاريخ المغرب الأوسط يسمح بفهم أكبر لمجريات الأحداث الوسيطة في تمفصلاتها، وهو ما سنحاول الإجابة عليه ضمن الإشكاليتين التاليتين:

1- **أهمية المجال الشلفي في التاريخ الموحدي.**
2- **القبيلة (المحلية والوافدة)والسلطة الموحدية في الجهة الشلفية.**

إنّ فرض المجال الشلفي نفسه على الاسطوغرافيةالموحدية وإن كان ليس بالصورة التي تسمح لنا بتغطية جميع حيثياته، يجعلنا نتساءل عن مكانة هذه المنطقة التي وفد عليها زعيم الحركة الموحدية المهدي بن تومرت ومرافقيه في طريق عودتهم نحو بلاد السوس[1]، يقول البيدق: «**ثم قمنا منها وبتنا بشلف عند**

[1]- يشير السعيدي إلى أهمية وضع خريطة لمسار ابن تومرت من وجوه عديدة، وخاصة إذا نحن قارناها بمسيرة الفتح التي قادها عبد المؤمن بن علي نحو الشرق، ينظر ع.السعيدي: المغرب: **توحيد المغرب في عهد الموحدين، تاريخ إفريقيا العام، إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)**، مج.4، إشراف: ج.ت.نياني، باريس-بيروت: اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة)- المطبعة الكاثوليكية، 1988، ص.40؛ وللتفصيل في النصوص الوسيطة يراجع البيدق: **أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،

الفقيه أبي الربيع، وكتب له الإمام خط يده، وأكرمونا غاية الإكرام ثم منها نحو البطحاء، ولما أشرفنا على البطحاء قطع بنا إنسان يقال له يوسف بن عبد العزيز، وقال: سلام عليكم ورحمه الله وبركاته سألتكم بالله العظيم إلاّ ما سرتم معي، فإن قلبي طاب عليكم، فقال المعصوم: "سيروا معه لا تفسدوا عليه خاطره"، فلما نزلنا عنده قال: "سألتكم بالله العظيم لا تفسدوا علينا سيرتنا، ادفعوا لنا من يختار ضيافتكم من الغنم"، فقال المعصوم لعبد المؤمن: "سر معه"، وقال لي: "مر أنت معه"، فسرت معه حتى وصلنا الغنم فاختار كبشا عسليا أقرن، فلما كان من الغد قال: "بسم الله العظيم اختاروا كبشكم" فقال الإمام المعصوم: "سيروا معه"، فأتينا نحو الغنم، فأخذنا كبشا أكحل العينين والرجلين فأتيته به فذبح، فلما كان اليوم الثالث، سرت معه واخترت كبشا عسليا مثل الأول، وقال الإمام المعصوم في اليوم الثالث: "هل رأيتم أكرم من هذا الرجل، يا شيخ ما اسمك؟ وما اسم أبيك؟ "، فأعلمه فكتب له المعصوم خط يده وقال: "أعطني جلدا" فدفع له جلدا من مزود، فأخذه المعصوم وجعل له منه حرزا، وقال له: "يا شيخ أمسك هذا عندك، فإن مت يكن عند بنيك، فإنّه خير لك ولعقبك، حتى يصل إلى هذا الموضع ملك وعسكر، فادفع البراءة من يديك ليد الملك، ولا تعطها أحدا غيره، فقال له: "نعم"."»[2]، وإن كنا نرى في هذه الرواية تلميحات هامة عن السلوك المعيشي الذي كانت تعرفه الساكنة الشلفية في هذه المرحلة الغامضة نصّيا !!!

1395 هـ/1975م، ص.43 وما يليها؛ عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994، ص-ص.156-158؛ مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، ص-ص.106-107؛ الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية**، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، ط.2، تونس: المكتبة العتيقة، 1966، ص.5.

[2]- وهي الرواية التي انفرد بها البيدق، ينظر البيدق: **المصدر السابق**، ص-ص.44-45.

يأتي الحديث عن البلاد الزناتية المصطلح السائد في النصوص الموحدية[3]، بعد قرار عبد المؤمن بن علي بتوجيه حملاته نحو هذه الجهات[4]، **«لما كان الأمير أبو محمد عبد المؤمن نازلا على تلمسان بالجبل المعروف بالصخرتين في شهر المحرم مفتتح عام تسع وثلاثين كان أول افتتاحه على أيدي الموحدين فتحا عظيما بشرقي تلمسان هزم فيه الموحدون عساكر من عساكر تاشفين كانت خرجت لبلاد زناتة، فكانت الوقيعة فيهم من أكبر الوقائع.»**[5].

- **القبيلة والسلطة في المجال الشلفي ولاء أم اصطناع جديد:**

إنّ قراءتنا لنصّية الأحداث التي زامنت الحركة الموحدية في توسعاتها بالجهة الشلفية، تجعلنا أكثر يقينا بأنّ الفعل السياسي للمجموعة القبلية الزناتية أصبح أكثر استقلالية، وأنّ حدود العلاقة لا تتعدى تزويد السلطة المرابطية عند الحاجة بالرجال المقاتلين أو مقابل مجرد مسالمتها وعدم الاعتداء على مناطق نفوذها[6]،

---

[3]- مؤلف أندلسي مجهول: **الحلل الموشية**، ص،ص.184،132،130؛ ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)**، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، بيروت-الدار البيضاء: دار الغرب الإسلامي-دار الثقافة (الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر)، 1406هـ/1985م، ص.17؛ ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تونس: مطبعة النهضة، 1350هـ/1931م، ص.72؛ ونجد عند الزهري أيضا استعماله لهذا المصطلح، حيث: «ومن البحر الأعظم من أقصى بلاد السوس وبلاد المغرب ويتصل ببلاد الزناتة في الشمال، فيستمر في المشرق بين ورقلان وإفريقية حتى ينتهي بالقرب من القيروان.»، ينظر الزهري: **المصدر السابق**، ص-ص.116-117.

[4]- ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق ومراجعة عبد الوهاب بنمنصور، ط.2، الرباط: المطبعة الملكية،1999، ص.260؛ ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص-ص.16-45،23-47؛ مؤلف أندلسي مجهول: **الحلل الموشية**، ص.130؛ البيدق: **المصدر السابق**، ص.100 وما يليها؛ روجي لي تورنو: **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، ترجمة: أمين الطيبي، طرابلس- تونس: الدار العربية للكتاب، 1982، ص-ص.62-63.

[5]- ابن عذاري المركشي: **البيان المغرب (قسم الموحدين)**، ص.17.

[6]- محمد عابد الجابري: **فكر ابن خلدون – العصبية والدولة- معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، ط.5، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص.25؛ عز الدين عمر موسى: **الموحدون في**

بحكم أنّ البلاد الزناتية كانت أكثر عرضة للاضطراب الاجتماعي والتوتر السياسي، كما أنّ هذا الوضع غير القار جعل القبيلة في البلاد الزناتية تعيش وضعا هامشيا عن سلطة مراكش المرابطية ومن بعدها الموحدية، والتي تكتفي منهم في حال قوتها بالولاء والتبعية الاسمية فقط.

لا نريد الدخول في دراسة الرؤية الاستشراقية حول التناقض بين النمطين السهلي والجبلي ودوره في تأزيم الوضع القبلي بالمغرب الوسيط[7]، إلاّ أنّ النزعة الاستقراريةلمصامدة الجبال والتي دفعت بهم إلى توطن المدن[8]، على الرغم من سيطرتهم على ما في قبضة المرابطين من سهول[9]، تجعلنا نتساءل على استمرارية هذه الممارسة في المجال السهلي الشلفي، وما مدى تفاعل القبائل الزناتية في مجالاتها البدوية مع هذا الواقع؟[10]

لم يتغير وضع القبيلة الزناتية "كوحدة محاربة" في الجيش المرابطي مع بداية هذه الحملة[11]، وهو ما لمحّت إليه الاسطوغرافيةالموحدية: «**...فخرج إليه الوالي على تلمسان حينئذ محمد بن يحي بن فانو بعسكر من زناتة وغيرهم، فالتقى معهم وقتل محمد بن يحي المذكور في [وادكان] هنالك وانهزم عسكره وافترقت زناتة إلى بلادها وولى تاشفين أبا بكر بن مزدلي...**»[12].

الغرب الإسلامي– تنظيماتهم ونظمهم–، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1411ه/1991م، ص.50.

[7]- روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص.21.

[8]- عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، بيروت- القاهرة: دار الشروق، 1983، ص.79.

[9]- **نفسه**.

[10]- يمكن ملاحظة المزيد من المعلومات حول علاقة السلطة الموحدية بالأراضي في البلاد المغربية عند عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص-ص.134-141.

[11]- إنّ الصراع بالبلاد الزناتية مع نهاية الفترة المرابطية وبداية العهد الموحدي ومشاركة قبيلة زناتة فيه، بحكم الوضع الديموغرافي المميّز الذي تحتله. ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص.18.

[12]-**نفسه**.

إلاّ أنّ الوضع القبلي المتأزم في المنطقة أدى إلى خروج قبيلة مثل بني وامانو المنتشرة بالمنطقة الشلفية بعد تقوّض نفوذها لصالح قبائل زناتية أخرى ومنح ولائها للسلطة الجديدة قد يساهم في امتلاكها لمجالات بدوية أوسع، أو المحافظة على ما لديها[13]، «...**وطاع بنو ومانو من زناتة لعبد المؤمن ووصلوا إليه بالريف منهم بنو ماخوخ ويوسف بن يدر وغيرهم فأرسلهم مع بعض الموحدين إلى ابن يومور وابن زجو فتوجهوا بعسكر إلى بلادهم فطاع جميع إخوانهم...**»[14].

ساهم هذا الوضع في توتر المنطقة الزناتية خاصة وأنّ انحياز قبائلها أصبح منقسما[15]، وأمام التفوق الموحدي بداية من 539هـ/1144م[16]، ورغبة القبائل في الحفاظ على المكاسب المجالية، جاء الاعتراف بالسلطة الموحدية كقوة بديلة وجب التعامل معها وفق المصالح القبلية، وهو ما يطرح إشكالية التقبل عند

---

[13]- مصطفى الطالبي: **قيام إمارة بني عبد الواد بتلمسان**، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، فاس: جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، إشراف: عادل نجم عبو، 1986-1987،ص.50.

[14]- ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص.18؛ مؤلف أندلسي مجهول: **الحلل الموشية**، ص.136؛ وعن مثل هذه الفكرة ينظر أيضا ابن القطان: **نظم الجمان بترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، درسه وقدّم له وحققه: محمود علي مكي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990، ص-ص.254-255؛ البيدق: **المصدر السابق**، ص-ص.100-101؛ ونلاحظ في هامش هذا الكتاب أيضا أنّ زيري بن ماخوخ هو غير أبي بكر بن ماخوخ الذي وحد عندما كان عبد المؤمن في بلاد غمارة، وأنه غير تاشفين بن ماخوخ الذي لحق صريخا بعبد المؤمن بن علي وسار معه إلى تلمسان بعد أن أوقع الربرتير وأحلاف المرابطين بقومه، **نفسه:** ص.100.

[15]- ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص-ص.18-20.

[16]- يوضح صاحب الأنيس المطرب المدن التي تبعت عبد المؤمن الموحدي سنة 540هـ/1145م في النص التالي: «وفيها فتح عبد المؤمن مدينة فاس ومدينة تلمسان ووهران وأحواز ذلك كله...»، ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص.345؛ أمّا في سنة 546هـ فتح عبد المؤمن جبال ونشريسومليانة وجزائر بني مزغنة وبجاية، **نفسه:** ص.346، ويحتمل أنّ بداية التبعية المجالية الشلفية للموحدين بدأت سنة 546هـ/1151م.

القبائل الزناتية لمذهب "أهل التوحيد"[17].

وعلى الرغم من الانحياز المبكر لبني ومانو[18]، إلاّ أنها لم تكن تملك من القوة ما يسمح لها بالدفاع عن العقيدة الجديدة، والوقوف في وجه الذين عارضوا وحاربوا الدعوة الموحدية كبني يلومي وبني مرين[19]، وهو الدور الذي تحملته قبيلة بني عبد الواد فيما بعد مقابل امتياز استغلالها للبسائط الداخلية ومد نفوذها تدريجيا نحو التل على حساب مجالات بني يلومي وبني ومانو[20]، «**...ولما ملك الموحدون بلاد المغرب الأوسط وأبلوا من طاعتهم وانحياشهم ما كان سببا لاستخلاصهم فاقطعوهم عامة بلاد بني ومانوا واقاموا بتلك المواطن. ..**»[21].[22]

---

[17]- يرى محمد القبلي أنّ أول ما يلاحظ بالنسبة لهذا التحرك الأول أنّ سيطرته على الساحة السياسية-العسكرية لم تفض دائما إلى ما كان يصبو إليه القادة المؤسسون من سيطرة روحية أو نوفذ معنوي عبر اعتناق العقيدة الموحديةالتومرتية، وتبنيها على مستوى الشعور التلقائي والإحساس، ولربما ازداد انصراف العامة عن نظرية "التوحيد" بسبب ما اتسمت به من "تقنية كلامية" ممتنعة وانتقائية نظرية في غير متناول الجميع، يراجع محمد القبلي: "**حول التحركات البشريةبمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر للميلاد"،جوانب من تاريخ المجال والسكان بالمغرب**، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1998،ص.93؛ وللتفصيل كذلك ينظر عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص-ص.196-198؛ روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص،ص.64، 68؛ وعن المذهب المالكي بالمنطقة ينظر إبراهيم القادري بوتشيش: "صحوة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي خلال القرنالخامس الهجري-محاولة تفسير-"، **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، بيروت: دار الطليعة للطباعةوالنشر، 2006، ص-ص.82-103.

[18]- ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص.18.

[19]- يحيى بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، ج.1، الجزائر: إصدارات المكتبة الوطنية-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1400هـ/1980م، ص-ص.189-190؛ الدراجي بوزياني: **القبائل الأمازيغية (أدوارها، مواطنها، أعيانها)**، ج.1، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007، ص.177.

[20]- يحيى بن خلدون: **المصدر السابق**، ج.1، ص،ص.189،187-190؛ مصطفى الطالبي: **المرجع السابق**، ص-ص.51-54؛ ابن الأعرج السليماني: **زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ**، (مخ.خ.ح.ر.) تحت رقم: 170، و.29-31.

[21]- مصطفى الطالبي: **المرجع السابق**، ص-ص.55-58.

بالإضافة إلى امتداد مجالي تلي لقبائل أخرى حليفة لبني عبد الواد[23]، «**...وكان هؤلاء الأحياء من زناتة بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو راشد غلبوا على ضواحي تلمسان والمغرب الأوسط وملوكها وتقلبوا في بسائطها وامتازوا بإقطاع الدولة الكثير من أرضها، والطيب من بلادها...وكان بنو عبد الواد من ذلك فيها بين البطحاء وملوية ساحله وريغه وصحراؤه...**»[24].

ولعل السياسة الموحدية المتبعة في هذه المنطقة والرامية إلى إرساء قواعد دولة "أهل التوحيد" من خلال منح امتيازات إقطاعية لقبائل دون أخرى، ولبعض الأسر الزناتية العريقة "كبني منديل"[25] تركت وضعا منتفضا بهذه الجهات.

- **بنو غانية والمنطقةالشلفية:**

- **الظهور الأوّل:**

بدأ يعقوب المنصور الموحدي 580هـ/1184م-595هـ/1198م-1199م عهده في ظروف استثنائية عرفت تفاقم الاضطرابات في المغرب الأوسط وإفريقية[26]، وقد تسبب فيها هذه المرة أعوان معارضون عملوا على الإطاحة بالنظام الموحدي هم بنو غانية[27]، والذين قرروا في تلك الفترة نقل نزاعهم مع الموحدين إلى البلاد

---

[22]

[23]- يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ج.1، ص-ص.198-200؛ مصطفى الطالبي: **المرجع السابق**، ص-ص.55-58.

[24]- ابن الأعرج السليماني: **المرجع السابق**، و.30.

[25]- عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص.145.

[26]- ع.السعيدي: **المرجع السابق**، ص.62؛ وللتفصيل ينظر أيضا ابن قنفذ: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968، ص.103.

[27]-ع.السعيدي: **المرجع السابق**، ص.62؛ وللتفصيل حول بني غانية ينظر عبد الواحد المراكشي: **المصدر السابق**، ص.223.

المغربية ومباغتتهم لميناء بجاية سنة 581هـ/1185م[28].

وإن كانت هذه العملية لا تهمنا بشكل خاص، إلاّ أنّها عبّرت عن حقيقة هشاشة السلطة الموحدية التي كانت تواجه عداوات كثيرة[29]، لا شك أنّها تضافرت لتسهيل عمل مرابطي ميورقة التي امتدت تحركاتهم غربا نحو الجزائر ومليانة، وإن لم يتوغلوا كثيرا خشية الاصطدام بأهالي منطقة تلمسان الموالية للموحدين[30]، **«...واقتفى الشقي آثاره فأخذ الجزائر وقدّم عليها يحي بن أخيه طلحة وانتهى إلى مليانة فأخذها وقدم عليها يدر بن عائشة، ووقف بها فنكص على عقبيه، ورأى أنّ الذي حصل له فوق قدره ومطلبه فرجع إلى بجاية...»**[31].

ولعل هذه السرعة في الامتداد المجالي الميروقي تؤكد الهامشية التي كانت تعيشها الجهات الغربية[32]، خاصة وأنّ بني غانية بعد تنصيب العمال والحاميات أخذوا في محاولة الامتداد في المنطقة الشلفية: **«...وخيل يدر بن عائشة صاحب مليانة تضرب إلى مازونة ونواحيها، وقد أضرم نار الفتنة في بطون تلك الجبال**

---

[28]- ابن عذاري المركشي: **المصدر السابق**، ص-ص.175-177؛ الزركشي: **المصدر السابق**، ص.15؛ عبد الواحد المراكشي: **المصدر السابق**، ص.223؛ عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ج.2، الدار البيضاء- بيروت: المركز الثقافي العربي، 2007، ص.330؛ روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص-ص.83-84.

[29]- يطرح عبد الله العروي تساؤلا مهما حول هذه الفكرة بالذات، حيث يقول: كيف نفهم مقاومة يحيى بن غانية الطويلة الشرسة، والموحدون في أوج قوتهم وسلطانهم، إذا لم ندخل في الحساب أنّه كان يمثل معارضة أوسع يقودها فقهاء المالكية ؟ حيث لا شك أنّ هؤلاء كانوا يفضلون حكم بني غانية وجنود البدو على سيطرة الموحدين، عبد الله العروي: **المرجع السابق**، ج.2، ص.331؛ ويراجع أيضا روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص-ص.83-84.

[30]- عن سهولة حملة بني غانية بالمنطقة، يرى روجي لي تورنو أنّه لم يكن في المغرب الأوسط سوى عدد قليل جدا من جنود الموحدين، وهذا دليل على أنّ البلاد كان يسودها الهدوء تماما ! روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص-ص.83-84؛ ويراجع أيضا ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص.177.

[31]-**نفسه**.

[32]- روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص.84.

وأعاليها...فاخذ الناس من تلمسان أهبتهم واستوفوا منها أقواتهم وأزودتهم...وكان يدر بن عائشة صاحب مليانة قد أسرى منها فأقتفى أهلها أثره فلحق بالقرية المعروفة بأم العلو وعرض عليه النزول على وجه التضييق، ثم قبض عليه بأطراف النهر بعد معاركة ومحاربة وسيق جمعهم مصفدين...»[33].

وفي ظل تطورات هذه الأزمة كان لزاما على يعقوب المنصور الذي لم تكن قد مرّت أكثر من خمسة أشهر على اعتلائه العرش، أن يثبت بالدليل المحسوس كفاءته وحزمه، لذلك عمل وبشكل مكثف على توجيه حملة عسكرية ضد بني غانية لاستعادة هذه الجهات[34].

وعلى الرغم من تمكن الخليفة الموحدي من فرض تراجع مؤقت على بني غانية، إلاّ أنّ سياسة "منح الأمان" "التي اعتمدها تجاه المدن التي خرجت عن سلطته[35]، تثبت أنّ سكانها لم يبدوا سلوكا ثوريا للمحافظة على تبعيتهم لسلطة مراكش[36].

وحتى وإن فشلت الحركة الميورقية الأولى[37]، إلاّ أنّها اعتبرت ضربة هامة للسلطة الموحدية كان أثرها لا يزال محسوسا في الوقت الذي كتب فيه مؤلف "المعجب"

---

[33]- ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص.178.

[34]- أمبروسيوهويثي ميراندا: **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية**، تعريب: عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء: منشورات الزمن، 2004، ص.314؛ ويراجع أيضا ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص.178.

[35]-أمبروسيوهويثي ميراندا: **المرجع السابق**، ص.314.

[36]-وفي النص التالي لصاحب الروض القرطاس يمكن ملاحظة مشاركة زناتة ليحيى الميورقي سنة 602هـ/1205م: «وفي سنة اثنتين وستمئة ولّى أمير المؤمنين الناصر، الشيخ عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص جميع بلاد إفريقية وارتحل إلى المغرب، فلما وصل وادي شلف خرج عليه يحي الميورقي في جيش عظيم من العرب وصنهاجة وزناتة، فتقاتلا قتالا شديدا انهزم فيه الميورقي هزيمة عظيمة وذلك يوم الأربعاء عقب ربيع الأول سنة أربع وستمئة.» ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص.307، لقد وجدت هذه القبائل الزناتية الناقمة على الموحدين مبتغاها في بني غانية يراجع مصطفى الطالبي: **المرجع السابق**، ص.61.

[37]- **نفسه:** ص-ص.178-179.

(620هـ-621هـ/1224م-1225م)[38].

- **بنو غانية مجددا:**

وفي الظهور الثاني لبني غانية بعد بناء قواتها، من خلال تدعيمها بتحالفات مع قراقوش الغزي[39]، أصبح المغرب الأوسط حسب أحدهم أكثر ملائمة لتركيز هجماتهم عليه بعد الضعف الذي أصاب العرب البدو فيما بعد عملية الإبعاد الكبرى، أو حركة الهجرة القسرية التي تمت سنة 583هـ-584هـ/1187م-1188م[40].

ولعل وضعية بني غانية في إفريقة جعلت أبو عبد الله محمد الناصر الموحدي (595هـ-610هـ/1199م-1214م)[41] يركز جهوده للحد من توسعاتهم الغربية، إلاّ أنّه لم يوجه قوات كبيرة نظرا للظروف التي عايشها المغرب الأقصى في تلك الفترة، ليعتمد فيما بعد إستراتيجية جديدة بمهاجمتهم من الناحية الشمالية.

وعلى العموم فالصراعات (الموحدية-الغانية) عرفت تداخلات حدثية عديدة لمجالات واسعة من البلاد المغربية في النصوص الوسيطة[42]، لكن هل أثّرت هذه

---

[38]- ع. السعيدي: **المرجع السابق**، ص.64.

[39]- قراقوش الغزي: صاحب طرابلس، عنه ينظر ابن قنفذ: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق:محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968م، ص-ص.103-105؛ ويطلق لفظ الأغزاز في خلافة المنصور الموحدي ومن بعده على ما يسمى في المشرق بالأتراك، فالمصادر المغربية بما فيها الرسائل الموحدية الرسمية قبل خلافة المنصور لا تورد لفظ الأغزاز أو الغزّ بل تسميهم "الأتراك" أو "الأكراد"، بينما تطلق المصادر بعد ذلك على المجموعة نفسها لفظ الأغزاز أو الغزّ، يراجع عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص-ص.122-123؛ وقد دخل الأغزاز منطقة طرابلس سنة 569هـ/1173م مع قراقوش مملوك تقي الدين أخ صلاح الدين الأيوبي، يراجع عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص-ص.224-226.

[40]- **نفسه:** ص.225.

[41]- هو أبو عبد الله محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي.

[42]- في مقال للباحث علاوة عمارة في معرض حديثه عن المؤرخ البلجيكي جاك تيري *"Jacques Thiry"* الذي تخصص في دراسة الصحراء الليبية في تاريخ بلاد المغرب الوسيط، رفض ربط الوجود الهلالي

الحملة على وضعية المجال الشلفي؟

يعتبر النص الخلدوني الوحيد الذي يثير حركية المنطقة في هذا الصراع الذي أصبح قريبا جدا من تلمسان القاعدة التي تمثل السلطة الموحدية بالمغرب الأوسط: «**...فطمع يحي ابن غانية في استرجاع أمره وسبق إلى الثغور والأمصار يعيث فيها ويخربها، ثم تجاوز إفريقية إلى بلاد زناتة وشن عليها الغارات واكتسح البسائط وتكررت الوقائع بينه وبينهم...**»[43].

وهي الحملة التي هلك فيها الزعيم المغراوي منديل بني عبد الرحمان سنة 622 هـ أو 623هـ/1226م أو 1227م[44]، «**...فجمع له منديل بن عبد الرحمان ولقيه بمتيجة وكانت الدبرة عليه، وانفضت عنه مغراوة فقتله ابن غانية صبرا سنة ثنتين أو ثلاث وعشرين وتغلب على الجزائر اثر نكتبه فصلب[...]وصيره مثلا**

بانحطاط حضارة المغرب الإسلامي، مرجعا ذلك بالأساس للصراع المدّمر بين حركة بني غانية الميورقيين والموحدين في نهاية القرن السادس الهجري-الثاني عشر الميلادي، ومقاله هو:

Jacques Thiory: ***« L'Egypte et le déclin de l'Afrique du Nord XI-XIIe siècle, Egypt and syria in the fatimid, Ayyubid and MamlouknEaras »,*** Leuven, VitgeverijPeetens, 1998, p-p.237-248.

يراجع علاوة عمارة: **"الهجرة الهلالية و أثرهافي تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب"**،مجلة الآداب والعلوم الانسانية، قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع.10، ص-ص.10-11؛ ويمكن مراجعة ابن الشمّاع: **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق وتقديم: الطاهر بن محمد المعموري، تونس: الدار العربية للكتاب، 1984، ص.49؛ ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص.252؛ عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص.226

[43]- ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، مج.7، ص.64.

[44]- يقول ابن خلدون (بتصرف) أنّ عبد الرحمان كان له من الولد منديل وتميم، وكان أكبرهما منديل، فقام بأمر قومه إلى حين عصفت رياح الفتنة وسما لمنديل أمل في التغلب على ما يليه...ثم فسح خطوة إلى ما جاوره من البلاد فملك جبل وانشريس والمدية وما إلى ذلك واختط قصبة مرات ينظر ابن خلدون: **العبر**، مج.7، ص.64.

للآخرين، وقام بأمره في قومه بنوه وكان منجبا، فكان لهم العدد والشرف...»[45].

وحتى وإن ظهر أنّ هناك معارضة مغراوية لوجود بني غانية، إلاّ أنّ ابن خلدون يشير إلى ولاء مصطنع للشيخ المغراوي تجاه السلطة الموحدية في عهد خليفة الناصر يوسف المنتصر "أو المستنصر، بعد محاولاته لمد المجال المغراوي الشلفي لنواحي متيجة[46].

«...وكان بسيط متيجة لهذا العهد في العمران آهلا بالقرى والأمصار...فجاس خلالها وأوطأ الغارات ساحتها وخرّب عمرانها حتى تركها خاوية على عروشها وهو في ذلك يوهم التمسك بطاعة الموحدين وأنّه سلم لمن سالمهم حرب لمن عاداهم...»[47].

وإن برّر روجي لي تورنو سهولة الحراك الميروقي المرابطي الجديد في "البلاد الزناتية" بقلة الجنود الموحدين في مغرب أوسط يسوده هدوء قبائل سهلية وجدت في بني غانية ذريعة للثورة ضد السلطة الموحدية الجبلية[48]، ولعلّ هذا ما يعبر عنه النص التالي:**«...فرحل لتلمسان [ذكر ولاية السيد أبي عمران مدينة تلمسان وحركته منها لحرب ابن غانية...]، بمن معه من عسكره وخدمته وشهوده وقاضيه وأبر ثقاته ومشوا عن رحله آمنين غير محترسين، والمتجسسون من زناتة المستوطنين**

---

[45]- **نفسه**.

[46]- فحص متيجة المتصل بجزائر بني مزغناي، وهو عبارة عن فحص كبير كثير الخصب والقرى والعمائر، تشقه الأنهار وهو مرحلتين في مثلها قد أحدقت به جبال مثل الإكليل، وفي آخر هذا الفحص جبل عليه الطريق وهذا الوصف يرجع للقرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، يراجع مؤلف مجهول (ينسب لابن عبد ربه الحفيد): **الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر آفاق عربية، ص.132.

[47]- ابن خلدون: **العبر**، مج.7، ص.64.

[48]- روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص-ص.83-85؛ ويراجع أيضا ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص.307.

بتلك الجهات لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة ولا يرعون شريعة ولا ذمة، فتسللوا إلى ابن غانية وقومه وأطلعوهم على عورات العسكر، وما هو فيه من إضاعة الحزم وقلة الحذر، وتسابقوا إلى السيد من جهة أخرى...ويبعدون له نواحي العدو، ويهونون عليه أمره ويحذرونه إلى جهته وتارة يحرضونه على لقائه والزحف له، فتحير السيد برهة، ثم تأهب بعض تأهب ولم يكن إلا قبل أن يلتئم جمعه، وتكمل تعبئته ويأخذ أهبته...إذ غشيته أسراب العدو...، وطلعت عليه ساقات ابن غانية، وكان له كالمنتظر، فثبت السيد مع من كان في موكبه واصطلمتهم العرب قتلا وأسرا، وفرض أفلتته الرماح خيلا وذعرا، واستشهد السيد أبو عمران مع من صبر معه...، واستولى العدو على المحلة وأثقالها...وتبسطت جموعه على تلك الجهات...وأرسلت العرب في تلك النواحي جموعها، أخذوا ينتهكون عمرانها ودامت على قطر تلمسان مدرتهم...»[49].

فالتغيّرات المجالية التي عرفتها هذه الجهات بعد التفوق العبد الوادي وحلفائهم، يعبّر عن واقع قبلي متأزم أثار القبائل التي لجأت إلى المشارف الصحراوية كمغراوة وبني وامانو وبني يلومي ضد السلطة المانحة[50]، والتي وجدت في تسهيل عمل الميورقيين فرصة لضمان العودة إلى مراكزها التلية، حتى أنّها انضمت إليهم وأخذت في تهديد السلطة بتلمسان بعد اغاراتها على الجهات الغربية القريبة، كما حدث مع مقتل الوالي الموحدي أبي عمران موسى سنة 605هـ/1208م، وتقدم ابن غانية وحلفاءه شمالا[51]، حيث أرهق بنو غانية المنطقة بعملياتهم التخريبية

---

[49]- يظهر هذا النّص المشاركة الزناتية والعرب الهلالية لبني غانية في عملياتهم بالمنطقة التي مسّت الجهة الشلفية أيضا، حيث كانت تعيش وضعا متوترا، ينظر ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص.252.

[50]- روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص.85.

[51]- ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص.252؛ مصطفى الطالبي: **المرجع السابق**، ص-ص.61-62.

الرهيبة وباقتحامهم لعدة مدن وبوادي خاصة في المنطقةالشلفية[52].

وبغض النظر عن هالة هذا الوصف، إلاّ أنّه قد يعبر عن وضع متوتر بالجهات الشلفية التي تواصلت بها أزمة المجالية القبلية الزناتية بعد السلطة الواسعة التي منحت لبني عبد الواد من قبل الوالي الموحدي ابن يوجان 605هـ/1208م-617هـ/1221م[53]، وأدّت بالشيوخ الزناتيين في خلافة العادل الموحدي للتحرك واقتطاع أراضي المناطق التلية، كما حدث مع حملة الزعيم المغراوي منديل بن عبد الرحمان على متيجة[54].

وعلى العموم لا يمكن إغفال أنّ هناك تداخلا لأسباب عديدة عايشت الفترة الغانية بالمنطقة حدّدت وضعيتها لفترة زمنية لاحقة[55].

- **حراك أعرابي متواصل (التغريبة الأخرى):**
- **الوجود الهلالي بين العفوية والإرادة السياسية:**

قد تكون رؤيتنا السابقة للخارطة القبلية البربرية في المنطقة وتعقيداتها المجالية، لا تعبّر عن شمولية التطورات الجغرافية والسياسية التي ميّزت المرحلتين المرابطيةوالموحدية، بحكم أنّ التحركات البدوية العربية عرفت استقداما "مقننا"

---

[52]- جورج مارسي: **تلمسان**، ترجمة: سعيد دحماني، البليدة (الجزائر): دار النشر التل، 2004، ص.34.

[53]- يبدو أنّ سياسة ابن يوجان اتخذت مسارا مغايرا للأول (أي أبو عمران موسى) بعد وفاة الناصر الموحدي، فحاول أن يجعل لنفسه قاعدة متينة بالمغرب الأوسط، بالاعتماد على قبائل بني يادين، وخاصة بني عبد الواد، كما أنّ هذا الوالي سعى إلى إحكام القبضة على القبائل الزناتية، وتصفية الشيوخ المشكوك في ولائهم، فعندما نزل سير ابن غانية تلمسان وهو قاصد مراكش سنة 607هـ/1210م، دبر ابن يوجان مؤامرة لاغتيال ابن عطية التوجيني الثائر بالشلف (ومن المحتمل أنّ هذا الأخير كان متواطئا مع ابن غانية)، وعن هذه الولاية لأبي زيد ابن يوجان، ينظر ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص-ص.253-254؛ مصطفى الطالبي: **المرجع السابق**، ص-ص.62-63.

[54]- ابن خلدون: **العبر**، مج.7، ص.64.

[55]- علاوة عمارة: **"الهجرة الهلالية"**، ص-ص.10-11.

مع حاجة السلطة الجديدة لهم في عملياتها الحربية، فهل كانت التغريبة الثانية للعرب"البدو" نقطة تحول في تاريخ المنطقة[56]؟

يبدو أنّ فكرة الاستفادة من الطاقة القتالية لدى العرب، واستقدامهم إلى البلاد الغربية قد جالت بفكر بعض ملوك الطوائف ثم المرابطين[57]، وإن كان الأندلسيون قد عدلوا عن الفكرة خشية أن يخرب العرب الأندلس كما خرّبوا القيروان، فالمرابطون نفوذها بدليل الروايات التاريخية عن اشتراك العرب مع الجيش المرابطي في حملاته العسكرية[58].

وإن كان عز الدين أحمد موسى يعتقد بعدم وجود سياسة مرابطية منظمة للاستفادة من طاقة هؤلاء "البدو"، حيث لم يقوموا بدور عسكري كبير لقلة عددهم[59]، فبوتشيش يرى أنّه لا يمكن تجاهل وجودهم كشرائح اجتماعية ضمن سكان المغرب والأندلس، خاصة وأنّ الدولة المرابطية دولة حرب تشجع على قدوم مثل هذه العناصر لاستعمالها في مشروعاتها الحربية، منتقدا الذين أبدوا شكوكهم حول هويتها، والذين اعتمدوا حسبه على ما ورد في النصوص التاريخية التي اقتصرت على ذكر مصطلح "عرب" "وليس عرب بني هلال"[60].

ومن المعلوم أنّ الوجود العربي البدوي في المغرب الأوسط قد فرض نفسه بعد

---

[56]- من بين الدراسات التي اهتمت بالدور العربي بالمنطقة المغربية، علي أومليل: **الخطاب التاريخي – دراسة لمنهجية ابن خلدون** -، ط.4، بيروت- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005،ص-ص.115-123.

[57]- عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص.96.

[58]- عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص.221؛ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص.96.

[59]- **نفسه**.

[60]- إبراهيم القادري بوتشيش: **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، بيروت: دار الطليعة،1998، ص-ص.39-40.

"موقعة سبيبة"، وباعتراف السلطة الحمادية نفسها، لتبدأ مرحلة أخرى من التغريبة الهلالية، تمكّنت فيها من الانتشار والانتفاع من نصف غلة البلاد الحمادية حتى الفترة الموحدية: «...**ودوخوا مملكة بني زيري بن مناد، وهذا بعد موت المعز بن باديس...، وسار هؤلاء العرب حتى نزلوا على المنصور بن المنتصر، صالحهم على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من ثمرها وبرّها وغير ذلك، فأقاموا في ذلك باقي أيامه وأيام ابنه الملقب بالعزيز، وأيام يحيى، إلى أن ملك البلاد أبو محمد عبد المؤمن، فأزال ذلك من أيديهم، وصيرهم جندا له، وأقطع رؤساءهم بعض تلك البلاد...**»[61].

ويبدو أنّ مجال المنطقة الغربية من المغرب الأوسط بقي زناتيا خالصا، فنحن لا نملك إشارات عن تماس مجالي بدوي زناتي-أعرابي بالمنطقة في الفترة الحمادية، وهو ما يمكن أن نستنتجه من خلال النص الخلدوني التالي: «...**وغلب الهلاليون قبائل زناتة على جميع الضواحي وأزاحوهم من الزاب وما إليه من بلاد إفريقية، وانشمر بنو واسين هؤلاء من بني مرين وعبد الواد وتوجين عن الزاب إلى مواطنهم بصحراء المغرب الأوسط من مصاب وجبل راشد إلى ملوية وفيكك ثم إلى سجلماسة ولاذوا ببني ومانو وبني يلومي ملوك الضواحي بالمغرب الأوسط وتفيئوا ظلهم واقتسموا ذلك القفر بالمواطن فكان لبني مرين الناحية الغربية...وكان لبني بادين منها الناحية الشرقية...إلى أن ظهر أمر الموحدين...**»[62].

---

[61]- وتأتي موقعة سبيبة أو سهل سبيبة سنة 457هـ/1064م-1065م، الواقع بين القيروان وتبسة لتفرض الوجود البدوي العربي في المغرب الأوسط، حيث أصبح بنو رياح يسيطرون على إفريقية والأثبج يسيطرون على المغرب الأوسط باعتراف الحماديين أنفسهم، والتي فتحت الباب واسعا لمرحلة ثانية من التغريبة الهلالية، ينظر مثلا عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص.163؛ عبد الواحد المراكشي: **المصدر السابق**، ص.189.

[62]- ابن خلدون: **العبر**، مج.7، ص-ص.61-62.

وهو ما يجعلنا ننتقد موقف إبراهيم القادري بوتشيش، والذي اعتبر فيه أنّ العرب "البدو" في هذه الفترة قد أنهوا حروبهم في افريقية والمغرب الأوسط، لذلك بدأوا يتطلعون نحو مناطق المغرب الأقصى والأندلس لافراغ طاقاتهم القتالية والبحث عن الغنائم[63]، وبما أنّ مجالهم الرعوي لم يمتد بعد إلى الجهة الغربية من المغرب الأوسط، فهل يمكن الحديث عن بداية العلاقة المجالية الأعرابية-الزناتية في الفترة المرابطية؟

للأسف لا يمكننا أن نتبين حقيقة ذلك، فنحن لا نملك إشارات نصّية وسيطة عن امتداد إقطاعي للعرب "البدو" مسّ المنطقة الغربية على الرغم من العبور الأعرابي المحالف للسلطتين الحمادية والمرابطية بها[64]، ولعل اعتماد السلطة الحمادية لنظام "الإقطاع" تجاههم والذي ظلّوا منتفعين به إلى غاية قدوم عبد المؤمن بن علي الموحدي بقي نفسه، فبدخول القبائل العربية إلى إفريقية فقدت القبائل الواسينية معظم مجالاتها الرعوية بالشرق، فتوجهت مرة أخرى نحو الغرب، حيث كانت المنطقة التلية الغربية من المغرب الأوسط حكرا على قبائل زناتية أخرى هي مغراوة وبني يلومي وبني وامانوا[65].

فهل شيوع "بلاد زناتة" المصطلح الوسيط على هذه الجهة من المغرب الأوسط ينفي الارتباط الأعرابي بها على الأقل إلى غاية توسع الدولة الثيوقراطية الموحدية؟

حيث يبدو -حسب أحد الباحثين- أنّ الخريطة القبلية في المغرب الأوسط ظلّت

---

[63]-إبراهيم القادري بوتشيش: **المرجع السابق**، ص.41.

[64]- مثلا في مؤلف الاستبصار لا نجده يتحدث عن هذا التواجد بالمنطقة الشلفية، ينظر مؤلف مجهول (ينسب لابن عبد ربه)**: المصدر السابق**، ص.171؛ وحسب الحميري: « يسكن فحص سيرات قبائل كثيرة من البربر ومطغرة وغيرهم من قبائل زناتة، وزناتة تتشعب على قبائل كثيرة، وبلادهم واسعة ويخالطهم من جهة إفريقية بنو زغبة من العرب من بني هلال ابن عامر.»، الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط.2، بيروت: مكتبة لبنان، 1984، ص.470.

[65]- مصطفى الطالبي: **المرجع السابق**، ص-ص.41-42.

شبه قائمة في عهد المرابطين، خاصة وأنّ الضغوط العربية والزيرية خفّت نسبيا، فابن خلدون برأيه أيضا لا يشير إلى تحركات جديدة للقبائل الزناتية نحو التل، وهذا يعني حصول نوع من الانسجام والوئام بين مختلف العناصر المركبة لديموغرافية المغرب الأوسط الزناتية والصنهاجية، والذي ترتب عنه -حسبه أيضا- استقرار سياسي وانتعاش للحياة الاقتصادية، سواء الفلاحية أو التجارية[66].

- **الموحدون والحركية القسرية للهلاليين:**

لماذا ارتبطت الحركية القسرية للعرب "البدو" بالسلطة الموحدية[67]؟

لم يكن قرار عبد المؤمن بن علي في عمليته التهجيرية هذه التي جاءت بعد أن دانت له البلاد التليّة وسواحل افريقية إلى حد طرابلس على إثر موقعة سطيف (547هـ/1153م)[68]، ووسط إفريقية بعد معركة القرن (556هـ/1160م) خاصة عفويا[69]، حتى وإن كان لا يدرك تأثيراتها اللاحقة[70].

---

[66]- **نفسه:** ص-ص.48-49؛ وعن الظهور الأول لتحركات القبائل العربية الهلالية بمجال المغرب الأقصى في هذه الفترة بالذات يراجع محمد القبلي: **المرجع السابق**، ص.77.

[67]-يرى عز الدين أحمد موسى أنه مع الفتح الموحدي بدأت مرحلة توسع هؤلاء العرب سلميا في هضبة الشطوط والبلاد الغربية والأندلسية، عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص.95.

[68]-روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص.67؛ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص.95؛ البيدق: **المصدر السابق**، ص-ص.135-138؛ التيجاني: **رحلة التجاني (قام بها في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي (من سنة 706هـ إلى سنة 708هـ)**، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، تونس: المطبعة الرسمية (نشريات كتابة الدولة للتربية القومية والشباب والرياضة) 1377هـ-1378هـ/1958م، ص-ص.344-347.

[69]- روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص.67؛ محمد القبلي: **المرجع السابق**، ص.80.

[70]-أمبروسيوهويثي ميراندا: **المرجع السابق**، ص،ص.156،153-157؛ وعن تأثيراتها اللاحقة، ينظر محمد زنيبر: **"أزمة الحكم الموحدي في النصف الأول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر للميلاد)"، الاسطوغرافية والأزمة (دراسات في الكتابة التاريخية والثقافية)**، تنسيق: عبد الأحمد السبتي، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس (المملكة المغربية)، 1994، ص-ص.9-23؛ روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص،ص.69-77،72.

فالعرب بالنسبة له دعامة لمكانته في البنية السياسية للحكم الموحدي، من خلال توازن العصبيات التي سيفرضها تواجدهم، خاصة بالنسبة للعصبية المصمودية التي كان عليه أن يصانعها منذ البداية لتمرير مشروع نقل الخلافة من الشورى إلى الوراثة، كما أنّه تفطن أيضا لقدرة الأعراب المتفلتين على خلق مشاكل وصعوبات عويصة في أطرف الدولة التي كانت تراهن كثيرا على مناطق الشرق في امتداد تحقق مشروعها الموحدي والسياسي، فكان عليه أن يشغلهم ويشغل قوتهم في عملياته الحربية بالأندلس[71].

وهي الدوافع ذاتها التي حركت يوسف[72] والمنصور والناصر[73] الموحدين، إلاّ أنّها مع هذين الأخيرين تظهر أسباب الأمن واضحة أكثر، إذ حرّكا العرب إلى البلاد الغربية تأديبا وعقابا لهم جزاء تعاونهم مع بني غانية والأغزاز في فتنتهم في البلاد

---

[71]-عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص-ص.222-223؛ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص-ص.96-97؛ مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: **القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص.70؛ وللتفصيل يراجع ما يلي عبد الواحد المراكشي: **المصدر السابق**، ص، ص.189،165،158،157-226،194؛ ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب (قسم الموحدين)**، ص،ص.114،89،88،67، 214،213،186،172،157،140،116؛ ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص-ص.291-292؛ ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)**، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط.3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987، ص،ص.331،330،325،324،112،111.

[72]- ابن عذاري المركشي: **المصدر السابق**، ص-ص.114-117؛ ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)**، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط.3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987، ص-ص.323-341،332-342؛ الزركشي: **المصدر السابق**، ص.14؛ عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص.223.

[73]- ابن خلكان: **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، مج.7، بيروت: دار صادر، ص-ص.4-5؛ عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص.223.

الشرقية[74].

و على العموم فسياسة عبد المؤمن بن علي في مهادنة القبائل العربية وتحريك مجالاتها ظلّت فاعلة في عهد خلفائه[75]، ويبدو أنّها لم تقتصر على أعراب بني هلال وحدهم بل شملت "البدو" البربر أيضا[76].

فهل أثّر هذا التحريك القبلي "البدوي" على التركيبة المجالية الزناتية الخالصة للمنطقة الشلفية؟

- **الهلاليون ومجالات زناتة الشلف:**

يبدو أنّ عملية إنزال العرب الهلالية في البلاد الغربية قد تأخرت حتى عهد المنصور الموحدي الذي اتبع سياسة الثواب والعقاب مع عرب البلاد الشرقية، خاصة بعد تحالفها مع بني غانية، وهي السياسة التي لم يعتمدها عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف اللذين ركّزا عملياتهما التوطينية على المجال الأندلسي[77].

وتطرح معالجتنا السابقة للوضعية المجالية المتغيرة للقبائل الزناتية بالمنطقة في الفترة الموحدية خاصة إشكال طبيعة التحرك الأعرابي، فهل كان ناتج عن رغبة هذه القبائل الضاعنة والمتواجدة بالشرق للامتداد نحو البلاد الغربية، سواء

---

[74]- روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص-ص.85-86؛ ينظر عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص-ص.223-224؛ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص-ص.97-99؛ وعن السبب الأمني في التحريك الموحدي للأعراب وعن وجه المقابلة التي طرحها محمد القبلي بين نموذجي التحركات الموحدية، ينظر محمد القبلي: حول التحركاتالبشرية، ص-ص.84-85؛ وللتفصيل تراجع النصوص الوسيطية التالية ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص،ص.286-291،287-292؛ ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص،ص.114-140،118-185،143-190،186-242،232،197،191؛ الزركشي: **المصدر السابق**، ص،ص.16،14-18؛ البيدق: **المصدر السابق**، ص-ص.166-167.

[75]- عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص.224.

[76]- يمكن مراجعة ذلك في العديد من النصوص الوسيطة.

[77]- عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص.98.

بتحالفها مع القبائل البادينية خاصة أو غيرها لاستغلال واحتلال المجالات المهجورة، أم أنّ ذلك كان وراءه دوافع سلطوية خالصة؟

- **زغبة: القبيلة الهلالية والمجال الجديد:**

هي زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر كما جاء ذكرها في كتب الأنساب[78]، وتعتبر من بين الجماعات البشرية الأعرابية الأولى التي غرّبها المستنصر الخليفة الفاطمي، وأقطعها مناطق مختلفة في الإمارة الزيرية، وكان نصيب زغبة الجهة الممتدة من طرابلس إلى قابس منذ 429هـ/1030م[79]، ولم يتغير مجال انتجاعها إلى غاية سنة 580هـ/1184م بعد أن تغلبت على مغراوة إفريقية[80]، وكانت على عكس قبائل رياح وجشم الأعرابيتين في حملة مرابطي ميورقة على السلطة الموحدية حيث ناصرت هذه الأخيرة، وهو ما فتح لها باب امتياز الانتقال إلى المجال الممتد بين المسيلة وقبلة تلمسان[81]، فكان لها القفار ولبني بادين وزناتة

---

[78]- وهي من بطون بني عامر بن صعصعة مثل عدي والأثبت ورياح وغيرهم، وكانت تنزل في الصعيد، ينظر التيجاني: **المصدر السابق**، ص-ص.17-18؛ عبد الوهاب بنمنصور: **المرجع السابق**، ج.1، ص.422؛ وعن زغبة وسويد ينظر أيضا:

Ernest Mercier: *Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbèrie)*,T.2, p.12.

[79]- ابن خلدون: **العبر**، مج.6، ص.40.

[80]- **نفسه**.

[81]- يشير صاحب الاستبصار لمؤلف مجهول: «وفحص سيرات يسكنه قبائل كثيرة من البربر ومطغرة وغيره من قبائل الزناتة، وزناتة تتشعب على قبائل كثيرة، وبلادهم واسعة يخالطهم من جهة إفريقية بنو زغبة من العرب من بني هلال بن عامر.»، مؤلف مجهول (ينسب لابن عبد ربه): **المصدر السابق**، ص-ص.178-179؛ وعن مشاركة هذه القبيلة للموحدين في عملياتهم بالأندلس في حركة المنصور، يراجع ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص.172؛ ابن الأعرج السليماني: **المرجع السابق**، و.35؛ روجي لي تورنو: **المرجع السابق**، ص-ص.84-85؛ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص.98؛ مصطفى الطالبي: **المرجع السابق**، ص-ص.66-67 ؛

Georges Merçais*: Les Arabes en Berbèrie au XI^e^ au XVI^e^ Siècle*, Constantine:D.Braham Editeur, Paris:Ernest Leroux, 1913, p-p.191-193.

التلول بتعبير ابن خلدون[82]، لأنّه عندما زحف الهلاليون تقدمت قبائل زناتة نحو الغرب حيث قام بنو بادين (ومنهم بني عبد الواد) باحتلال سهول وهران، بينما واصل المرينيون طريقهم إلى سجلماسة وإلى المغرب الشرقي[83].

وقد ساهمت عصبية الحلف التي جمعت هذه القبيلة وبطونها العديدة مع جيرانهم الزناتيين في الشمال في تغيير التركيبة المجالية لهذه الجهة[84]، على الرغم من اختلاف طبيعة تحركاتها التي اتسعت في فترة الضعف الموحدي وبداية الحكم الزناتي الجديد.

وللإجابة على الإشكالية السابقة لابد أن ندرك أنّ حاجة البدوي إلى مراع جديدة هي التي حرّكت القبائل الوافدة لطرد من سبقها إليها[85]، وهو ما حصل مع زناتة المغرب الأوسط التي وجدت شريكا بدويا آخر ينافسها في مجالاتها الأولى مع بداية التفكك الموحدي[86].

وما يمكن قوله في نهاية هذه الدراسة أنّ واقع المنطقة الشلفية كان مهيئا للتغيرات التي عرفها خلال الفترة الموحدية، والتي أثّرت فيه بالشكل الذي أحدث ما يمكن أن نصطلح عليه بالثورة الديموغرافية بحكم التواجد الأعرابي الجديد و المؤثر فيها بشكل ملفت.

وأخيرا لابد من ايراد بعض النتائج التي أتاحتها لنا المعطيات النصية المعتمدة في هذه الدراسة والتي نحوصلها فيما يلي:

---

[82]- ابن خلدون: **العبر**، مج.6، ص.40.

[83]- علي أومليل: **المرجع السابق**، ص.198.

[84]- مصطفى الطالبي: **المرجع السابق**، ص،ص.187،186،66.

[85]- وإن كنت أتبنى هذا الموقف لكن بتحفظ حتى لا نتماشى مع الرؤية الاستشراقية التامة، حيث تكون الظرفية التاريخية مثلا حتّمت هذا الامتداد المجالي الأعرابي الهلالي بالمنطقة.

[86]- ولعلّ من أبرز ما احتفظت به الخريطة ذاتها أن سجلت ظهور القبائل البدوية الهلالية ثم القبائل الرعوية الزناتية بالسهول الغربية، محمد القبلي: **المرجع السابق**، ص.85.

- الحضور النصي للمجال الشلفي في الاسطوغرافيةالموحدية باعتبار أهمية المنطقة المسالكية و إن كان حضورا موجزا.

- عدم الاستقرار في المنطقة الشلفية بسبب الصراعاتالقبلية وكذا الصراعات التي واجهتها السلطة المتعاقبة على المنطقة سبب في التراجع الحضري في هذه الجهات.

- دور السلطة الموحدية في احداث تغيير ديموغرافي في المجال الشلفي والتأثير على مجال المنطوق في الجهة التي كانت تعرف ببلاد زناتة.

- عدم الاهتمام الأكاديمي بالجهة الشلفية في الفترة الوسيطة مما يجعله مجالا خصبا للبحث، وبالتالي لابد من تظافر الجهود في هذا المجال.

الجزائر وقضايا التحرر في إفريقيا : دراسة في مظاهر الدعم الدبلوماسي

د. لهلالي سلوى / جامعة سطيف2

مقدمة

استطاعت الجزائر بوزنها التاريخي الذي تمظهر من خلال ثورة التحرير (1954-1962) من أن تتبوأ مكانة إقليمية مهمة ، خاصة و أنها كانت إحدى المستعمرات الفرنسية التي استطاعت إفتكاك استقلالها ضد أعتا قوة استعمارية في القرن العشرين ، حيث كرست مبدأ المد التحرري من خلال الأدبيات والمواثيق التاريخية للثورة إلى جانب مبادئ ميثاق الأمم المتحدة ، والتي أكدت على دعم الجزائر لكل الشعوب المستعمرة وحقها في تقرير مصيرها وتجاوز الظاهرة الاستعمارية بجميع مظاهرها ، وهذا ما أكسبها شرعية على المستوى الإفريقي خصوصا وأن العديد من الدول الإفريقية دعمت الثورة الجزائرية من خلال الاعتراف بالحكومة المؤقتة الجزائرية .

وقد واصلت الدولة الجزائرية بعد الاستقلال هذه السياسة بتبني دبلوماسية تساند حركات التحرر في إطار أشغال مؤتمرات افريقية عديدة ، هذا وقد تباينت مظاهر الدعم ما بين الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية ، وسنحاول من خلال ورقتنا البحثية هذه الإحاطة بإشكالية تاريخية تتمحور حول جهود الجزائر في دعم التوجه التحرري لإفريقيا ودعم أوجه الوحدة على جميع الأصعدة.

1-السيطرة الأوروبية على بعض الدول الإفريقية:

لقد تعرضت الدول الإفريقية للسيطرة الأوروبية في إطار الحركة الاستعمارية والتي تزعمتها فرنسا و البرتغال و بريطانيا ، حيث فرضت هيمنتها على

الدول الإفريقية سواء بالاحتلال أو فرض الحماية والانتداب ، حيث أخضعت عددا كبيرا من الأراضي الإفريقية للاحتلال المباشر وغير المباشر، ورغم الحركة الدفاعية التي قامت بها الشعوب الإفريقية ضد الاستعمار إلا أنها فشلت في تقويضه واستطاعت بذلك الخضوع للاستعمار كما يلي:

-جنوب إفريقيا:

قام الانجليز بالزحف إلى جنوب إفريقيا منذ عام 1795 التي قاموا بانتزاعها من الهولنديين بعد إرغامهم على ذلك حيث تم التنازل عليها فعليا خلال مؤتمر فينا، وبعدها أخذ الانجليز يقوم بالتوسع في المنطقة ويشجعون الأوروبيين على الهجرة إلى هناك مما جعل أهل المنطقة يهاجرون ويتمركزون في المناطق الداخلية لكن البريطانيين تبعوهم وأرغموهم على ترك تلك الأراضي الشيء الذي جعل المواطنين يقومون بحرب ضد الانجليز تعرف بحرب البوير التي حققت نجاح حيث تم إنشاء اتحاد جنوب إفريقيا حصل الجنرال على الاستقلال الداخلي وبعد مفاوضات مع بريطانيا تم تأسيس هذا الاتحاد الذي تكون من الولايات التالية: الأورنج،الترانسفال، الرأس، الناتال ووعد البوير بتكوين حكومة مستقلة لهم.

-الصومال:

في عام 1884قامت القوات المصرية البريطانية باحتلال مدن زيلغ، بربرة وبذلك اغتنمت بريطانيا الفرصة وقامت بعقد العديد من الاتفاقيات من مشايخ المنطقة ثم أعلنت الحماية على المنطقة الصومالية، فقامت مقاومة شديدة من طرف الصوماليين بزعامة محمد عبد الله.

-كينيا وأوغندا:

لقد كانت بريطانيا تهتم بكل من كينيا وأوغندا بعد ظهور النشاط الاستعماري الألماني شرق إفريقيا وتوغل أحد المغامرين البريطانيين في منطقة كيليمانجارو الذي قام بإبرام العديد من الاتفاقيات مع زعماء المنطقة، لكن كان هناك تنافس بين بريطانيا و ألمانيا وحتى فرنسا حول المنطقة مما جعل هؤلاء يقومون بتأسيس لجنة مشتركة انجليزية ألمانية وقامت بإصدار قرار على ترك جزر زنجبار وبمبا وتقسيم المنطقة الداخلية فكان الشمال من نصيب بريطانيا و الجنوب لألمانيا وقاموا بترك مدغشقر لفرنسا.

وقد دخلت هذه الدول في مفاوضات وتم توقيع معاهدة حصلت بموجبها ألمانيا على جزيرة هليوجولاند، وقامت بالتنازل لبريطانيا على أوغندا، زنجبار وبمبا فقامت بريطانيا بإعلان الحماية على هذه المناطق وقامت ببعث البعثات التبشيرية لتلك المناطق كما قامت فرنسا بمشاركتها بذلك من خلال بعث البعثات التبشيرية لكن حصل صراع بين البروستانت و الكاثوليك في المنطقة.

وفي سنة 1894 أعلنت بريطانيا حمايتها على أوغندا وباقي المناطق كرد فعل على ألمانيا حيث وصل نفوذها لغاية بحيرة فيكتوريا لكن فيما بعد تنازلت بريطانيا عن جزء من أوغندا لإيطاليا[1]

-مدغشقر:

وصل الفرنسيون إلى جزيرة مدغشقر منذ أوائل القرن السادس عشر عن طرق البعثات التبشيرية المسيحية، والتجار المغامرين الذين نزلوا بالساحل

[1] بوشابو أحمد وعيرزم لحسن: تاريخ الجزائر و العالم من عهد الدايات إلى الاستعمار الحديث 1971-1912، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2004-2005، ص ص 254-260.

الجنوبي الشرقي للجزيرة و أسسوا عدة مراكز، وقد قام الفرنسيون بتأسيس الشركة الشرقية الفرنسية حيث نزل الفرنسيون بميناء فوردوفين في الجنوب الشرقي وأنشئوا عدة مستعمرات دائمة.

كما كانت في المنطقة عدة بعثات التي حفزت على احتلال المنطقة وقد تحفزت فرنسا على ذلك خاصة بعد أن ظهر نشاط البريطانيين فيها وسيطروا على معظم الجزر المجاورة لها[1]

-أنغولا:

تعرضت أنغولا للاستعمار من طرف البرتغال والذي استمر لمدة خمسة قرون مستغلين بذلك الإمكانيات الزراعية التي تزخر بها المنطقة، وقد تمركز العديد من السكان البرتغاليين في المنطقة خاصة على الشريط الساحلي المطل على المحيط الأطلسي.

وخلال هذه الفترة من السيطرة البرتغالية على أنغولا ظهرت حركة وطنية تحررية سنة 1956 عند تأسيس الحركة الشعبية لتحرير أنغولا ومن بين مؤسسيها نجد أغوستينو نيتو وإدواردو ماندلان، وقدكانت هناك العديد من التيارات التحررية الأخرى مثل الجبهة الوطنية لتحرير أنغولا، و الاتحاد الوطني للاستقلال التام لأنغولا.[1]

-الموزمبيق:

كانت موزمبيق هي الأخرى أحد المستعمرات البرتغالية منذ 1508 حيث استخدمها البرتغاليون من أجل أن تكون مزرعة لتزويد البرازيل بالعبيد، وقد قام

[1] بوشابو أحمد وعيرزم لحسن، المرجع السابق، ص280.
1

أهل الموزمبيق سنة 1962 بتأسيس حزب جبهة تحرير موزمبيق وفي سنة 1964 تم إعلان الكفاح المسلح ضد البرتغال[1]

2-القضايا الإفريقية في مواثيق الثورة الجزائرية:

لقد ركزت الثورة الجزائرية منذ اندلاعها على قضايا دول إفريقيا الخاضعة للاستعمار الأوروبي وذلك من خلال المواثيق التي قامت بإصدارها خلال الثورة التحريرية والتي كان من بينها "**بيان أول نوفمبر**" الذي ركز على حق الشعوب في تقرير مصيرها، وبذلك فقد ركزت الجزائر من خلال إصدارها لبيان أول نوفمبر على العمل الداخلي و العمل الخارجي حيث حددت شروطها الداخلية الخاصة بالجزائر من الاعتراف بالجنسية الجزائرية و فتح مفاوضات من أجل إطلاق سراح المعتقلين.

كما أكدت الثورة الجزائرية على أوضاع كل من المغرب وتونس حيث أن كل ما يحدث في تونس و المغرب له علاقة بمراحل الكفاح التحرري من السيطرة الفرنسية في كل شمال إفريقيا، وقد كان من بين الأهداف التي ركزت عليها جبهة التحرير الوطني هو تحقيق مبدأ تحقيق وحدة شمال إفريقيا من أجل التأكيد على البعد في المواثيق الرئيسية للثورة من أجل تحرير كافة بلدان إفريقيا[2]

[1] منصف بكاي: دور الجزائر ما بعد الاستقلال في تحرير إفريقيا ومقومات دبلوماسيتها الإفريقية، جامعة الجزائر، ص ص 11-12.

[2] مليكة بن قدور: صدى الثورة الجزائرية على استقلال الشعوب الإفريقية1954-1975، المجلة الجزائرية للبحوث و الدراسات التاريخية، م 3، ع6، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس ،الجزائر، ديسمبر2017، ص ص 166-167.

3-ارتباط الكفاح الإفريقي بالثورة الجزائرية:

كانت فرنسا تسيطر على العديد من المستعمرات سواء كان ذلك في القارة الإفريقية أو القارة الأسيوية، وبعد تكبدها لخسارة كبيرة في الهند الصينية إثر معركة ديان بيان فو الشيء الذي جعلها تحاول الانسحاب من القارة الأسيوية من أجل القيام بحماية مستعمراتها في القارة الإفريقية، لكن انسحابهم من أسيا جعل من دول القارة الإفريقية يقررون التخلص من السيطرة الفرنسية على أراضيهم ومن بين هذه الدول نجد الجزائر التي كانت تخطط للقيام بثورة ضد الاستعمار الفرنسي لذلك قامت بإصدار بيان أول نوفمبر الذي حددت فيه الأهداف الرئيسية للثورة الجزائرية والتي كان من بينها تحرير كافة بلدان القارة الإفريقية لذلك ارتبطت قضايا الكفاح الإفريقي بالثورة الجزائرية.

لقد كانت جل القوات العسكرية الفرنسية مجندة في الأراضي الجزائرية ضد الثورة التي قامت في أراضيها الشيء الذي صعب الأمر على القوات الفرنسية وجعلها تخسر العديد من المستعمرات الإفريقية، حيث وجدت فرنسا نفسها مضطرة على أحد الأمرين إما أن يقوم بإمضاء التنازل أما الحركة الوطنية التي قامت في القارة الإفريقية أو أن يقوم بمواجهة الثورات المسلحة التي قامت في إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي في كل من (غينيا، السودان، موريتانيا، السنغال، الداهومي، ساحل العاج، النيجر، التشاد، الغابون، الكونغو، إفريقيا الوسطى ومدغشقر...)[1]

كما أن القوات الفرنسية لم تتمكن من السيطرة على الثورة الجزائرية فكيف يمكنها السيطرة على الثورات التي قامت في كافة المستعمرات الفرنسية

[1] مليكة بن قدور: المرجع السابق، 169.

الإفريقية، كما أنها لم تتمكن من استخدام الجنود السود ضد المجاهدين الجزائريين لذلك قامت بإصدار قانون الإطاري المتمثل في منح الحكم الذاتي لدول إفريقيا تحت سلطة الحاكم العام الفرنسي ضنا منها بأنه سيريحها من مطالبة الشعوب الإفريقية ومدغشقر من المطالبة بالاستقلال التام [1]

4-الثورة الجزائرية وارتباطها بالمؤتمرات الإفريقية:

لقد كان للثورة الجزائرية الدور الكبير في نشر الوعي الوطني لدى الشعوب الإفريقية الشيء الذي جعل البلدان الإفريقية تقوم بعقد العديد من المؤتمرات السياسية من أجل المطالبة بالتحرر من السيطرة الفرنسية، والشيء الذي سيجعل الدول الإفريقية تقول بأن القضية الجزائرية قضية إفريقية ومن بين المؤتمرات الإفريقية التي تم عقدها من طرف الحركة الوطنية الإفريقية نجد:

4-1-مؤتمر القاهرة 1957:

يعد مؤتمر الذي تم عقده بالقاهرة مؤتمر من أجل تضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية لتمتين الروابط بين القارتين في كفاحها ضد الاستعمار و تحقيق إدارتها في الاستقلال الوطني الكامل، وقد كان هذا المؤتمر إثر نجاح القضية على المستوى الدولي كما تم عقد العديد من المؤتمرات المشابهة لهذا المؤتمر منها المؤتمر الخامس لنقابات العمال الحرة في تونس، مؤتمر لاشتراكية الدولية في النمسا، المؤتمر المنعقد بأثينا المناهض للاستعمار ومؤتمر المحامين الإفريقيين الأسيويين.

أما عن مؤتمر القاهرة الذي عقد سنة 1957 حضره 46 مندوبا كانت الجزائر ممثلة فيه بوفد يتكون من عشرين عضوا يترأسهم محمد لمين دباغين.

[1] مليكة بن قدور:المرجع السابق،ص170

و قد تمخض عن هذا المؤتمر إتاحة الفرصة لجبهة التحرير الوطني لعرض قضيتها على 46 دولة خصص لدراسة تطورات القضية الجزائرية على المستوى الدولي.

أتاح لجبهة التحرير الوطني الممثلة بمحمد لامين دباغين وإمكانية إسماع صوتها وفي هذا الإطار قام هذا الأخير بتقديم عرض شامل عن القضية الجزائرية [1]

وقد نص المؤتمر على النقاط التالية:

-بأن يكون 1مارس 1958 يوم تضامن مع الجزائر في كامل أسيا و إفريقيا وذلك بتنظيم مظاهرات وإقامة الاجتماعات و الحفلات العامة وجمع الأموال.

-القيام بتشكيل في جميع الأقطار لجان لتحرير الجزائر كما وجه المؤتمر نداء إلى كل شعب أسيوي و إفريقي لمد الشعب الجزائري بالأموال و الألبسة و الأدوية و المواد الغذائية.

-يعطي المؤتمر الشعوب الأسيوية والإفريقية بمد اللاجئين الفارين في تونس و المغرب بمساعدة عاجلة.

-توجيه نداء إلى جمع الحكومات وخاصة إلى حكومات أسيا و إفريقيا[2]

2-4-مؤتمر الشعوب الإفريقية أكرا 1958:

لقد تم انعقاد هذا المؤتمر بين 15 إلى 22 أفريل 1958 وبمبادرة من الرئيس الغاني نكروما حضرته ثمانية دول إفريقية مستقلة هي: غانا، مصر، أثيوبيا،

[1] أحمد سعيود:القضية الجزائرية في مؤتمر تضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية، مجلة المصادر، ع20 ، ص ص 373-374.

[2] المرجع نفسه، ص387.386

ليبيريا،وليبيا، المغرب و السودان وتونس، وقد كان لحضور الدول العربية لهذا المؤتمر دور في إدراج القضية الجزائرية ضمن أولويات جدول عمل هذا المؤتمر لذلك تبنى المؤتمر هذه القضية وقرر تقديم الدعم اللازم للشعب الجزائري في حق تقرير مصيره واسترجاع سيادته.

كما نصت على لائحة من أجل ضرورة بذل الدول المشاركة أقصى الجهود لعرض القضية الجزائرية و الدفاع عن جبهة التحرير الوطني باعتبارها الممثل الوحيد و الشرعي للشعب الجزائري[1]

4-3-مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة مونروفيا أوت1959:

لقد كان هذا المؤتمر بعدما أحست الجزائر بنقص الدعم و التضامن الإفريقي لها، لذلك طلبت من رؤساء الدول الإفريقية المستقلة لعقد مؤتمر لمناقشة أوجه الدعم الممكنة من طرف الدول الإفريقية وقد استجابت هذه الدول للنداء وقاموا بعقد مؤتمر بمدينة منروفيا، حيث اجتمع رؤساء الوفود في 3 أوت 1959 لتحديد جدول الأعمال وانطلقت أشغال المؤتمر يوم 4 أوت 1959 بحضور تسع دول إفريقية مستقلة وحضر وفد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية كعضو رسمي[2] [i]

وقد تم مناقشة جدول الأعمال الذي كان مسطر وكان مركزا كثيرا حول القضية الجزائرية وتم الاعتراف بالحكومة المؤقتة للحكومة الجزائرية، وقد نتج عن هذا المؤتمر اهتمام الأفارقة بالقضية الجزائرية التي حققت نجاحات كما

[1] منصف بكاي ، المرجع السابق،ص 5

[2] أحمد مسعود سيد علي، جهود الثورة الجزائرية في تنوير القارة السمراء عبر مؤتمرات الشعوب الإفريقية ديسمبر 1958/ مارس 1961، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، ع20، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص52.

كسبت الثورة الجزائرية تضامن مع الثورة الجزائرية مقابل نيلهم لحرية أكبر مما أدى إلى تبني إستراتيجية سياسية على الصعيد الإفريقي.

وقد كان أكبر نجاح حققه هذا المؤتمر رفع العلم الجزائري لأول مرة في التاريخ بصفة رسمية إلى جانب أعلام الدول الإفريقية المستقلة، كما تم الاتفاق على دعم الثورة الجزائرية ماديا وتبادل وجهات النظر حول ذلك وقد تم إعلان يوم أول نوفمبر يوما للجزائر يخصص لجمع التبرعات لصالح الثورة الجزائرية، وقد كان هذا المؤتمر بداية لمرحلة من تأييد الدول الإفريقية المادي و الدبلوماسي للثورة الجزائرية [1]

4-4-مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الثاني أديسا بابا 1960:

انعقد هذا المؤتمر بأديسا بابا عاصمة أثيوبيا من 14 إلى 24 جوان 1960 حضرته 13 دولة بالإضافة لمندوبين بصفتهم ملاحظون عن كل من: أنغولا، كينيا، أوغندا، روديسيا الشمالية، رواندا، بوروندا و جنوب غرب إفريقيا، زمبابوي وجنوب إفريقيا، وقد كان هناك وفد من الجزائر الذي كان عضوا مشاركا وممثلا من قبل أمحمد يزيد رئيسا للوفد و فرنوس فانون وعمر أوصديق وأحمد بومنجل.

وقد تناول المؤتمر القضية الجزائرية ورحبوا بفكرة التفاوض لحل قضيتها وقد توصلوا إلى النقاط التالية:

-إنشاء صندوق ممول بموارد مالية تسجل باسم ميزانية مختلف الدول الإفريقية.

[1] أحمد مسعود سيد علي، المرجع السابق،ص53

-دعم الجانب الإعلامي عن طريق الصحافة لكشف جرائم الاستعمار الفرنسي.

- وبهذا فقد كانت الدبلوماسية الخارجية الجزائرية لها نشاط مكثف في القارة السمراء وأصبحت تلعب دورا كبيرا على الساحة الدولية، لهذا كانت إفريقيا محورا من المحاور الرئيسية للدبلوماسية الجزائرية، كما لعبت دورا في تكريس فكرة مبدأ تقرير المصير للشعوب بناءا على مبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

ويعتبر دعم الجزائر لحركات التحرر الإفريقية هو امتداد للكفاح المسلح الذي كان ضد الاستعمار الفرنسي، بالإضافة لظهور موقف الجزائر اتجاه القضايا الإفريقية فقد قامت بفتح أبوبها لحركات التحرر و الحركات المناهضة للعنصرية وقد ساهمت في استقلال العديد من الدول الإفريقية، كما قامت بتدعيم الحركات التحررية في إفريقيا من خلال المنظمات الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية التي نددت من خلالها على ضرورة وضع حد للوجود الأوروبي في القارة السمراء [1]

وفي هذا الصدد نستحضر القول الذي صرح به شي غفارة عام 1960 قائلا:" إن كفاح الشعب الجزائري فريد من نوعه في تاريخ الاستعمار ولم يسبق وأن قدم نموذج مماثل في الشجاعة كالذي قام به الشعب الجزائري، واليوم المعركة التي تخوضها هي معركة الحرية ليست من أجل الشعب الجزائري وحده و إنما من أجل كل الدول التي تعاني الاضطهاد و التعسف أينما كانت و في جميع

[1] منصف بكاي، المرجع السابق، ص 6-10

القارات، إن من واجبنا أن نؤيد قضية الشعب الجزائري بكل الوسائل ذلك لأنها تجسد قضية إنسانية بأكملها" [1]

5-دور الثورة الجزائرية في استقلال بعض الدول الإفريقية:

تعد ثورة أول نوفمبر الجزائرية من أعظم الثورات التي كان لها دور عظيم في تحرير بلدان إفريقيا، حيث اعترفت العديد من الساسة والقادة الأفارقة بهذا الدور، لأن الثورة الجزائرية هي التي حطمت شوكة الإمبراطورية الفرنسية ما وراء البحر بعدما تعرضت للعديد من الهزائم خلال فترات مختلفة من تاريخ الاستعمار الفرنسي كهزيمتها ضد الشعب الفتنامي في الهند الصينية في معركة ديان بيان فو لتندلع الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي وترغمه على عدة تنازلات التي كان من بينها التخلي عن كل المستعمرات في إفريقيا.

فبعد إمضاء اتفاقية جنيف حول الهند الصينية عام 1954 ذهب الرئيس الفرنسي إلى تونس ليعلن عن تقديم الاستقلال الذاتي لها، ومع تصاعد الكفاح في المغرب الأقصى وضغط الثورة الجزائرية على الفرنسيين تمكن المغرب من استرجاع حريته، بالإضافة إلى تأثير الثورة الجزائرية على فرنسا التي ستقوم بتقديم الاستقلال للعديد من الدول الإفريقية الأخرى[2]

كما كان للجزائر دور في تلقين المقاتلين و الزعماء الأفارقة تدريبا عسكريا في الجزائر منهم مقاتلين من الرأس الأخضر وأنغولا و الموزبيق، ومن بينهم نجد سامورا ماشل الذي تلقى تكوينا في الجزائر سنة 1963 ليعود إلى وينضم إلى

[1] كريم رلي: السياسة الخارجية الجزائرية ومسألة تدعيم الشعوب الإفريقية في تقرير مصيرها، المجلة الأكاديمية للبجوث القانونية والسياسية،م2، ع3، ص 401.

[2] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1999، ص ص 393-394.

المقاتلين الذين أعلنوا الكفاح المسلح ضد البرتغال سنة 1946، كما يوجد تصريح للرئيس الجزائري أحمد بن بلة بأن ألف مقاتل إفريقي سيستفيدون من التدريب العسكري في الجزائر وقد ساهمت في فتح مكاتب لحركات التحرر الوطنية منها الحزب الإفريقي من أجل استقلال غينيا و الرأس الأخضر، وجبهة تحرير موزمبيق، والجبهة الشعبية لتحرير أنغولا، حركة تحرير ساوتومي وبرانسيت.

وتعد سنة 1968 نقطة تحول حاسمة في دور الدبلوماسية الجزائرية في تحرير إفريقيا، وكان ذلك من خلال عقد سلسلة من الاجتماعات الإفريقية التي تم من خلالها عقد منظمة الوحدة الإفريقية، وإثر ذلك تم عقد الدورة 13 للجنة تقرير إفريقيا لمنظمة الوحدة الإفريقية حيث ألقى الرئيس هواري بومدين أين ركز على ضرورة مواصلة الكفاح من أجل التخلص من الاستعمار الأجنبي [1]

1-5-استقلال المستعمرات الفرنسية (تونس و المغرب الأقصى):

كان للثورة الجزائرية دور كبير في نعجيل استرجاع السيادة الوطنية في كل من المغرب وتونس وذلك راجع للضغط الكبير الذي كانت تمارسه الثورة على القوات العسكرية الفرنسية ومنه قامت فرنسا بإعطاء تونس و المغرب حريتها واستقلالها، للحفاظ على الأرض الجزائرية.

-استقلال تونس:

أثرت التطورات التي كانت تجري في كل من المغرب والجزائر من كفاح مسلح في تغيير السياسة الفرنسية في تونس من أجل محاولة الحفاظ على الأراضي الجزائرية لذلك أسرعت بتقديم الاستقلال لتونس، حيث قام المقيم العام

[1] منصف بكاي ، المرجع السابق، ص 14

الفرنسي يقرر على ضرورة إنهاء القتال وصدر بيان في 16 نوفمبر 1954 وافق عليه بورقيبة[1]

وقد كانت هناك عدة تطورات تجري في تونس خاصة الموقف الداخلي الذي جعل بورقيبة يسافر لفرنسا واقترح على فرنسا منح تونس الاستقلال التام، وقد لقي اقتراحه صدى وتجاوب من طرف الحكومة الفرنسية بالإضافة لذلك فإن التطورات التي كانت تجري في الجزائر إثر الثورة وازدياد الضغط على القوات العسكرية الفرنسية أعلنت فرنسا منح تونس الاستقلال التام لها [2]

-استقلال المغرب:

لقد كان المغرب الأقصى يطالب باستقلاله منذ توقيع معاهدة الحماية الفرنسية سنة 1912، كما أثرت عليه المتغيرات التي كانت تحدث في الجزائر إثر الثورة الجزائرية وبعدها نفي الملك محمد الخامسة إلى جزيرة مدغشقر مما أثار حفيظة الشعب المغربي وإصراره على إرجاع الملك محمد الخامس إلى المغرب من منفاه وتعاطف الرأي العام الدولي كذلك مع نفي الملك.

بالإضافة إلى ضغط الثورة الجزائرية على الاستعمار الفرنسي وأصبح الوضع العسكري الفرنسي مقلق، كما أثرت هجومات الشمال القسنطيني على القوات الفرنسية.

كما كان لتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة ضغط على فرنسا مما جعلها تتخذ قرار إعادة محمد الخامس للبلاد المغربية

[1] محمد علي داهش: دراسات في الحركات الوطنية و الاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 61.

[2] المرجع نفسه،ص 64

وللحكم في 16 نوفمبر 1955، وقد تمكنت المغرب من استرجاع استقلالها وسيادتها في 2 مارس 1956 أين اعترفت فرنسا باستقلال المغرب الأقصى [1]

-استقلال ليبيا(إقليم فزان):

لقد استفادت ليبيا كغيرها من دول المغرب العربي من الثورة الجزائرية، لذلك تمكنت ليبيا مت التعجيل والضغط على فرنسا من أجل حصولها على استقلالها وبالفعل ذلك ما حدث لأن فرنسا منحتها استقلالها لكي تتمكن فرنسا من التفرغ للسيطرة على الثورة الجزائرية، لذلك بدأت المفاوضات بين ليبيا وفرنسا منذ إنشاء المملكة الليبية في 24 ديسمبر 1951 وقد استمرت تلك المفاوضات لمدة أربع سنوات بسبب مماطلة فرنسا في توقيع التنازل عن ليبيا حتى اندلاع الثورة الجزائرية حيث قامت بالتنازل عن ليبيا والجلاء عن فزان في 10أوت 1955، لكن فرنسا عبرت عن خسارتها لفزان بقول في أحد الجرائد:" فلولا ضغط الثورة الجزائرية لن نبرح فزان أبدا" [2]

2-5-استقلال بعض المستعمرات الأخرى:

لعبت الجزائر دورا كبيرا في دعم الحرة التحررية التي قامت في المستعمرات الإفريقية ومنها المستعمرات البرتغالية التي نجد منها:

[1] محمود علالي: دور الثورة الجزائرية في تحرير الشعوب الإفريقية، مجلة العلوم الاجتماعية، م6، ع1، جامعة عمار ثليجي، جوان 2012، ص 142.

[2] مليكة بن قدور: البعد الإفريقي للثورة الجزائرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2016-2017، ص ص 393-394.

-استقلال روديسيا الجنوبية:

تلقت القضية الروديسية دعما كبيرا من طرف الدبلوماسية الجزائرية خاصة في لجنة تصفية الاستعمار التي صدرت في 27 نوفمبر 1961، وبعدما أعلن أين سميث استقلال النظام العنصري في روديسيا الجنوبية.

كما تحركت الدبلوماسية الجزائرية وأعلنت مع تسع دول إفريقية قطع علاقتها الدبلوماسية مع بريطانيا، وكلفت منظمة الوحدة الإفريقية الجزائر و السنغال وزمبيا من أجل الدفاع عن المواقف الإفريقية من أجل القضية الروديسية في هيئة الأمم المتحدة، وبالفعل تمكنت الجزائر من جمع شمل الزعماء في روديسيا وإنشاء جبهة موحدة تمثلت في الجبهة الشعبية التي تمكنت من استرجاع السيادة سنة 1980.

-استقلال نامبيا:

قامت الجزائر بدعم القضية النامبية وساهمت في التخلص من هيمنة نظام جنوب إفريقيا العنصري من خلال إصدار اللوائح وذكر قضية نامبيا في المحافل الدولية خاصة في محكمة العدل الدولية التي أعطت رأي استشاري حول نامبيا من الحصول على اعتراف من طرف منظمة الأمم المتحدة بمنظمة سوابو برئاسة سام نجوما كممثل شرعي ووحيد لشعب نامبيا بالإضافة إلى ذلك فبفضل الجزائر تمكنت نامبيا من حصولها على الاستقلال في جويلية 1979[1]

[1] منصف بكاي ، المرجع السابق، ص 19-20

-استقلال زمبابوي:

تلقت القضية الزمبابوية دعما كبيرا من قبل صناع السياسة الخارجية الجزائرية خاصة تصفية الاستعمار التي تأسست بموجب اللائحة رقم 1654 وإعلان أين سميث استقلال النظام العنصري في روديسيا الجنوبية، كما أعلنت الجزائر مع بعض الدول الإفريقية قطع علاقاتها مع بريطانيا وقد ساهمت الجزائر في الدفاع عن القضية الزمبابوية من خلال التنديد بإعلان الاستقلال من جانب واحد و العمل بكل ما في وسعها في هيئة الأمم المتحدة على حث الدول الأعضاء على عدم الاعتراف بنظام الأقلية العنصرية في روديسيا الجنوبية، كما أعطتها دعما بمختلف المعونات المادية و اللوجيستية [1]

-استقلال جنوب إفريقيا:

قامت الجزائر بتقديم الدعم الكامل و الواضح لجنوب إفريقيا من خلال تدعيمها للحركة الوطنية التحررية في جنوب إفريقيا الممثلة في المؤتمر الوطني الإفريقي و المؤتمر البانا فركاني وبذلك ساهمت الجزائر في استرجاع السيادة في إفريقيا [2]

-استقلال مدغشقر:

كما سبق الذكر بأن مدغشقر كان مستعمرة فرنسية وفي عام 1958أصبحت جمهورية في نطاق ما يعرف باسم الاتحاد الفرنسي، وقد كان يحاول من أجل الحصول على استقلاله فقد اجتمعت المجالس الجهوية في عاصمة طاناناريف وقررت إعلان الجمهورية لكن رئيس حكومة الملغاشية السيد

[1] كريم رلي: المرجع السابق، ص 405

[2] المرجع نفسه،ص405

تسيرنانا صرح في 23 جويلية 1958 قائلا:" لا استقلال لمدغشقر قبل مرور 30سنة".

وإن ميلاد جمهورية مدغشقر سيكون له صدى كبير خاصة في المستعمرات البريطانية الواقعة في جنوب خط الاستواء وبعد حصولها على الصلاحيات الخاصة بالحكم أصبح تسيرنانا الرئيس على مدغشقر بعدما منحت استقلالها من طرف الفرنسيين.

-استقلال الصومال:

يوم 1 جويلية 1960 تم الإعلان عن استقلال جزأين من أهم الأجزاء في الصومال وهما: الجزء الخاضع لبريطانيا والجزء الخاضع لإيطاليا، وقد اجتمع هذين الجزئين وشكلوا جمهورية الصومال وقد صرح رئيس الحكومة الصومالية بأن أول عمل سيقوم به هو الاعتراف بالجمهورية الجزائرية المؤقتة واتخاذ موقف اتجاه القضية الجزائرية و الفلسطينية وكذا بقية القضايا العربية الأخرى.

وإن هذا التأييد للقضية الجزائرية كان نابع من الشيء الذي عاشه الشعب الصومالي فهو مشابه لما عاشه الجزائريون من مرارة الاستعمار و الاضطهاد، أثر على القضية الجزائرية الخطاب الذي ألقاه عمر ابن غازي ممثل الصومال في مؤتمر الشعوب الإفريقية الذي انعقد في تونس الذي قال:" قبل أن أبدأ خطابي يسعدني أن أقدم هذه الهدية الرمزية إلى الوفد الجزائري وهي علم الصومال منسوج على مروحة، وإني لسعيد جدا بهذه المناسبة إلي مكنتني من الاتصال

بإخواني المجاهدين الجزائريين و أكد يا إخواني أن الشعب الصومالي على أتم استعداد للكفاح معهم في حربك المقدسة ضد الاستعمار..." [1]

جدول يمثل وضع بعض الدول الإفريقية السياسي خلال حرب الجزائر1954 - 1962 [2]

الدولة	العاصمة	وضع الدولة	عضو في منظمة الأمم المتحدة منذ	القارة
أثيوبيا	أديسا بابا	مستقلة	1945/11/13	إفريقيا
إفريقيا الوسطى	بانغي	مستقلة1960	1960/09/20	إفريقيا
أوغندا	كمبالا	مستعمرة بريطانية	1962/10/25	إفريقيا
إريتيريا	أسمرا	مستعمرة	1993/05/28	إفريقيا
بوركينافاسو	أوواغادوغو	مستقلة 1960	1960/09/20	إفريقيا
بوراندي	بوجمبورا	مستقلة1962/07/01	1962/09/18	إفريقيا
التشاد	نجامينا	مستقلة1960	1960/09/20	إفريقيا
تنزانيا	دار السلام	مستعمرة لغاية 1961	1961/12/14	إفريقيا
التوغو	لومي	مستقلة1960	1960/09/20	إفريقيا
تونس	تونس	مستقلة 1956	1956/11/12	إفريقيا
جزر القمر	موروني	مستعمرة	1975/11/12	إفريقيا
جيبوتي	جيبوتي	مستعمرة	1977/09/20	إفريقيا
جنوب إفريقيا	بيريتوريا	تحت نظام عنصري	1945/11/07	إفريقيا

[1] مليكة بن قدور، المرجع السابق، ص 407-409

[2] المرجع نفسه،ص 431-433

		استعماري		
الرأس الأخضر	برايا	مستعمرة	1975/09/16	إفريقيا
الكونغو	كينشاسا	مستقلة 1960	1960/09/20	إفريقيا

6-دور الثورة في استقلال دول إفريقيا اقتصاديا:

كما سبق الذكر عن دور الجزائر الدبلوماسي في تحرير دول إفريقيا من الاستعمار الفرنسي كان لها دور فعال في محاولة تخليصها من الهيمنة الاستعمارية على اقتصادها وتغيير علاقاتها الاقتصادية، لذلك سارعت الجزائر المؤتمرات و التجمعات الدولية و الإقليمية كما استضافت الجزائر على أراضيها الكثير من المؤتمرات السياسية والندوات الاقتصادية الدولية.

من بين أهم هذه المؤتمرات نجد مؤتمر عدم الانحياز الذي تم عقده في الجزائر سنة 1973 كان هدف هذا المؤتمر إقامة نظام اقتصادي دولي جديد يخدم المجتمع ويضمن لهم استقرار العلاقات بين أعضائه، وقد كان من بين أهم نتائج هذا المؤتمر ما يلي:

- دعم الدول المشاركة للمبادرة الجزائرية بطلب عقد دورة طارئة للأمم المتحدة لذلك سارعت الجزائر من أجل عقد هذا المؤتمر ودراسة موضوع الموارد الأولية، التحدث عن قضايا التنمية ونظم التعامل الاقتصادي الدولي في الأمم المتحدة.
- تبليغ صوت العالم الثالث أن الرأي العام الدولي كان مستعدا لتفهم ودعم هذه الخطوة خاصة بعد أزمة البترول.

وقد تم عقد مؤتمر سنة 1974 ميزه خطاب هواري بومدين الخطاب الذي تضمن نقاط حول إقامة مشروع اقتصادي دولي جديد، كما قدمت الجزائر برنامج وبعد مناقشة هذا البرنامج الذي لقي صدى كبير من طرف الدول الإفريقية ودول العالم الثالث تم التوصل للنقاط التالية:

- إعلان خاص بإقامة نظام اقتصادي دولي جديد صدر بشأنه القرار أو اللائحة الأممية رقم 3201.
- إعلان برنامج عمل من أجل إقامة نظام اقتصادي دولي جديد و الذي صدر بشأنه القرار أو اللائحة رقم 3202.

وقد كان هدف الجزائر من ذلك إرساء نظام اقتصادي عالمي لقضاء على الفوارق بين دول العالم المتقدمة والمتخلفة وضرورة تحكم الدول الإفريقية في المواردها الطبيعية ومن خلال هذا فقد ساهمت الجزائر في وضع الدعائم و القواعد الرئيسية للنظام الاقتصادي الإفريقي في هيئة الأمم المتحدة[1]

الخاتمة:

أولا- لقد تعرضت العديد من الدول الإفريقية للسيطرة الأوروبية التي قامت باحتلال بعض الدول و الأخرى فرضت عليها الحماية أو الانتداب فنجد من بينها الصومال، جنوب إفريقيا، مدغشقر، أنغولا وغيرها من الدول الإفريقية التي استعمرتها فرنسا وبرطانيا وألمانيا.

ثانيا- تعرضت الجزائر كغيرها من الدول الإفريقية للاحتلال الأوروبي لذلك قامت بإعلان الثورة من أجل التخلص من تلك الهيمنة وخلال ذلك قامت بإصدار

[1] منصف بكاي ، المرجع السابق، ص 243

العديد من المواثيق التي ركزت فيها على البعد الإفريقي للكفاح ومن بينها بيان أول نوفمبر 1954.

ثالثا- من خلال تلك المواثيق التي أصدرتها الجزائر ارتبط كفاح الدول الإفريقية بالثورة الجزائرية لذلك شاركت في العديد من المؤتمرات الإفريقية التي دافعت هي الأخرى عن القضية الجزائرية واعترفت بالجمهورية الجزائرية المؤقتة كمؤتمر القاهرة، أكرا وأديسابابا.

رابعا- ساهمت الجزائر من خلال نشاطها الدبلوماسي على حصول العديد من الدول الإفريقية على استقلالها وتمكنت من التخلص من السيطرة الأوروبية منها الصومال، مدغشقر، جنوب إفريقيا و تونس والمغرب الأقصى وغيرها، كما كانت لها مساهمة في تخليص الاقتصاد الإفريقي من الهيمنة الأوروبية.

آليات استغلال العقار الفلاحي قبل صدور قانون التوجيه الفلاحي

د.بوشربي مريم / جامعة عباس لغرور خنشلة

د.بوقرة العمرية / جامعة المسيلة

مقدمة :

للزراعة اهمية بالغة كونها ثروة مستمرة لا يهددها الزوال و تعد إحدى قواعد النمو الاقتصادي في البلاد و عامل ذو اهمية في التقدم الاجتماعي .

و نظرا للإمكانيات التي تتوفر عليها بلادنا زراعيا فستظل التنمية الزراعية إحدى المهام الرئيسية للمشرع والسبب الرئيسي لتعدد التشريعات التي تناولت احكام العلاقة بين الارض و الفلاح و خاصة الاراضي الفلاحية التابعة للأملاك الوطنية الخاصة .

مر إستغلال العقار الفلاحي بالجزائر بعدة مراحل تاريخية سنحاول التركيز على المرحلة التي تلت الإستقلال وصولا إلى صدور قانون 19/87 أي المرحلة التي سبقت صدور قانون التوجيه الفلاحي ،محاولين معالجة الإشكالية التالية : ما هي الآليات التي استحدثها المشرع الجزائري بعد الإستقلال لضمان استغلال امثل لهذه الاراضي ؟ و هل كانت هاته الآليات ناجعة لحماية هذا النوع من الاراضي وهل ساهمت في التنمية الفلاحية في الجزائر؟

للإجابة على هذه الإشكالية قسمنا هذه الورقة البحثية إلى :

مبحث 01 : مرحلة استغلال العقار الفلاحي التابع للدولة قبل صدور القانون 19/87

مبحث 02 : مرحلة استغلال العقار الفلاحي التابع للدولة بعد صدور القانون 19/87

المبحث الاول : مرحلة استغلال العقار الفلاحيقبل صدور قانون 19/87:

لقد حاولت الدولة الجزائرية التحكم في قواعد إستغلال العقار الفلاحي مباشرة بعد الإستقلال، ولقد مرت السياسة المنتهجة على العقار الفلاحي بعدة مراحل تعددت فيها كما طرق الإستغلال المعتمدة، وسنحاول إلقاء الضوء على أهم النصوص التي حددت نمط استغلال هذه الأراضي منذ الاستقلال وإلى غاية صدور قانون 19/87 المؤرخ في: 1987/12/08 المتضمن كيفية إستغلال الأراضي الفلاحية التابعة للأملاك الوطنية وتحديد حقوق المنتجين وواجباتهم[1].فيما يلي:[2]

سنتناول بالدراسة أهم ما ورد من نصوص وأحكام على العقار الفلاحي قبل صدور القانون 19/87

المطلب الأول : الفترة: الممتدة مابين 1962- 1968 (مرحلة التسيير الذاتي)

لم يكن سهلا على السلطة الوطنية غداة حصولها على الإستقلال إعلان القطيعة المطلقة والجذرية مع النظام العقاري الإستعماري، ولو أنه يتعارض مع المرجعيات الأساسية للثورة، حيث إكتفت في بداية الأمر بتمديد سريان التشريع [3]الفرنسي إلى ما بعد الإستقلال ما لم يتعارض مع السيادة الوطنية بمقتضى القانون 166/62 المؤرخ في 1962/07/31.[4]

[1] الجريدة الرسمية عدد 50 لسنة 1987.

2

3

[4] الجريدة الرسمية عدد 138 سنة 1962 (النسخة الفرنسية)

إلا أن التصاق مبدأ السيادة بالأرض جعل من عملية التمديد أمرا غير ممكن وهو ما تمسكت به قيادة الثورة إبان مفاوضات ايفيان والتي نصت على حق الدولة الجزائرية في تأميم الأراضي المملوكة للبورجوازية الأجنبية[5]

أصبح هذا الحق سند الدولة في البحث عن معالجة شاملة لأزمة العقار الفلاحي الموروثة عن عهد الإستعمار، فسرعان ما اعترفت الدولة بأولى الأساليب المقترحة لمعالجة هذه الأزمة وهي أسلوب التسيير الذاتي الذي اعتبره الأستاذ عجة الجيلالي حلا عفويا لأزمة العقار الفلاحي في الجزائر[6].

غير أن هذا الحل وحسب الأستاذ عجة الجيلالي دائما ورغم اكتسابه للشرعية إلا أنه لم يرض طموحات السلطة المتجهة صوب دولنة كلية للعقار الفلاحي.

ولقد كان إستغلال وتسيير هذه الأراضي من طرف العمال بالتدرج فقد كان أول نص يتعلق بإستغلال الأراضي هو المرسوم رقم 95/63 المؤرخ: 1963/03/22 المتضمن تنظيم الإستغلالات الفلاحية الشاغرة [7].

ونظرا لإنعدام إنتخابات حرة لتعيين هيئات التوجيه والإدارة أصبح التسيير يجري بشكل شبه مباشر من قبل الإدارة المركزية، الشيء الذي جعل المنتجين مجرد إجراء، وأدى هذا الأمر إلى إختلاط عوامل الإنتاج واختلاط التمويل والتسويق وهيمنة البيروقراطية التي جعلت هذا الأسلوب من التسيير عديم الفاعلية من الناحية الإقتصادية والإجتماعية [8].

---

[5] عمر صدوق، تطور تنظيم القانوني للقطاع الزراعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 03.

[6] عجة الجيلالي، أزمة العقار الفلاحي ومقترحات تسويتها، من تأميم الملك الخاص إلى خوصصة الملك العام، دار الخلدونية، 2005، ص 28.

[7] جريدة رسمية عدد 17 الصادرة بتاريخ: 1963/03/29 (نسخة الفرنسية)

[8] بن رقية بن يوسف ،شرح قانون المستثمرات الفلاحية، الديوان الوطني للأشغال التربوية، الطبعة الأولى، 2001، ص 09.

وبنهاية سنة 1968 عرف نظام التسيير الذاتي مرحلة جديدة وذلك إثر صدور الأمر 653/68 المؤرخ في: 1968/12/30 المتضمن التسيير الذاتي في الفلاحة[9]،فكان أول نص متعلق بحق الإنتفاع خاص بإستغلال الأراضي التابعة للأملاك الوطنية، ولقد منح هذا القانون لمجموعة العمال متى توفرت فيهم الشروط المحددة في هذا الأمر حق إنتفاع غير محدد المدة على كل الإستغلالات الفلاحية دون مقابل، لكنه غير قابل للنقل أو التنازل أو الحجز.[10]

حيث نصت المادة 02 من الأمر على أنه : «تمنح الدولة الإستغلالات الفلاحية المسيرة ذاتيا إلى مجموعة العمال للإنتفاع بها لمدة غير محدودة، والإستفادة من جزء من ثمارها ومنتجاتها حسب أعمالهم» ،كما نصت المادة 05 من نفس الأمر على أنه: «لا يجوز التصرف في الأراضي ومباني الإستغلالات الفلاحية المسيرة ذاتيا، أو امتلاكها بالتقادم أو إيجارها، كما لا يجوز إستغلالها إلا بصفة جماعية» في حين نصت المادة السادسة من نفس الأمر على أنه: «لا يجوز حجز الأموال المنقولة والعقارية التابعة للإستغلالالفلاحي المسير ذاتيا».

وباستقراء المواد السالفة الذكر يتبين أن الأمر قد جعل من العمال منتجين ومسؤولين، إذ منح لهم هذه الأراضي بدون مقابل ولمدة غير محددة ولكن بالمقابل لا يجوز لهم التصرف في هذه الأراضي أو امتلاكها بالتقادم أو إيجارها أو الحجز عليها ولا يجوز الاستغلال إلا بصفة جماعية.

المطلب الثاني :مرحلة قانون الثورة الزراعية:

سعت الإدارة السياسية في الجزائر منذ الإستقلال إلى بناء الإشتراكية التي لا يمكن أن تقوم إلا بسيطرة الدولة وتملكها لوسائل الإنتاج، حيث إكتفت في البداية بإدماج الأراضي الشاغرة ضمن تراثها العقاري وفي نفس الوقت إعتبرت الأراضي المستغلة من

[9] جريدة رسمية عدد 15 بتاريخ: 1969/02/15 .

[10] انظر المواد 02 إلى 06 من الأمر 653/68

طرف المزارع المسيرة ذاتيا ملك للدولة، بعدها إتجهت إلى توسيع التراث العقاري المملوك لها على حساب القطاع الخاص الوطني، وهذا الأمر تطلب التفكير في تغيير شامل لنمط إستغلال العقار الفلاحي وهذا حسبها لم يكن ممكنا إلا بالإعلان عن ثورة زراعية تستمد جذورها وأسسها النظرية من ثورة أول نوفمبر[11].

وقد صدر الأمر 73/71 المؤرخ في: 1971/11/08 المتعلق بالثورة الزراعية[12] ،التي كانت تهدف إلى التوزيع العادل والفعال لوسائل الإنتاج، وأول هذه الوسائل الأراضي الفلاحية.[13]

واهتم هذا القانون بمسألة تحديد كيفيات الإستغلالالفلاحي، حيث حدد ميثاق الثورة الزراعية طرقا للإستغلال تنحصر في ثلاث طرق واضحة التعيين وهي:- التسيير الذاتي- النظام التعاوني- الاستغلال الخاص.

الملاحظ على هذه الطرق أنها ليست جديدة إذ سبق وأن استعملت ذات الطرق قبل الإعلان عن الثورة الزراعية، إلا أنها جلبت أفكارا جديدة بشأن تنظيم هذه الطرق تتمثل فيما يلي:

- احتفاظ الثورة الزراعية بنظام التسيير الذاتي مع الميل إلى منح الاستقلالية الأكبر لهذا النظام.

- تكريس النظام التعاوني كمنهج محبذ للمستفيدين من الثورة الزراعية.

- ضبط الاستغلال الخاص[14].

---

[11] عجة الجيلالي، ، مرجع سابق، ص40.

[12] جريدة رسمية عدد 97 الصادرة بتاريخ: 1971/11/30

[13] أحمد صالح علي، عقد الامتياز الفلاحي، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية الاقتصادية والسياسية، عدد خاص، الملكية والقانون، 2012جامعة الجزائر، كلية الحقوق ، ص158.

[14] عجة الجيلالي، ، مرجع سابق، ص 65.

حددت المادة 13منالأمر 73/71 المتعلق بالثورة الزراعية نطاق تطبيقه على الأراضي المعدة للزراعة مهما كان النظام القانونيالذي تنتمي إليه مثلاالأراضي المؤممة أو أراضي العرش أو الأراضي التابعة للدولة [15].

كما حددت المادة 112 من نفس الأمر نمط إستغلال هذه الأراضي وذلك بصفة مشتركة وبشكل جماعي في نطاق المجموعات التعاونية التي تتكون من المستحقين أنفسهم، غير أن الفقرة الثانية من نفس المادة رخصت إمكانية الاستغلال بصفة فردية، وذلك في حالة عدم توفر الشروط اللازمة للاستغلال الجماعي بصفة كاملة، ويعتبر هذا إستثناء، لأن القاعدة العامة أن الإستغلال جماعي[16].

تمنح هذه الأراضي بموجب عقود جماعية أو فردية، غير أن المشرع قد نص في المادة 243 من الأمر 73/71 على طريقة أخرى للمنح تتمثل في قرار من طرف الوالي، ولم يشر الأمر (المشرع) إلى سبب طرح هذين الأسلوبين، المنح عن طريق العقد والمنح بموجب قرار من الوالي.

ويرى الدكتور بن رقية بن يوسف أن المشرع قد أضاف أسلوب التعاقد وذلك من أجل ضمان أكثر وأقوى بالنسبة للمستحقين، أو جعل العلاقة أكثر مرونة، وذلك لأن قرار المنح يعتبر قرار إداريا يسمح للإدارة الحق في سحبه أو الغائه أو تعديله[17].

الفرع الأول :شروط عقد المنح

إن عملية توزيع الأراضي لا يمكن أن تكون بشكل عاطفي أو عشوائي بل يجب أن تمنح الأرض لمن كان مصيره مرتبطا بها ولذلك حددت المادة 119 من الأمر 73/71 المتعلق بالثورة الزراعية شروط معينة لمنح الأرض.

---

[15] انظر المادة 13 من الأمر 73/71.

[16] انظر المادة 03/112 من الأمر 73/71.

[17] بن رقية بن يوسف، مرجع سابق، ص121.

لعل أهم شرط كان الجنسية الجزائرية، امتهان حرفة الفلاح، أن لا يكون عضوا في تعاونية قدماء المجاهدين، أن لا يكون مستفيدا من نظام التسيير الذاتي في الفلاحة عند توافر هذه الشروط يبرم عقد المنح وتترتب على كاهل المتعاقدين حقوق والتزامات.

الفرع الثاني :الآثار المترتبة من عقد المنح.

الحقوق: بتوفر الشروط السابقة يصبح للمستفيد حق انتفاع دائم، قابل للنقل إلى فرع الذكور دون الإناث، أما إذ لم يكن للمستحق ذكور على عمود النسب فإن الأرض المعنية تكون موضوع منح جديد طبقا لأحكام الأمر 73/71.[18]

الالتزامات: تقع على المستفيد جملة من الالتزامات والأعباء تتمثل في:

- الإقامة في القطعة الأرضية بصفة شخصية، أو في مكان يسمح له باستغلال قطعة الأرض الممنوحة له.

- الإنضمام إلى التعاونية.

وفي حالة عدم التقيد بهذه الإلتزامات المنصوص عليها في المادة 126 من الأمر 73/71 فإن المستفيد يفقد حقه في الاستفادة والجهة المخولة لإسقاط هذا الحق هي المحكمة العادية[19].

يرى الدكتور بن رقية أن الهدف من إحالة النزاعات في مثل هذه الحالات إلى المحكمة العادية دون الغرف الإدارية بالمجالس القضائية هو تقريب العدالة من المتقاضين، كما أن الدولة تريد أن تجعل نفسها على قدم المساواة مع المستفيدين لأنه لو كانت هذه النزاعات حسب رأيه من اختصاص الغرف الإدارية لكانت الدولة في مركز قوة.

---

[18] بن رقية بن يوسف، مرجع سابق ، ص122

[19] انظر نص المادة 44 من المرسوم التنفيذي 109/72 المؤرخ في: 1972/06/07 المتضمن نماذج عقد المنح الخاص بالثورة الزراعية، جريدة رسمية عدد 51 بتاريخ: 1972/06/27.

المبحث الثاني :كيفية استغلال العقار الفلاحي وفقا لقانون المستثمرات الفلاحية 19/87

تعتبر مرحلة الثمانينات بداية التحول التدريجي من النظام الاشتراكي إلى النظام الرأسمالي كونها العشرية التي أصدر فيها المشرع عدة قوانين تهدف إلى إصلاحات اقتصادية شاملة، ونجد القطاع الفلاحي قد أعطي له اهتمام كبير من جانب الحكومة بدءا بتحسين الاستغلالات الزراعية عن طريق إعادة هيكلة القطاع الفلاحي [20] بموجب القانون 19/87 المؤرخ في: 1987/12/08 المتضمن ضبط كيفية استقلال الأراضي الفلاحية التابعة للأملاك الوطنية وتحديد حقوق المنتجين وواجباتهم.[21]

حيث اختار المشرع نظام المستثمرات الفلاحية كنمط جديد لتسيير واستغلال الأراضي الفلاحية التابعة للأملاك الوطنية الخاصة، وذلك باعتبار المستثمرة الفلاحية هي الآلية الجديدة المستحدثة بموجب هذا القانون[22].

إن التطرق لمضمون أو محتوى القانون 19/87 يتطلب منا البحث عن الأهداف والأسباب الخاصة التي أدت إلى إصداره والتي يمكن استخلاصها من نص المادة 01 منه وهي:

- تحديد قواعد استغلال الأراضي الفلاحية المحددة بموجب المادة 19 من القانون 16/84 المؤرخ في: 1984/07/30 والمتضمن الأملاك الوطنية .

- ضمان استغلال الأراضي الفلاحية استغلالا أمثل.

- رفع الإنتاجية من أجل تلبية الحاجيات الغذائية للسكان واحتياجات الاقتصاد.

---

[20] لنقار بركاهم سمية، المنازعات العقارية المطروحة على الأراضي الفلاحية في مجال الملكية والتسيير، ماجستير في القانون العقاري الزراعي جامعة سعد دحلب، البليدة، 2000- 2001، ص15.

[21] جريدة رسمية عدد 50

[22] انظر نص المادة 01 من القانون 19/87 .

- تمكين المنتجين من ممارسة مسؤوليتهم في استغلال الأراضي مع ضمان الاستقلالية الفعلية للمستثمرات.

- إقامة علاقة خاصة بين دخل المنتجين الفلاحيين وحاصل الإنتاج.

- إقامة نظام لامركزي لتمويل عملية التنمية الفلاحية وضمان الاستغلال الفعلي للمستثمرات الفلاحية.

وبتفحص نصوص هذا القانون نجد أن إعادة هيكلة القطاع الفلاحي التي تمت بموجبه لم تأت بالجديد فيما يخص الملكية عما كانت عليه سابقا، فإعادة النظر كانت في كيفية الاستغلال، حيث تم تقسيم المزارع الفلاحية النموذجية إلى مستثمرات فلاحية جماعية وفردية حسب الحالة.[23]

استحدث المشرع ضمن هذا القانون مصطلح «مستثمرة» بعد أن كانت تسمى سابقا إستغلالات أو تعاونيات وبالتالي الأمر يستدعي هنا تعريف المستثمرة.

يعرف الإستثمارالفلاحي على أنه:«كل مجهود هادف سواء من طرف شخص عمومي أو خاص من أجل تحقيق ربح مالي في القطاع الفلاحي، وقد نجد هنالك استثمارا لا يهدف إلى المال مباشرة بل يحقق منفعة عامة وهو ما يعرف بالاستثمار المستقبل»

بالرجوع إلى القانون 19/87 ورغم أنه من استحدث مصطلح مستثمرة إلا أننا لا نجد تعريفا للمستثمرات الفلاحية ضمنه ومن محاولات التعريف لها نجد:«هي مصطلح اقتصادي تعني وحدة ترابية مسيرة ومستغلة طيلة السنة من طرف شخص أو عدة أشخاص تنظم وسائل الإنتاج، وذلك لخدمة الإنتاج الفلاحي قانونا، تكون ملكا للشخص الذي يستغلها»[24].

[23] بوصيعات سوسن، الطبيعة القانونية لحق المستفيد من المستثمرات الفلاحية، ماجستير في الحقوق، جامعة متنوري، قسنطينة، 2006-2007، ص40.

[24] بوصبيعات سوسن، مرجع سابق، ص42.

يمكن حصر مجال تطبيق هذا النظام في أراضي البلديات والعرش والأراضي التي كانت خاضعة لنظام التسيير الذاتي في الفلاحة، والأراضي التي لا وارث لها ولا مالك لها، والأراضي المؤممة والمتبرع بها للصندوق الوطني للثورة الزراعية التي لم يطالب بها أصحابها في الآجال المحددة في المادة 81 من الأمر 26/95 المعدل والمتمم لقانون التوجيه العقاري، بالإضافة إلى الأراضي التي وضعت تحت حماية الدولة والتي لم يتم المطالبة بها من قبل أصحابها، أو لم تتوفر فيهم الشروط المنصوص عليها في المادة 85 مكرر 1 من الأمر 26/95.[25]

المطلب الأول :شروط تكوين المستثمرة:

سوف نتطرق إلى الشروط المتعلقة بالمستفيد وكذا الشروط المتعلقة بعقد المنح.

الفرع الاول :الشروط الخاصة بالمستفيد:

لقد حددت المادتين 09و10 من القانون 19/87 الشروط الواجب توفرها في المستفيد وهي:

- أن يكون شخصا طبيعيا يتمتع بالجنسية الجزائرية ولم يكن له موقف معادي للثورة التحريرية.

- أن يكون بالغا عاقلا غير محجوز عليه وقادر على الاشتغال في الفلاحة، ولا يملك أرضا خاصة وليس عضوا في مستثمرة أخرى.

- أن يكون عاملا دائما في القطاع ألفلاحي أو حائز على شهادة تكوين في الفلاحة، ويمكن إضافة العمال الموسميين إذ توفرت أراضي لذلك.

وفي كل الحالات تعطى الأولوية للمجاهدين وذوي الحقوق.

---

[25] الأراضي المستثناة من تطبيق القانون 19/87 حسب المادة 04 منه هي:
- المزارع النموذجية
- مؤسسات التكوين والبحث.
- معاهد التنمية.

كان الهدف من هذه الشروط هو أن الدولة لا تمنح الأرض إلا لمن تتوفر فيه شروط استغلالها استغلالا أمثل والحفاظ على وجهتها الفلاحية.[26]

الفرع الثاني :الشروط المتعلقة بموضوع العقد:

يقصد بها جملة الشروط التي يتحقق بها الوجود القانوني للمستثمرة، شروط عقد المنح المنشئ للمستثمرة الفلاحية حددها المرسوم التنفيذي 90/ 50[27]المؤرخ في:1990/02/06 المحدد لشروط إعداد العقد كما نص المنشور الوزاري رقم 120 المؤرخ في: 1990/03/07 على جملة الشروط التي ينبغي توافرها قبل البدء في إجراءات عقد المنح وهي:

-صدور قرارات الاستفادة النهائية من الولاة والمحددة لمكونات الأساس العقاري الممنوح لكل مستثمرة، والمعينة للمستفيدين بصفة جماعية أو فردية، والتي تعني أن تطهير المستثمرات وفقا لما ينص عليه قانون 19/87 قد تم فعلا، كما تعني عدم وجود منازعات لم تحل بعد فيما يتعلق بملكية الأراضي الممنوحة[28].

- تصفية الطعون المتعلقة بالممتلكات المتنازل عنها والمقدمة إلى اللجان الخاصة المشكلة لهذا الغرض.

- إبرام اتفاقية متعلقة بتسديد مبلغ الممتلكات المحولة بين بنك الفلاحة والتنمية الريفية والفلاحين.[29]

- يتعين على المستثمرات الجماعية تعيين ممثل لهم في العقد بموجب وكالة.

- على المستفيدين تقديم وثائق الحالة المدنية المثبتة لهويتهم وجنسيتهم.

---

[26]ليلى زروقي، حمدي باشا عمر، المنازعات العقارية، دار هومة، الطبعة الثالثة عشرة 2011، ص115.

[27]جريدة رسمية عدد 16 لسنة 1990.

[28]بوصبيعات سوسن، مرجع سابق، ص66.

[29]في حالة رفض البنك تسليم الاتفاقية بسبب التطهير العقاري، فإن بطاقة التقييم المعدة من طرف مديرية أملاك الدولة كافية لتكوين الملف الخاص لإعداد العقد الإداري، وقد صدرت عدة تعليمات تطلب من البنك عدم الربط بين تسليم الاتفاقية بتصفية حساب المستثمرة الفلاحية.

المطلب الثاني : أركان عقد المستثمرة

أما عن أركان عقد المنح فهي الأركان العامة التي يجب توافراها في أي عقد كان وهي: الرضا، المحل، السبب، بالإضافة إلى الشكلية باعتبار العقد متعلق بعقار.

الفرع الأول :الرضا:

يتم الرضا بمجرد أن يتبادل الطرفين: الدولة والمجموعة التعبير عن إرادتهما حول استغلال الأراضي الفلاحية جماعيا وعلى الشيوع وعدم تحويل وجهتها الفلاحية واستغلالها استغلالا أمثل.

يتكون التراضي من الإيجاب الذي يصدره الوالي في شكل قرار إداري يتضمن تخصيص قطعة أرض جماعية والقبول الذي تقدمه الجماعة في شكل عقد تصريحي، حيث تكون المستثمرة الفلاحية الجماعية ممثلة بوكيلها المعين عن طريق وكالة خاصة، لأن الوكيل هنا لا يقوم بأعمال الإدارة فقط، بل يقوم بأعمال التصرف وفقا لنص المادة 574 ق م ج، أو المستفيد نفسه في المستثمرة الفلاحية الفردية [30]، أما الدولة فتكون ممثلة من طرف مديرية أملاك الدولة المختصة إقليميا بعدما كانت الدولة ممثلة من طرف الوالي وذلك بعد صدور القانون 30/90 المتضمن قانون الأملاك الوطنية.[31]

حيث يتم إعداد العقد مع التأكد من فهم المستفيد في المستثمرة الفردية أو ممثل المجموعة في المستثمرة الجماعية للأعباء والشروط وقبولها.[32]

الفرع الثاني : المحل:

إن لهذا العقد محلان، أولهما حق الانتفاع الدائم الذي يمارس على الأرض الممنوحة، وثانيهما الممتلكات المكونة لذمة المستثمرة المتنازل عنها إن وجدت، فالمادة 02/02 من المرسوم 50/90 المتعلق بإعداد العقد الإداري تنص على ما يلي: «وهذا

[30] بوصبيعات سوسن، مرجع سابق، ص68.

[31] انظر المادة 120 من القانون 30/90 المتعلق بالأملاك الوطنية المعدل والمتمم

[32] هذا معناه أن هذا العقد عقد إذعان وفقا لنص المادة 70 من القانون المدني.

العقد الذي تعده الإدارة المكلفة بأملاك الدولة يحدد الأساس العقاري الذي يمارس عليه حق الانتفاع الدائم الممنوح للمنتجين المهنيين في إطار القانون 19/87 وكذلك قوام الأملاك المتنازل عنها لهم على سبيل التمليك ومبلغها.....»

تحدد المساحة التي يمارس عليها حق الانتفاع الدائم على أساس عدد المنتجين الذين تتألف منهم الجماعة وقدرتهم على العمل وعلى نوعية الأرض.[33]

بعدها يقوم تقني راسم للحدود تحت قيادة اللجنة التقنية المحلية برسم الحدود في الميدان ويترتب على ذلك إعداد مخطط وتصميم مساحة المستثمرة[34].

تكون هذه العمليات موضوع إشهار على مستوى البلدية التي توجد بها المزرعة والبلديات المجاورة قصد إعلام المعنيين بسير الأشغال وتاريخها، وفي حالة وقوع نزاع على موقع الحدود أو المطالبة بأية قطعة أرض وتم رفع الأمر إلى القضاء، فإن الوزير المكلف بالمالية هو الوحيد الذي يكون طرفا في الخصام.[35]

كما تقوم اللجنة الداخلية لإعادة التنظيم بتخصيص المعدات والأدوات والمباني والمنشآت والمواشي على أساس جرد المزرعة التي تضبط مسبقا ويوافق عليها الرئيس والمسير.

تباع هذه الممتلكات على الشيوع وبالتساوي للجماعات المكونة من المنتجين، أما وسائل الإنتاج التي لا يمكن توزيعها لعدم كفايتها أو لاستحالة التوزيع كالبئر مثلا فإنها تستعمل استعمالا مشتركا. [36]

---

[33] تصنف الأراضي الفلاحية حسب نص المادة 05 من القانون 25/90 المتضمن التوجيه العقاري إلى اراضي خصبة، متوسطة الخصوصية، ضعيفة الخصب.

[34] بن رقية بن يوسف، ، مرجع سابق، 134.

[35] لأنه الشخص الوحيد الذي يقع على عاتقه تمثيل الدولة في مثل هذه القضايا طبقا لنص المادة 125 من القانون 30/90 والمادة 04/183 من المرسوم 454/91 المؤرخ في: 1991/11/13 المحدد لشروط إدراء الأملاك الخاصة و العامة للدولة وكيفية تسييرها.

[36] بن رقية بن يوسف، مرجع سابق، ص135.

يمنح حق الانتفاع الدائم مقابل دفع إتاوة سنوية، يحدد وعاؤها وكيفية تحصيلها وتخصيصها قانون المالية.[37]والإتاوة محددة كذلك بالمادة 80 من قانون المالية لسنة 1989 المعدل والمتمم بالمادة 119 من قانون المالية لسنة 1994.

يكون مبلغ الإتاوة زهيدا بغية دفع المستفيدين إلى خدمة الأرض، يتم تسديدها نقدا، كما أن عدم دفعها قد يؤدي إلى إسقاط حق الانتفاع[38].

أماثمن الممتلكات المتنازل عنها يحدد من طرف إدارة أملاك الدولة.

الفرع الثالث : السبب

في ركن السبب نعود للقواعد العامة في نظرية السبب في العقد

الفرع الرابع :الشكلية:

بإعتبار أن عقد المنح هو حق عيني عقاري طبقا المادة 08 م القانون 19/87 فيجب إفراغه في شكل رسمي عملا بالمادة 324 مكرر 1 من القانون المدني.

جاءت المادة 02/02 من المرسوم التنفيذي 50/90 المؤرخ في: 1990/02/06 المتعلق بإعداد العقد الإداري لتبين الجهة التي تعد العقد ألا وهي المفتش الفرعي لشؤون أملاك الدولة والشؤون العقارية.[39] الذي يحرره في نسخة رسمية ونسختين أخرتين تخصص

---

[37]انظر نص المادة 02/06 من القانون 19/87.

[38]طالبت المديرية العامة للأملاك الوطنية من مدراء أملاك الدولة بكل الولايات الشروع في رفع دعاوى قضائية من أجل الحصول على إلغاء العقد المكرس للحقوق العقارية الممنوحة لصالح المستغلين الفلاحيين الذين يرفضون دفع الإتاوة الموضوعة على عاتقهم في حالة عدم جدوى إجراءات الإشعار للغير الحائز، فحسب المديرية العامة ومع الإلحاح على تحصيل مستحقات الخزينة إلا أن التحصيل لم يتم وهذه الوضعية مضرة كثيرا بالخزينة العمومية وعليه يجب اللجوء إلى العدالة من أجل الحصول على إلغاء العقد المكرس للحقوق العقارية الممنوحة للمستقلين الذين يرفضون دفع الإتاوة
* راجع المذكرة رقم 3716 المؤرخة في 2003/07/08 الصادرة عن المديرية العامة للأملاك الوطنية

[39]تم تغيير التسمية حاليا إلى مديرية أملاك الدولة.

إحداهما للاشهاار والحفظ العقاري والثانية للمستثمرة الفلاحية المعنية بعد أن تستوفى إجراءات التسجيل والشهر العقاري.[40]

كما يتم تسليم نسخة إلى المصلحة الولائية المكلفة بالفلاحة لحفظها وتعفى من الحقوق ورسوم التسجيل والإشهار العقاري.[41]

إذ لم يتم احترام هذا الإجراء فإن الملكية لا تنتقل سواء بين المتعاقدين أو في حق الغير طبقا للمادة 793 ق م ج.

إذ اختلت أحد الشروط المذكورة سابقا فإن العقد الإداري يكون باطلا ويجوز لكل ذي مصلحة أن يتمسك بهذا البطلان، كما يجوز للمحكمة أن تقضي به من تلقاء نفسها[42]، كما يعود المتعاقدان إلى الحالة التي كانا عليها قبل التعاقد وفقا لمبدأ الأثر الرجعي.

المطلب الثاني :الطبيعة القانونية لعقد المنح:

سوف نحاول هنا التعرف على الطبيعة القانونية لعقد المنح، هل هو عقد بيع أو عقد إيجار أم ماذا؟

الفرع الأول :عقد المنح هو عقد بيع:

بالرجوع إلى نص المادة 07 من القانون 19/87 والمادة 01 من نموذج العقد نجد أن العقد يتضمن التنازل عن الممتلكات المكونة لذمة المستثمرة فهو عقد بيع تنتقل ملكية الشيء المباع إلى المستفيدين على الشيوع وبحصص متساوية.

أما العقد الذي يتضمن منح حق الانتفاع لا يعد بيعا لأنه من بين أهم خصائص عقد البيع أنه ناقل للملكية، وعند انتقالها إلى المشتري تصبح له سلطة مباشرة عليها، فإذا اشترى شخص مثلا قطعة أرض صالحة للزراعة فله الحق في أن يتصرف فيها أو يستغلها أو يؤجرها ولا يترتب على عاتقه أي التزام.

---

[40] انظر نص المادة 02 من المرسوم 50/90.

[41] انظر المادتين 5 و6 من قانون المالية لسنة 1989.

[42] انظر المادة 102 من ق م ج

هذه المميزات لا تجدها متوفرة في عقد المنح، فالدولة لم تتنازل عن كافة عناصر ملكية الأرض بل منحت حق انتفاع بصفة دائمة واحتفظت بملكية الرقبة.[43]

حتى وإن اعتبرنا حق الانتفاع أصبح ملكا للمستفيدين وذلك لما يتمتع به من مميزات، كالحق في التنازل والنقل والحجز، إلا أنه قد اقترن بشروط مثل عدم إيجار الأرض أو تحويلها عن طابعها الفلاحي وفقا لنص المادة 04 من المرسوم 51/90.

بالإضافة إلى ذلك فإن المشرع لم يتطرق إلى عنصر الثمن بل نص على الإتاوة في نص المادة 06 من القانون 19/87، فلو كان العقد عقد بيع لما وضعت الدولة شروطا في كيفية استغلال الأرض وعليه فإن عقد المنح ليس عقد بيع.

الفرع الثاني :عقد المنح هو عقد إيجار:

يعتبر عقد الإيجار من عقود الإدارة لا من عقود التصرف، ومن أهم مميزاته أنه مؤقت ولا يرتب حقا عينيا على الشيء المؤجر بل ينشئ في جانب كل طرف حقا شخصيا.

بالرجوع إلى نصوص القانون 19/87 نجد اختلافا جوهريا بين هذين التصرفين، إذ أن العقد الإداري عقد المنح هو عقد مؤبد يرتب حقا عينيا عقاريا، ويدفع مقابلا لذلك إتاوة زهيدة فهذا العقد ليس عقد إيجار عادي بل هو عقد إيجار خاص يمكن تسميته بالإيجار المؤبد أو ما يسمى le bail emphytéotique.

الخلاصة هي أن الطبيعة القانونية لعقد المنح أنه إيجار مؤبد يختلف هذا العقد عن حق الانتفاع المنصوص عليه في القانون المدني من حيث:

- لافيتيوز يكون دائما مالا عقاريا لأنه يقع على عقار، أما حق الانتفاع فإنه يرد على عقار ومنقول[44].

- الحق الناتج عن عقد لافيتيوز ينتقل إلى الورثة بينما حق الانتفاع ينتهي بموت المنتفع.[45]

---

[43] انظر نص المادة 01/06 من القانون 19/87 وكذلك نص المادة 87 من نفس القانون

[44] انظر نص المادة 851 ق.م.ج.

[45] انظر نص المادة 852 ق.م.ج.

- لافيتيوز ينشأ دائما بعقد بينما حق الانتفاع قد ينشأ لأسباب أخرى.[46]

- لافيتيوز يكون دائما بعوض بينما حق الانتفاع قد يكون بدون عوض .

وعليه يمكن القول أن عقد المنح المنصوص عليه في المادة 12 من القانون 19/87 يتضمن عقدين، أولهما عقد بيع بالنسبة للأموال المتنازل عنها بصفة مطلقة، وثانيهما عقد إيجار مؤبدا ولافيتيوز على الأراضي، إذ أن الدولة منحت حق الانتفاع للمستفيدين الذين تتوفر فيهم الشروط المنصوص عليها في المادة 10 من القانون 19/87 بصفة مؤبدة مقابل أجرة زهيدة تدفع كل سنة.

حق الانتفاع هذا هو عيني عقاري قابل للتنازل والنقل والحجز عليه، وبهذا يكون قانون 19/87 قد أقر ملكيتين على الأراضي الفلاحية التابعة للأملاك الوطنية الخاصة، أولهما ملكية الرقبة للدولة وثانيهما ملكية حق الانتفاع للمستفيدين. والهدف من كل هذا هو المحافظة على الطابع الفلاحي للأراضي الفلاحية.[47]

المطلب الثالث :الآثار المترتبة عن العقد الإداري: عقد المنح:

عندما يتسلم المستفيدون من العقود الإدارية عقودهم وفقا للشروط التي تم إيضاحها فيما سبق تترتب حقوق والتزامات على عاتق كل من المستفيدين والدولة نتعرض لها فيما يلي:

الفرع الأول :حقوق المستفيدين والدولة:

لكل من الدولة و المستفيدين حقوق ناتجة عن عقد المنح نتناولها تباعا

[46] انظر نص المادة 844 ق.م.ج.

[47] بن رقية بن يوسف، مرجع سابق، ص153.

أولا :حقوق المستفيدين:

إن أهم حق يترتب على عقد المنح هو حق الانتفاع الدائم، فالدولة كما سبق بيانه لم تتنازل عن كافة عناصر الملكية بل احتفظت لنفسها بحق التصرف وهو ما يعرف بملكية الرقبة.

- **حق الانتفاع الدائم:** يمنح هذا الحق على مجمل الأراضي التي تتكون منها المستثمرات وعلى الشيوع وبحصص متساوية في حالة الاستغلال الجماعي، وهي حصص قابلة للنقل والتنازل والحجز.[48]

- **الحق في إنشاء منشأة أساسية أو بناء:**

لا يمكن إنجاز أية منشأة أساسية أو بنايات داخل المستثمرات الفلاحية الواقعة في أراضي خصبة جدا[49] إلا بعد الحصول على رخصة تسلم حسب الأشكال والشروط التي تحددها الأحكام التشريعية المتعلقة بالتعمير وحق البناء.[50]

أما فيما يخص البنايات ذات الاستعمال السكني في الأراضي الخصبة جدا أو الخصبة فإنها تبقى خاضعة لرخصة صريحة تسلم وفقا للأشكال والشروط التي تحددها الأحكام التشريعية المتعلقة بالتعمير والبناء، ولا تسلم إلا للملاك أو الحائزين أو الشاغلين الذين يبادرون بذلك في نطاق الإحتياجات الذاتية.[51]

كما أقرت المادة 48 من القانون 29/90 المتعلق بالتهيئة والتعمير بأن حقوق البناء على الأراضي ذات المردود الفلاحي العالي والجيد كما يحددها التشريع الساري المفعول

---

[48] ليلى زروقي، حمدي باشا عمر، مرجع سابق، ص113.

[49] انظر نص المادة 33 من قانون التوجيه العقاري.

[50] انظر نص المادة 34 من قانون التوجيه العقاري.

[51] انظر المادة 35 من القانون 25/90 المتعلق بالتوجيه العقاري.

تنحصر في البناءات الضرورية الحيوية للمستثمرات الفلاحية والبناءات ذات المنفعة العمومية[52].

يلاحظ أن القانون 19/87 وكذا القانون 29/90 لا يسمحان بالبناء على الأراضي الفلاحية ماعدا المستودعات والمباني لتربية المواشي ومخازن العلف وغيرها من المباني ذات الاستعمال الزراعي، بينما قانون 25/90 يسمح بالبنايات ذات الاستعمال السكني على الأراضي لصالح المنتجين الفلاحيين.

وصدر في هذا الإطار القرار الوزاري رقم 105/sm المؤرخ في: 1992/03/22 يتعلق بحقوق البناء على الأراضي المتواجدة خارج النطاق العمراني للبلديات، وينظم بناء منشآت التجهيز وسكنات المنتجين ، فالأولى يجب أن لا تتجاوز 50/1 من المساحة الإجمالية للمستثمرة عندما تكون هذه الأخيرة أقل من 54 هكتار، والثانية يجب أن لا تتجاوز 250/1 من المساحة الإجمالية عند ما تكون هذه الأخيرة أقل من 05 هكتارات.[53]

- حق الاستفادة من القروض:

إن الدولة واستنادا إلى القانون 19/87 قد أحدثت مشروعا جديدا يتمثل في سياسة الدعم الفلاحي، والذي تقدم من خلاله الدولة إلى المستثمرات الفلاحية العون والدعم الكفيل بتنمية نشاط المستثمرة ورفع مستوى الإنتاج وهذا بتقديم السيولة المالية اللازمة لكل مستثمرة فلاحية تقدم طلبا.

ثانيا : حقوق الدولة:

تتمتع الدولة ببعض الحقوق فيما يخص المستثمرات الفلاحية تتمثل في حق الشفعة، حق الرقابة، الحق في التجريد من الحقوق، نتعرض إليها تباعا فيما يلي:

---

[52] نصت المادة على مصطلح الاستغلالات الفلاحية الذي ورد في قانون التسيير الذاتي للفلاحة سابقا عوض المصطلح الجديد للمستثمرات الفلاحية، ولمزيد من التفاصيل حول التمييز بين مصطلح المستثمرة الفلاحية ومصطلح التعاونية راجع، عجة الجيلالي أزمة العقار الفلاحي ومقترحات تسويتها من تأميم لذلك الخاص إلى خوصصة الملك العام، مرجع سابق ص 180.

[53] سوسن صبيعات، مرجع سابق، ص124.

حق الشفعة:

تعرف الشفعة على أنها رخصة تجيز الحلول محل المشتري في بيع العقار وفقا لنص المادة 794 ق م ج.

ويدخل في مدلول العقار كل حق عيني يقع على العقار كحق الانتفاع وفقا لنص المادة 684 ق.م.ج.

فالشفعة تعد قيدا على حرية التصرف، فتؤدي إلى حلول الشفيع محل المشتري في ملكية المبيع ولو جبرا عنه.

في هذه الحالة للدولة الحق في ممارسة الشفعة بصفتها مالكة الرقبة وفقا لنص المادة 795 ق م ج والمادة 02/24 من القانون 19/87 التي تنص على أنه: «... يمكن للدولة في جميع الحالات أن تمارس حق الشفعة.»

كما نصت المادة 01/62 من قانون التوجيه العقاري المعدل والمتمم على أنه:«.... تمارس الهيئة العمومية المكلفة بالتنظيم العقاري حق الشفعة المنصوص عليه هي المادة 24 من القانون 19/87»

هذه الهيئة أنشأت بموجب المرسوم التنفيذي 87/96 المؤرخ في: 1996/02/24 تحت تسمية" الديوان الوطني للأراضي الفلاحية" وهو الذي يكتسب الحصة المعنية عن طريق الشفعة أو اكتسابها كاملة في حالة حلها ويتولى تسييرها.[54]

وعليه لا يمكن ممارسة حق الشفعة إلا بتوافر شرطين :

1- تنازل أحد المستفيدين من المستثمرة عن حصته.

2- وجود شفيع وهو الدولة باعتبارها مالكة لحق الرقبة .

[54] مصطفى كحال، عقد الامتياز الوارد على الأراضي الفلاحية التابعة للأملاك الخاصة للدولة، ماجستير في الحقوق، جامعة الجزائر1، كلية الحقوق، 2012-2013، ص28.

يجب هنا على الموثق المكلف بإعداد عقد التنازل إعلام مدير أملاك الدولة المختص إقليميا بهذا التنازل، وعليه تحديد أطراف العملية المعنية بدقة، بالإضافة إلى الحقوق المتنازل عنها و الثمن المتفق عليه، وعلى المدير المعني أن يبلغ الموثق خلال 30 يوما من تاريخ إعلامه بالقرار المتخذ في شأن هذه العملية بعد استشارة كل من مدير الفلاحة ومدير التعمير بالولاية، وهذا القرار إما أن يعلن فيه حق الدولة في ممارسة حق الشفعة وبالتالي حلولها محل المشتري، وإما عن موافقتها على عملية التنازل.

ولقد صدرت التعليمةالوزارية المشتركة رقم 07 المؤرخة في: 2002/07/15 التي تتعلق بالتنازل عن الحقوق العينية العقارية الممنوحة للمنتجين الفلاحيين بموجب القانون رقم 19/87 المؤرخ في: 1987/12/08 وكان هدفها توضيح الشروط العامة التي يخضع لها التنازل، كما تضبط الكيفيات العملية لتجسيد هذا التنازل حسب مختلف الحالات الممكن مواجهتها.[55]

إلا أنه تجدر الإشارة إلى إلغاء التعليمة رقم 07 بموجب التعليمة الوزارية المشتركة- مالية- فلاحة وتنمية ريفية- المؤرخة في 2005/03/03.[56]

ممارسة حق الرقابة وحق التجريد من الحقوق:

رغم أن المادة 43 من القانون 19/87 منعت على الموظفين التدخل في إدارة وتسيير المستثمرات الفلاحية لتفاديه الأخطاء التي وقعت تطبيقا لقانون الثورة الزراعية، فإن الاستقلال بالإدارة والتسيير لا يمنع الدولة بصفتها مالكة لحق الرقبة ومسؤولة على المحافظة على الوجهة الفلاحية للأراضي واستغلالها استغلالا أمثل ، نظرا لوظيفتها الاجتماعية الهامة من ممارسة الرقابة واستعمال الصلاحيات المخولة لهم قانونا.[57]

---

[55] كانت التعليمة مشتركة بين وزارتي المالية ووزارة الفلاحة والتنمية الريفية.

[56] صدرت التعليمة تنفيذا للمقرر رقم 01 المؤرخ في: 18جانفي 2005 الصادر عن رئيس الحكومة.

[57] ليلى زروقي، استغلال الأراضي الفلاحية التابعة للأملاك الوطنية، مجلة الموثق عدد 07، جويلية،ص 28.

حيث تتولى الدولة عن طريق المديريات الفلاحية بالولايات وتحت سلطة الوالي بصفته ممثلا للدولة القيام بالزيارات الميدانية والتفتيشات لمعاينة المخالفات، ورفع تقرير للوالي لاتخاذ التدابير اللازمة عند الاقتضاء والتي يمكن أن تصل إلى حد إسقاط حقوق المستفيدين وحل المستثمرة.

فمالك الرقبة له الحق في السهر على المحافظة على ملكيته فله أن يمارس التصرفات الضرورية سواء كانت مادية أو قانونية أو مادية لضمان سلامة العقار المنتفع به دون المساس بحق المنتفع[58].

كما يسمح القانون له مباشرة بعض الدعاوى لضمان سلامة العقار، وترفع في مواجهة المنتفع لضمان سلامة العقار، وفي حالة الإخلال بالتزام السلامة يمكن لمالك الرقبة مطالبته باتخاذ إجراءات تحفظية أو بإصلاح الأضرار أو إنهاء حق الانتفاع لسوء استعمال العقار.[59]

ويعتبر الحد الأدنى في المستثمرات الفلاحية الجماعية هو ثلاثة أعضاء[60]، وإن حصل وانسحب أحد أعضائها الثلاثة صارت المستثمرة منحلة والقانون ينص على المحافظة على وحدة المستثمرة وقابليتها للبقاء.[61]

وإذا حكم بسقوط الحق في أي قرار صادر نهائيا ونتج عن ذلك انخفاض عدد المشاركين في استغلال المستثمرة الفلاحية الجماعية إلى أقل من 03 أعضاء، فإن بقية الأعضاء تحدد لهم مهلة ثلاثة أشهر للقيام باستخلاف العضو الذي سقط حقه أو الأعضاء الذين سقط حقهم،وإذا لم ينجز استخلاف العضو الذي سقط حقه في الآجال

---

[58] بركاهم سمية، مرجع سابق، ص60.

[59] بوصبيعات سوسن، مرجع سابق، ص126.

[60] انظر المادة 11 من القانون 19/87

[61] بوركي محمد، المستثمرات الفلاحية في التشريع الجزائري، مجلة الموثق عدد،ص41.

المحددة فإن المستثمرة تتعرض للحل،ويمكن للدولة في جميع الحالات ممارسة حق الشفعة المذكورة سابقا.[62]

مع التذكير أن في جميع الحالات يجب إشهار التصرفات التي تقع على المستثمرة الفلاحية. [63]

الفرع الثاني :الالتزامات:

يترتب على الوجود القانوني للمستثمرة أنه يقع على عاتق كل عضو فيها واجبات نص عليها القانون في المواد من 16 إلى 21 بالإضافة إلى الدولة مالكة الرقبة، سوف تتناول التزامات كل طرف فيما يلي:

أولا :التزامات المنتجين الفلاحيين:

حدد القانون 19/87 والمراسيم التطبيقية له عدة التزامات تقع على عائق أعضاء المستثمرة يجب عليها احترامها، وعند وجود أي إخلال بها يتم إسقاط حق الانتفاع، ودفع تعويضات للدولة إذا كان الإخلال صادرا من كل المجموعة، أو لباقي الأعضاء إذ كان الإخلال صادرا من طرف واحد أو من بعض المجموعة.

*** المشاركة الشخصية والمباشرة وعلى الشيوع في إشغال المستثمرة:**

يقصد بالمشاركة في أعمال المستثمرة بصفة شخصية ومباشرة هو ذلك المجهود الذي يستطيع أن يقوم به العضو، ويمكن أن تنتفع به المستثمرة في ممارسة نشاطها، وبالتالي لا

يجوز أن تكون الحصة مجرد نفوذ سياسي يتمتع به المستفيد[64].

---

[62] بوركي محمد، مرجع سابق ، نفس الصفحة.

[63] انظر المادتين 34و35 من القانون 19/87 كذا المادة 90 من المرسوم 63/76 المؤرخ في: 1976/03/25المتعلق بتأسيس السجل العقاري، مع مراعاة أحكام المادة 793 ق.م.ج.

[64] بن رقية بن يوسف، مرجع سابق، ص173.

فيمكن تحديد طريقة مشاركة كل واحد من الأعضاء وكذا التوزيع المحتمل للمهام داخل المستثمرة باتفاق لا يحتج به على الغير.[65]

*** المحافظة على وحدة المستثمرة وإستماريتها:**

هذا الالتزام يعني أن المحافظة على وحدة المستثمرة واستماريتهايقتضيان أن يتجنب أعضاؤها كل ما من شأنه عرقلة السير الحسن لها.[66]

*** المحافظة على الطابع الفلاحي للمستثمرة واستغلالها استغلالا أمثل:**

الالتزام بالاستغلال فرضه المشرع تحت طائلة جزاءات قاسية قد تصل إلى الحرمان من الأرض [67].

ويرى الدكتور عجة الجيلالي أن الدولة قد تخلت عن مسؤولية الإنتاج الفلاحي لصالح أعضاء المستثمرة الفلاحية بمقتضى عقد الاستفادة المبرم بينهما، كما أنها أقرت الجزاءات المترتبة عن الإخلال بهذه المسؤولية بموجب المرسوم 51/90 المؤرخ في: 1996/02/06 المتعلق بتطبيق المادة 48 من القانون 19/87[68].

وقد حدد هذا المرسوم ست حالات يمكن فيها الحكم بفقدان الحقوق على كل جمتعة مستغلين وهي:

- اللجوء إلى تأجير الأرض الفلاحية محل عقد الاستفادة، أو القيام بأي شكل من أشكال المبادلة الذي يعطل من مبدأ الاستفادة الشخصية والمباشرة للمنتفع.

- تحويل الطبيعة الفلاحية للأرض إلى نشاطات أخرى تتعارض مع الصبغة الفلاحية لها كالمضاربة بالعقارات الفلاحية قصد البناء أو إقامة تجمعات سكنية أو صناعية ليست لها علاقة بالإنتاج الفلاحي.

---

[65] انظر نص المادة 21 فقرة 02 من القانون 19/87.

[66] انظر نص المادة 19 من القانون 19/87

[67] انظر نص المادة 48 من قانون التوجيه العقاري.

[68] عجة الجيلالي، مرجع سابق، ص 218.

- إهمال استغلال الأرض الفلاحية وترك جزء منها لفائدة الغير الأجنبي عن المستثمرة.

- استعمال البناءات الفلاحية لأغراض أخرى غير النشاطات الفلاحية حيث تعتبر هذه المنشآت جزء لا يتجزأ من أصول المستثمرة الفلاحية التي لا يجب تخصيصها لغير الأعمال الفلاحية.

- عدم المساهمة المباشرة في الإنتاج إلا إذا كان هناك عذر قانوني لذلك[69].

- عدم الاستغلال الفعلي للأرض الفلاحية رغم توفر الشروط والوسائل اللازمة لذلك.[70]

ويضطلع بالبحث عن المخالفات وحالات الإخلال بأحكام القانون 19/87 وتحديدها أعوان المصالح التقنية الفلاحية الذين يعينهم قصدا الوالي المختص إقليميا، حيث يجب عليهم رفع تقرير إلى الوالي عن مهامهم الخاصة بالبحث عن المخالفات والاخلالات المسجلة في كل مستثمرة جماعية أو فردية.[71]

* التأمين. * دفع الإتاوة.

ثانيا :التزامات الدولة:

تتأكد الدولة من الشروط الواجب توافرها في الشخص المستفيد لتقوم بإعداد عقد المنح، كما أنها تقوم بمراقبة تنفيذ أحكام القانون 19/87 والتأكد من احترام المستفيدين لإلتزاماتهم.

---

[69] يعتبر العجز قانونيا في حالتين:

* وجود عجز بدني مثبت طبيا ويلتزم العضو باحلال ممثل عنه يشتغل مكانه.

* ممارسة مهمة إنتخابية تتطلب التخلي المؤقت عن الممارسة المباشرة للنشاط الفلاحي.

[70] انظر نص المادة 04 من المرسوم 51/90.

[71] انظر المادة 05 من المرسوم 51/90 .

خاتمة :

لقد تبين للدولة في نهاية التسعينيات أن التحولات التي أحدثتها بموجب قانون 19/87 لم تلق التجاوب المنتظر من طرف المستفيدين إذ كانت بعيدة عن الآمال المرجوة وذلك رغم تمليكهم حق الإنتفاع، حيث سجلت عدة مشاكل منها: وجود أراضي غير مستغلة أو مستغلة بصفة غير كافية، عدم الإستغلال الشخصي للأراضي الفلاحية وتأجيرها من الباطن أو حتى بيعها، تحويل الأراضي عن طابعها الفلاحي أو التنازل عنها لأشخاصلاعلاقة لهم بالفلاحة، هذا في غياب تام للإدارة مع تراكم القضايا المطروحة على العدالة[72].

صدر بعد ذلك قانون التوجيه الفلاحي 08/ 16 المؤرخ في:2008/08/03 الذي غير من نمط إستغلال الأراضي الفلاحية الوطنية ، ليصدر تنفيذا له القانون 03/10 المؤرخ في : 2010/08/15 الذي يحدد شروط و كيفيات إستغلال الأراضي الفلاحية التابعة للأملاك الخاصة للدولة .

[72] جبار جميلة، أثر تغيير نمط استغلال الأراضي الفلاحية التابعة للأملاك الوطنية الخاصة وإنعكاسه على التنمية الإقتصادية، مجلة الدراسات القانونية، مخبر السيادة والعولمة، جامعة يحي فارس، المدية، عدد 04 سنة 2016،ص 24.

فهرس الكتاب

تقديم الكتاب 1

أولا: قانون 23 مارس 1882 المتعلق بالحالة المدنية في الجزائر

الدكتور : مصطفى عبيد 4

ثانيا: محاولات التقارب الجزائري التونسي بعد الاستقلال من خلال المصادر التونسية : مقترح الكاف 1973 أنموذجا

الدكتور : سعيد جلاوي 22

ثالثا: موقف الحزب الشيوعي الجزائري من الثورة التحريرية 1954-1962

الدكتور: محمد سريج 37

رابعا: إنتفاضة الثامن ماي 1945 ببلدية فج مزالة المختلطة

الدكتور : البشير بوقاعدة ، طالب دكتوراه: حيمر عبد الوهاب 55

خامسا: نشاط رجال جمعية العلماء في الخارج اصالح الثورة الجزائرية من خلال تقارير فرنسية

الأستاذ الدكتور: اسعد لهلالي 65

سادسا: أحداث الثامن ماي 1945 ملحمة خالدة في ذاكرة التاريخ

الدكتورة : سعدية بن حامد 77

سابعا: مدينة شرشال العثمانية

الدكتورة تسكورث يمينة 90

ثامنا: المجال الشلفي في الأسطوغرافية الموحدية

طالبة دكتوراه: غنية عباسي 115

تاسعا: الجزائر وقضايا التحرر في إفريقيا : دراسة في مظاهر الدعم الدبلوماسي

الدكتورة : سلوى لهلالي 138

عاشرا : آليات استغلال العقار الفلاحي قبل صدور قانون التوجيه الفلاحي

الدكتورة : بوشربي مريم ، الدكتورة :بوقرة العمرية 160

الفهرس 186

قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر

هذا المؤلف الجماعي يستعرض محطات مختلفة من تاريخ الجزائروهي مجموعة من المقالات العلمية الأكاديمية لأساتذة وطلبة دكتوراه بحثت في مواضيع مهمة ومتميّزة وجادة وهادفة تناولت؛ قانون 23 مارس 1882 المتعلق بالحالة المدنية في الجزائر، كذلك محاولات التقارب الجزائري التونسي من خلال مقترح الكاف 1973، وفي الحركة الوطنية والثورة التحريرية هناك انتفاضة الثامن ماي بفج مزالة، والثامن ماي في ذاكرة التاريخ، ويستعرض موقف الحزب الشيوعي من الثورة، وكذا دور العلماء في الخارج لصالح الثورة، ويستعرض دور الجزائر في دعم التحرر في افريقيا ، ويبين مدينة شرشال العثمانية، والمجال الشلفي في الأسطغرافية الموحدية ،اضافة الى موضوع بعد الاستقلال يعالج استغلال العقار الفلاحي .

DL: 2021 ISBN 978-9947-38-431-2
9 789947 384312

دار المجدد للنشر والتوزيع

02 نهج حفصي الطاهر "وراء الولاية" - سطيف / الجزائر
النقال: 0550.96.31.07 / 0540.97.40.34
هاتف/ فاكس: 036.82.58.09
البريد الالكتروني: dar.moudjadid@gmail.com
على الفيس بوك: دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع